

رواية

جوانا كامبل سلان

مُهْدِيَّةٌ لِلْكِتَابِ

مقتل

الليدي إنجرام

الكتاب الثاني
من مذكرات جين إير



ترجمة:

محمد موسى



مقتل الليدي إنجرام

"رواية ساحرة ومبتكرة، تظهر جين إير التي نعرفها ونحبها كمحترفة بارعة تتسم بالقدر نفسه من التصميم والمهارة والاستقلالية التي طالما عرفها عنها المعجبون بها".

- هانك فيليبي رايان، الحائز على جائزة أغاث وجائزة أنتوني وجائزة ماكافيتى.



جوانا كامبل سلان

"رواية ساحرة، وذكية وجذابة وممتعة، لغز مشوق بحبكة ممتازة سيعجب به بالتأكيد محبو الأحجيات والغموض".

.(Life in Naples) - مجلة لايف إن نابليس

مذکونه کیا سہیں

t.me/yasmeenbook



9 789921 712773



✉️ @daralkhan_kw

✉️ info@daralkhan.com

مقتل الليدي انجرام

جوانا كامبل سلان

Author: Joanna Campbell Slan
Death of a Dowager

© Copyright

Translated from English by:

Mohammad Mousa

Book Design:

Sarwar Murad

Book Cover Design:

Basel Barakah

Shadi Sarkis

ترجمتها عن الإنجليزية:

محمد موسى

الإخراج الفني:

سرور مراد

تصميم الغلاف:

باسل بركه

شادي سركيس

الطبعة الأولى | أكتوبر 2023

ISBN: 978-9921-712-77-3

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية - دولة الكويت:

1989-2023

Death Of A Dowager

Copyright © 2012 by Joanna Campbell Slan

"Published in agreement with JABberwocky Literary Agency Inc.
through Bears Factor literary agency FZC"

حقوق هذه الترجمة ونشرها والاقتباس باللغة العربية محفوظة للناشر

© Alkhan Publishing & Distribution



+965 99462291 / +965 51088000



@DarAlkhan_kw

info@daralkhan.com

إن الآراء الواردة في الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

مَكِّيَّةٌ يَا سَمِينَ

t.me/yasmeenbook

رواية

مقتل الليدي إنجرام

الكتاب الثاني في مذكرات جين إير

جوانا كامبل سلان

ترجمة

محمد موسى



2023

t.me/yasmeenbook

Author: Joanna Campbell Slan

Death of a Dowager



2023

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

إهداء

إلى خالتى سى. شيرلى هيلمنى

t.me/yasmeenbook

"وإنه لجنون من النساء جمِيعاً أن يدعن الحب الخفي
يُضطرُّم في جوانحهن".

تشارلوت برونتي، رواية جين إير: سيرة ذاتية.

"هناك الكثير من الأدلة التي تثبت أنه على الرغم من
الخطأ الذي ارتكبه بحقها بعد سنوات، فإنها ظلت
دائماً تقع في سويدة قلبها بصفتها (زوجته الوحيدة
والحقيقية)."

Mrs. Fitzherbert and، رواية
William Henry Wilkyns،
George IV

t.me/yasmeenbook

مقدمة

يتمتع الحب بقوة هائلة، كيماء تعيد تشكيل أكثر الشخصيات تشدداً. أسمع نغماته السحرية عندما يتحدث زوجي مع ابنا الرضيع نيد. وأراه، عندما أشاهد صديقتي لوسي برايتون وهي تقلب في ملابس ابنها الجديد إيفانز. وألاحظ الإثمار الجميل الناتج عنه، عندما تتوقع مدبرة منزلي، السيدة فيرفاكس، احتياجاتنا. وأشعر بقوتها تتدفق بداخلي في الليل بينما أطلع إلى القمر وأتذكر البركات التي أتنعم بها. في الساعات الهدئة في الليل، عندما لا يصبح هناك سوى أصوات أفراد أسرتنا النائمين الذين يغطون في النوم،أشكر الله على هذا الانسجام العائلي، وعلى هذا الشعور الرائع بالانتماء. هنا، في منزل فيرندين مانور بأسقفه التي يتسلب منها المطر وجدرانه المتهدمة، نعيش كقبيلة صغيرة من الأراوح المتشابهة في التفكير. تربطنا المودة المتبادلة القوية كسلسلة حديدية. ويسعدني أن يكون كل هذا نتيجة حبنا، أنا وإدوارد.

ما الحماقة التي دفعت القدامى إلى البحث عن وصفات لتحويل المعادن الأساسية إلى ذهب؟ فالأهم من ذلك هو تلك العاطفة التي تحول الجهل المبارك إلى إحساس دافئ؛ لأنه

عندما يحيطنا الحب، يصطبغ كل شيء بالسعادة. وأنا واثقة بأن هذه هي الكيمياء التي تستحق البحث والدراسة. هذا التحول في الروح البشرية. الحب أندر وأغلق من أي قطعة ذهب. إنه الجائزة التي نسعى إليها جمِيعاً، وحصلتْ النهاية هي القبول، وإنكاره أساس كل حزن.

إن حرمان المرأة من فرصة اتباع قلبها قسوة لا يمكن تصورها. وإجبار الرجل على الزواج من امرأة لا يستطيع أن يحبها هو حكم بالبؤس. وكبت المشاعر التي يؤججها الحب سبب لوقوع كارثة. والتقليل من شأن حب أحد الوالدين لطفله حماقة.

لقد شاهدت هذا بأم عيني. وهذا ما حدث بالفعل.

الفصل ١

منزل فيرندين مانور، يوركشاير

١٨٢١ مايو

"يوم لطيف للتنزه في المستنقعات". دفعت ابتسامة صديقتي لوسي برايتون العذبة خصلاتها الشقراء بعيداً عن وجهها بطريقة جذابة تحت قلنسوتها. شارت لوسي على الأربعين من عمرها؛ لكنها تألق جمالاً عندما تبتسم؛ فعندئذ يُظهر اللمعان في تلك العيون الزرقاء السماوية الصافية والبهجة المرتسمة على شفتيها شيئاً آخر.

أتفق معها. قلت: "إنه كذلك".

تزين سحب بيضاء متفرقة السماء الزرقاء الرمادية، ويتألّأ المكان الذي غسلته الأمطار مؤخراً. وتبعد الأوراق الخضراء للأشجارخلفية مدهشة للبرقوق البنفسجي في بساتين نورثرن مارش وزهور الخشخاش الحمراء اللامعة. تجولنا أنا وهي، ونحن نأخذ حذرنا من البرك ونقطف الزهور لنملأ سلطها.

أضفت: "جميل رغم المياه الراكدة".

قالت وهي تومئ برأسها نحو فيرندين مانور: "هنا أم هناك؟"
فضحكتنا معاً، وتذكروا الفوضى التي أحدثتها عاصفة الليلة
الماضية في المطبخ. أعلنت أمطار الربيع عن تغير الفصول،
وباغتنا عاصفة مخيفة على غير العادة. هاجمنا الطقس
السيء، ورشقنا بالبرق الصاعق والرعد المدوي؛ فأصابنا القلق
أجمعين. وصنع البرق المروع والصوت المفزع صورة سريالية
تناقض هدوءنا داخل المنزل؛ حيث اجتمعنا حول المدفأة في
غرفة الرسم. وبعد عدة ساعات، ازدادت العاصفة غضباً،
وسمعنا قعقة الأمطار. وانبعج سقف المطبخ تحت وطأة
الهجوم.

كانت هذه عالمة أخرى على أن المنزل، الذي لم يكن
مخصصاً أبداً للسكن الدائم، قد وصل إلى حالة مزرية. رحل
زوجي، إدوارد روتشستر، من منزل عائلته في ثورنفيلد هول
بسبب الحريق، إلى نزل الصيد الخاص به، وانضممت إليه
 هنا. واضطررنا إلى تدبر أمرنا مع بعض الخدم: جون وماري
هاريغان، خادم زوجي المسن وزوجته؛ وإميليا ساندرز، مربية
ابني نيد؛ والطاهية التي تأتي من ميلكوت القرية عدة أيام في
الأسبوع؛ ولilya الخادمة التي تقوم بكل الأعمال. والسيدة أليس
فيرفاكس، مدبرة منزلنا وابنة عم زوجي. تضم أسرتنا أيضاً
ابننا، إدوارد ريفرز روتشستر، الذي احتفل بأول عيد ميلاد له
في الأول من أبريل، وأديل فارنز، القاصر التي يرعاها زوجي

إدوارد والتي تبلغ أحد عشر عاماً، والتي عادت للمنزل من المدرسة في الإجازة الصيفية؛ بالإضافة إلى ضيفة المنزل لوسي برايتون، زوجة صديق إدوارد الحميم النقيب أوغستوس برايتون الذي يعمل حالياً في الهند. كنت ضيفة على لوسي في لندن في الخريف الماضي، وسرعان ما أصبحنا صديقتين مقربتين. وفرضت علينا الكارثة جميعاً أن نقدم يد العون. إن الأواني الكثيرة في خزاناتنا لا تستطيع احتواء المياه المتتساقطة عبر السقف على نحو ينذر بالخطر، حتى إن أديل الصغيرة بذلك قصارى جهدها لنقل برمطانات المواد الحافظة وعلب التوابل. وقضينا معظم الليل وجزءاً من الصباح ونحن نحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من المواد الغذائية.

وبينما نحن في أعماق الفوضى، تطوع جون لتفقد السقف. يجب أن يقوم شخص ما بقياس حجم الفجوة، وتحديد ما يمكن إصلاحه، ويرسل إلى ميلكوت طلباً للإمدادات. لا نعتقد أنا أو لوسي أن هذا من الحكمة في شيء، وأكدت نظرة بينما إجماعنا وقلقنا على سلامة الرجل العجوز. لقد استطعنا إقناعه بتأجيل الأمر حتى ينبلج الصباح. ثم، في وقت مبكر من هذا الصباح، أعلن الطرق على الباب الخلفي وصول حفيد جون وزوج ليه، جيمس. وعندما سمع عواء الرياح وقصف المطر، أدرك هاريغان الصغير، بشكل صحيح تماماً، أن المنزل سيتعرض لأضرار بالغة. وعندما سمع أن جده مستعد للصعود على السطح، تطوع جيمس سريعاً للذهاب بدلاً منه.

قال جون: "كلا. سأهتم بهذا".

قلت لـ إدوارد هامسة لأعرب له عن مخاوفي: "لماذا لا يترك الأمر للشاب؟". فأشار لي بأن أصمت وقال في هدوء: "لطالما عمل جون من أجلي، منذ أن كنت فتى. ويجب ألا أحرجه بسبب تقدمه في السن. إن كان يعتقد أنه يستطيع أن يتفقد السطح، فسأسمح له بذلك. إنه يفخر بمساعدتي". أصاب الحريق الذي دمر ثورنفيلد هول، منزل عائلته، يد إدوارد اليسرى وعينه اليمنى أيضاً - وترك عينه الأخرى تعاني تعاطفاً مع رفيقتها المفقودة - ما جعله يعتمد على جون أكثر من السابق.

مرة أخرى، تبادلنا أنا ولوسي النظارات. هذه المرة كانت نظرتها مصحوبة بهزة من رأسها واقتراح. قالت: "بعد أن تهتمي بأمر نيد وأديل، لماذا لا نخرج في نزهة؟ يمكننا قطف بعض الورود البرية".

تنهدت وقلت: "نعم. أفضل أن أكون في أي مكان ما عدا هنا. لدى شعور سيئ حيال مغامرة جون".

كما توقعت، تتولى إميليا أمر الأطفال جيداً. تلعب أديل بمجموعة جديدة من الدمى الورقية التي أحضرتها لها لوسي من لندن؛ بينما انشغل نيد بمضغ عصاضة فضية اللون، هدية أخرى من صديقتي. أمطرتهم بالعناق والقبلات قبل أن أضع قلنسوتي وأقابل لوسي عند الباب الأمامي.

وهكذا أخذنا نتنزه في الجوار، نتجنب الخوض في المياه الراكدة، ونبحث بين الشجيرات عن العلامات التي سيتركها التوت الأسود، وووضعنا خرقاً بيضاء عليها لنعلمها بها. تمثل أمطار الربيع بداية تنذر بطقس أكثر دفءاً.

أرتي لوسي فرعاً من الأزهار الصفراء وقالت: "أليس القندول جميلاً؟".

قلت: "قندول؟ يسميه السكان المحليون furze، وهي كلمة تعني "قاحلة" وتشير إلى الأراضي الشاسعة التي تمتد أمامنا". ثم حركت ذراعي، لألفت نظرها إلى البحر اللا نهائي من مستنقعات الخلنج البنفسجية التي يحيطها تلال بنفسجية من زهور الثالوث التي تتناغم مع السماء الزرقاء.

قالت لوسي وهي تضع ذراعها في ذراعي: "قاحلة؟ تقاد لا تكون كذلك. شكرًا على إحضارك إلى هنا لأرى هذا الجمال الجامح. تختلف حياتي في لندن عن هذا اختلافاً كبيراً، حيث أنتقل من مناسبة اجتماعية إلى أخرى، وأتحدث عن أمور غير مهمة، وأحدق في التصميمات الداخلية المترفة للمنازل ذات الزخارف المبالغ فيها".

قلت: "من المؤكد أن هناك ما هو أكثر من ذلك. ما الذي تتحدثين عنه؟".

قالت وهي تُميل رأسها قليلاً كأنها تتفق معي في الرأي: "تتويج الملك جورج الرابع بعد شهرين من الآن. هذا كل ما

يفكر فيه أي شخص. يتحدثون دون انقطاع. كم ينفق بريني؟ من سيدعى للحفل؟". وصمتت قليلاً ثم سالت: "هذا يذكرني: لا يزال لديك الرسالة، أليس كذلك؟".

أعرف ما تشير إليه. بسبب سلسلة غير عادية من الأحداث، أمتلك رسالة كتبها ملکنا إلى إحدى عشيقاته عندما كان ولياً للعهد. في هذه الرسالة، قدم العديد من الاعترافات غير المناسبة، أكثرها ضرراً قبوله الزواج من زوجتين، وهو اعتراف قد يكلفه العرش.

سارعت إلى طمانتها قائلة: "الرسالة آمنة تماماً. يمتلك السيد روتشستر خزانة قوية مثبتة في جدار غرفة نومنا".

ابعد صوت لوسي وهي تنحني لتقطف مجموعة من ثمار الورد البري البرتقالية كالل heb التي تتناقض بوضوح مع بشرتها البيضاء كالحليب وهي تقول: "إذا عرفت محتوياتها... فهل تخيلين الفوضى العامة التي ستتبع ذلك؟ الناس في الشارع يحتقرن جلاله الملك بالفعل. يأتي كل يوم بخبر جديد عن شراء شيء آخر باهظ الثمن. سمعت في الأسبوع الماضي أنه أمر بتطحين رداء من القطيفة الحريرية القرمزية طوله عشرون قدماً بفرو القاقيم. هل تتصورين هذا؟ ألم يتعلم شيئاً من الفرنسيين؟ كيف يستمر في إنفاق الأموال ببذخ ويتجاهل حقيقة أن الكثيرين من شعبه يعانون من الجوع؟".

سألتها: "هل ستدعين إلى التتويج؟".

أجابت: "لقد قدمت في البلاط الملكي. غالباً ما نظر في المناسبات أنفسها وغيرها من الأحداث. هل سأدعى؟ ربما. لا أعرف. أنا لا أهتم حقاً. ليس كثيراً على الأقل".

ابتسمت لنفسي. فرغم اعتراض لوسي برأيتون على أسلوب الحياة المتقطع الذي تستمتع به في قلب المدينة، إلا أن مكانتها هناك بوصفها واحدة من النخبة التي تشكل الطبقة العليا من المجتمع في لندن تهمها أكثر مما تعرف به. وبينما يحمي زوجها، النقيب أوغستوس برأيتون، مصالح الملك جورج الرابع، الذي سيُتوج قريباً، في الهند، تعمل لوسي على الارقاء بمكانتها بين الذين يتمتعون بنوع مختلف تماماً من السلطة.

أعتقد أن الأمر أصبح لعبة بالنسبة لها، تحدياً تشغله وقتها أثناء غياب زوجها. لكن اكتسبت هذه التسلية مؤخراً أهمية جديدة، لأن لوسي ستحصل قريباً على ما يتمناه قلبها... ابن. ورغم أن إيفانز فورستر كان من الممكن أن يجلب الكثير من الحزن إلى لوسي، لأنه ثمرة علاقة غير مشروعة بين زوجها، أو غي وامرأة أخرى، إلا أن لوسي شعرت بسعادة غامرة بـ "كفاله" إيفانز، بدلاً من رفض الرضيع بسبب منشئه، عندما علمت أن والدته ماتت. وبالنسبة لها، لا يُعد إيفانز عبيداً أو تذكرة محزنة بخيانة زوجها؛ بل استجابة لدعواتها. وقد خططت أن تنقل إلى هذا الطفل المزايا التي جنتها من وراء ارتقائها السلم الاجتماعي بيضاء. كانت تتوق إلى إنجاب أطفال بنفسها؛ لكنها تنتظر الآن بصبر نافذ وصول إيفانز الصغير من بروكسل. لقد تأجل سفره

إلى إنجلترا حتى تقوم مربطيه بتسوية بعض الأمور العائلية.

قلت: "انتبهي يا لوسي". وجذبتها من كوعها برفق بعيداً عن مجموعة من زهور عود العطاس البيضاء التي تمتلئ بالنحل المجتهد، وأردفت: "لن يفيدك أبداً أن تعودي إلى لندن ممتلئة بوخر النحل". يا لنا من ثنائي! فأنا أجهل الأوضاع الاجتماعية بقدر جهلها بمحيطنا الطبيعي.

قالت: "جين، أنت تبالغين في القلق...".

دفعني صوت فرقة عالية مثل طقطقة فرع كبير إلى الاستدارة أنا ولوسي نحو مصدر الصوت، والذي أعقبه صوت المزيد من تكسير الخشب. ثم شقت صرخة هدوء الصباح. بعد ذلك سمعنا دوياً عالياً.

قلت: "لا بد أن جون سقط من فوق السطح!".

قالت لوسي ونحن نرفع تنانيرنا ونشرع في الركض نحو فيرندين مانور: "أو من خلاله!". أخذتنا أقدامنا إلى أسفل التل، عبر مجموعة من الأشجار الكبيرة وصعدنا مرتفعاً صغيراً يقع فوقه فيرندين مثل إبريق شايبني دون غطاء. سمعنا أصواتاً متنافرة تصرخ بعضها في بعض لتقرر ما يجب القيام به.علا صوت زوجي عليهم جميراً عندما قال آمراً: "جيمس! اذهب إلى كارتر! الجراح! انظر إذا كان بامكانك العثور عليه بسرعة. وأخبره أن يأتي على الفور".

هل أرسل إدوارد جيمس بعيداً لأنه لا يريد أن يعرف الصبي مدى خطورة إصابة جده؟ أم أن زوجي يأمل حقاً أن يتمكن جيمس من تحديد مكان السيد كارتر في الوقت المناسب لمساعدة جون بالفعل؟ إن عزلتنا ستتعوق وصول المساعدة الطبية بسرعة.

همست وأناأشق طريقي متتجاوزة ماري زوجة جون: "آه، يا إلهي! أرجوك الطفل بحاله واجعله بخير!".

كانت مسؤولتي، بصفتي سيدة المنزل، أن أهتم بالأزمة. رأيت ذراع جون اليمنى تلتوي تحته بزاوية غريبة، وعينيه مفتوحتين، وجلدته مائلاً إلى الخضراء ورطب الملمس.

قلت: "لوسي، هل يمكنك أن تحضري لي لحافاً نظيفاً من الإصطبل؟".

غالباً ما يتسبب العظم المكسور في حدوث تحول في حالة الجسم، ويسبب هذا بدوره في الارتفاع والشعور العام بالبرد. سيساعد اللحاف في تخفيف هذه الأعراض.

قلت: "جون، ارمش عينك إذا كنت تسمعني".

ففعل الرجل العجوز كما طلبت.

أخبرت زوجي الذي منعه بصره المتضرر من رؤية هذه الأشياء بنفسه: "رد وهو يتنفس. بعض الدماء تسيل من فمه وأذنه. وهناك بعض الدماء على جبهته". انحنىت لأرفع معصم

الرجل ثم قلت: "قلبه ينبع بسرعة لكن بشكل ثابت ومنتظم...
جون؟ هل تستطيع أن تتكلّم؟".

"نعم". تسللت الكلمة من شفتيه.

سألته: "أين تشعر بالألم؟".

قال بهدوء شديد لدرجة أني جاهدت لسماعه: "ذراعي. لا
أشعر بساقي أيضاً".

تذكرةت أني رأيت ذات مرة فتاة تسقط من فوق شجرة.
أذهلتها الواقعة مؤقتاً. دعوت الله أن يكون جون بحاجة إلى
بعض دقائق لالتقاط أنفاسه فحسب. لا يزال حياً على الأقل.
مسحت ماري بلطف الدم عن جبين زوجها. اتضحت أن جون
ليس مصاباً بجروح خطيرة كما كنا نظن في البداية؛ فتنهدت
بارتياخ.

ظهرت لوسي مع لحافين من الصوف تفوح منها رائحة
باهنة للخيول، وأعطتها لي ثم اختفت مرة أخرى. وضعت
واحداً تحت رأس جون ولفت الآخر حوله، وحاولت حشره
بينه وبين الأرض المبتلة.

أمسك إدوارد بيد خادمه، وأخذ يتمتم ويشجعه حتى
عادت لوسي بمنشفة مبللة وضعتها فوق فم جون، وحثته على
امتصاص القليل من الماء.

خلال الساعات الأربع التالية، تناوبنا أنا ولوسي الاعتناء

بجون. وأمسكت ماري يده وهي تجلس في أقرب مكان ممكن على مقعد التخييم.

لم يعد جيمس مع السيد كارتر حتى حلول الظلام. وبحلول ذلك الوقت كان الرجل العجوز واعياً بصعوبة. ألقيت نظرة واحدة على وجه السيد كارتر في ضوء الفانوس المنعكس، وتحققت أسوأ مخاوفي. إن الوضع سيئ للغاية حقاً.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢

تحت إشراف السيد كارتر، لف الرجال جون في لحاف وحملوه إلى كوخه. سار إدوارد وراء النقالة المرتجلة بصحبة ماري المذهولة والمنهارة، والتي لا تشبه الشخصية الرشيقه التي عادة ما تجوب المنزل بكل حيوية ونشاط. ووقفت أنا ولوسي جانبياً وشاهدنا الموكب.

قالت السيدة فيرفاكس: "لا أعتقد أن أحداً سيرغب في تناول الطعام؛ لكننا استطعنا أنا والطاهية وضع قدر من الحسأ فوق المدفأة في غرفة الرسم، كما أنها خبزت رغيف خبز. وأسفاه عليك يا عزيزي!. تدهورت حالة جون مؤخراً؛ لكنه كان يحاول جاهداً ألا يخبر السيد روتشستر، إذ شعر أن واجبه أن يخدم وليس أن يشكو نظراً لانزعاجه من المشكلات الصحية التي يعاني منها السيد".

قلت: "هل كان مريضاً؟ أم أنه يعاني من متاعب الشيخوخة؟ أقصد قبل السقوط".

تنهدت أليس فيرفاكس ثم قالت: "القليل من هذا وذاك. أسنانه تؤلمه فقد وزنه. لقد توسلت إليه ماري أن يخفف عن نفسه؛ لكنه رفض الاستماع إليها. قد يكون الرجال عنيدين للغاية في بعض الأحيان".

قلت: "لكن كان زوجي سيتفهم الأمر. لم يكن السيد روتشيستر يريد أن يصعد إلى السطح. إنه يهتم كثيراً بأمر جون".

قالت: "نعم، أعلم ذلك. وجون أيضاً يهتم بالسيد كثيراً. على أي حال، كان جون أول من وضع إدوارد روتشيستر الصغير على مهر وأول من أدهبه عندما ضايق القطة. وكان الشخص الذي أخبر السيد روتشيستر الكبير أن أحداً تحدى إدوارد للمبارزة".

كنت على يقين بأنني لم أسمعها بشكل صحيح؛ فقلت: "عفواً؟ أحد تحدى إدوارد للمبارزة؟".

قالت: "نعم. حدث ذلك قبل وقت طويل من مجئي إلى ثورنفيلد، بالطبع، عندما كان والد السيد لا يزال مبجلاً. ولكن مما سمعته، أهان رجل السيد الشاب الذي أجابه بالمثل، ثم وصلت رسالة إلى المنزل تتحداه في مبارزة". أغمضت السيدة فيرفاكس عينيها، وارتجمفت وأردفت: "قيل لي إنه كان شيئاً شيئاً".

سألتها: "ماذا حدث بعد ذلك؟ هل قابله زوجي؟".

أجابت: "سلم جون الرسالة إلى السيد الكبير. ويبدو أن السيد روتشيسنر الكبير كان يتواصل مع عائلة في جامايكا بشأن ابنتهم الجميلة وثروتهم. ذهب جون واثنان آخران للبحث عن السيد الشاب. وعندما وجدهم، ألقوا جوال بطاطس على رأسه، وربطوه، ووضعوه على متن سفينة متوجهة إلى جامايكا. وأنت تعرفين بقية الحكاية".

فكرت في هذا وقلت: "إذاً، أنقذ جون حياة زوجي وفي الوقت نفسه كان سبباً في زواجه الأول البائس".

قالت: "نعم. أعلم أن السيد أخذ وقتاً طويلاً ليغفر ذلك لجون؛ لكنه غفر له. لم يطمح جون وماري أبداً إلى مكانة أعلى - لقد كانوا مخلصين جداً لمثل هذا الهراء - ورغم ذلك طالما اعتبرنا نفسيهما جزءاً من عائلة روتشيسنر. عندما أصيب السيد في الحريق، كاد جون يفقد عقله من الحزن، ويشعر جون الآن أنه يجب عليه مساعدة السيد على الشعور بالاستقلالية. ولذلك، يتبع السيد روتشيسنر في كل مكان، خاصة عندما يخرج من المنزل".

تكتظ المناطق المحيطة بفيرندين بالمخاطر غير المتوقعة، من أطراف الأشجار المتتساقطة والأغصان المتعفنة إلى المستنقعات التي تحدها الحقول المليئة بحيوانات المزرعة التي لا يمكن التنبؤ بها. وبالطبع، هناك دائماً الصيادون الحمقى، حيث يعاني العديد من السكان المحليين من الجوع

لا سيما بعد الشتاء الرهيب في العام الماضي. ولقد أعطى إدوارد مبلغاً من المال لدار العبادة لاستخدامه في الأعمال الخيرية. وأخطط أنا لبدء تسلیم سلال من المواد الغذائية للقراء، حالماً أتقن قيادة العربة التي تجرها الكلاب.

من ناحية أخرى، من أين جاءنا كل هذا القلق بشأن مخاطر فيرندين الخفية؟ إن إدوارد بخير؛ لكن جون هو الذي أصيب بجروح بالغة!

هزّت رأسي في إحباط، وهرعت إلى المنزل نحو غرفة الأطفال حيث وجدت ابني نيد، الذي يبلغ ثلاثة عشر شهراً، نائماً وأديل تستكين تحت الأغطية؛ فحمدت الله ونقلت حبي إلى خود الأطفال قبل أن أتركهم لأحلامهم.

انضمت أنا ولوسي إلى السيدة فيرفاكس في غرفة الرسم للحصول على طبق من الحساء. كانت رائحة لحم الضأن وإكليل الجبل والجزر لا تقاوم. لم يكن هناك مكان لغسل أطباقنا المتتسخة؛ لذلك كدستها السيدة فيرفاكس على صينية وحملتها إلى الخارج. وقالت قبل أن تخلد إلى النوم: "سأعتني بها في الصباح".

لم يكن إدوارد قد عاد بعد. خشيت أن أسمع أخباراً سيئة بينما أذرع غرفة الرسم جيئه وذهاباً. أرسل الفحم الأحمر المصفر في المدفأة دفأً مبهجاً خفف شيئاً من البرد الذي أشعر به كلما فكرت في جون. وشرعت لوسي في حياكة قميص

صغير كانت تصنعه لإيفانز الذي يبلغ من العمر تسعة أشهر. قالت وهي تلوي الإبرة: "أتساءل عن لون عينيه".

تعمل السيدة والاندر، امرأة سويسرية تعتنى بإيفانز منذ مولده، مربية له. وكتبت تقول إنه يسعدها أن ترافق الصبي إلى لندن وتستمر في عملها؛ لكن تأخرت مغادرتهم لبروكسل، عندما أصيبت ابنة المربية بحمى النفاس.

قلت وأنا ألتقط لوحتي: "أنا واثقة من أن عينيه جميلتان، بغض النظر عما إذا كانتا عسليتين أم زرقاءين". كتبت الحرف "إي" بخط كبير، وتبعته ببقية اسم إيفانز بأحرف صغيرة، وملأت المساحة المحيطة بكل أنواع النباتات المعترفة، والنباتات، والحيوانات. وبعد أن رسمت كل شيء بالقلم الرصاص، استخدمت الحبر الهندي، وأخيراً الألوان المائية لإكمال التصميم.

وضعت لوسي عملها جانباً، وقالت: "جين، من فضلك، تعالى وامكثي معي في لندن. المكان كبير ويسعنا جميعاً! تعالى وامكثي معي لفترة. دون أوغي، يصبح المنزل في ميدان غروفينور أكبر من أن أعيش فيه بمفردي. ابحثي عن أحد لإصلاح هذا المكان، وتعالي معي يا جين. ستكونين عوناً لي، عندما يصل إيفانز، وأنت تعرفين كم أحب نيد وأديل. علاوة على ذلك، سيحظى إدوارد في لندن بأمان أكبر من هنا. خاصة أن هذا المكان ينهر من حولك".

قلت: "أعلم أن دعوتك الكريمة نابعة من قلبك. اسمحي لي بأن أستشير السيد روتسيستر في ذلك. لكن أولاً، يجب أن تتحقق من أننا فعلنا كل ما بوسعنا من أجل جون".

قالت لوسي: "سيفيدك أن تبتعد عن هنا".

قطعت خطا إدوارد الثقيلة محادثنا. فذهبت والتقيت بزوجي عند الباب، وتحت ستار العناق الحنون، وجهته بهدوء إلى كرسيه المفضل. هرول بايلوت، الكلب المخلص من نوعية نيوفاوندلاند، إلى سيده ليربت عليه.

سألت بعد أن جلس إدوارد: "كيف حال جون؟" ضغط بايلوت أنفه في يد إدوارد.

قال: "يعتقد كarter أن الرجل العجوز قد لا يمشي مرة أخرى... إذا نجا. لقد أصابه السقوط إصابة شديدة؛ لكن ليس هناك ما يدل على الإصابات الداخلية التي قد تكون قد لحقته. وسنكون محظوظين إذا اجتاز هذه الليلة سلام". ثم هز رأسه وأردف: "كان يجب أن أمنعه من الصعود على السطح. كان يجب أن أقول له لا".

قالت لوسي: "أعتقد أنني سأوي إلى الفراش الآن. تعلمان، بالطبع، أن منزلي مفتوح دائمًا لكم". وبعد أن قالت ذلك، غادرت وتركتني وزوجي لتحدث على انفراد.

انتظرت حتى أغفلت الباب وراءها وقلت: "لا تلومن

نفسك. جون رجل فخور، ويرفض الاعتراف بحدود قدراته. لقد قلت ما يكفي". ووضعت ذراعي حول كتفي إدوارد؛ فأمال رأسه نحو رأسي. وبعد لحظة من البقاء على هذا النحو، سحبني إلى حجره. ومكثت هكذا لفترة من الوقت. وعندما تغير لون الجمر في المدفأة إلى الرمادي والأبيض وهو يبرد، همست: "هيا يا زوجي. دعنا نأوي إلى الفراش".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣

أصحاب إدوارد الأرق وأخذ يتقلب يميناً ويساراً، وتوجع مرة في أثناء نومه. في الآونة الأخيرة، غالباً ما يقطع نومه أحلام مزعجة مخيفة تجعله يضرب ويقاتل أغطية الفراش.

قلت وأنا ألف ذراعي حوله: "أنا هنا يا حبيبي". ثم رفعت صوتي بما يكفي لإيقاظه قليلاً: "إدوارد؟".

قال: "ما...؟ جين؟ آه، حبيبي جانيت". خاطبني بالاسم المفضل لديه، وسرعان ما انتظم تنفسه.

لكنني استيقظت تماماً. فانزلقت عن السرير، وذهبت إلى النافذة وفتحت المصاريغ.

ملأتنى فكرة أن أكون هنا بمفردي، وسط عائلتي الصغيرة، بالسرور. وبخلاف الشعور بالعزلة، شعرت بالحماية، وكأن البقاء بعيداً عن العالم يمنعه من تدمير البهجة التي وجدها بعضنا في بعض.

ورغم ذلك، هل خارج هذه الحدود عالم مخيف جدًا بالفعل؟ بعد مؤسسة لوود، المدرسة الخيرية التي أرسلت إليها بصفتي يتيمة غير مرغوب فيها، هل هناك مكان أكثر عدائية؟ ألم تحول المؤسسة إلى الأفضل؟ نعم، كان الأمر صعباً في البداية؛ لكنني في النهاية استطعت إثبات جدارتي ووجدت أصدقاء. وحتى خلال أكثر الأوقات إحباطاً، عندما لم يكن لدى أي شيء، اكتشفت العائلة في أماكن غير متوقعة، وليس الأصدقاء فحسب.

أستطيع، بالتأكيد، أن أفعل الشيء نفسه، بينما ذهبنا.

شق خفاف طريقه عبر سماء الليل، وتحرك في صمت أمام اللون الرمادي المرقط للمشهد الطبيعي الذي أضاءه القمر. ليت زوجي يستطيع أن يتحرك في ظلماته بهذه الثقة!

كانت فكرة الرحلة إلى لندن في محلها. لدى صديقة أكيدة، لوسي برايتون، وصديق، بروس دوغلاس، أخوها.

لم يعد بإمكاننا البقاء في فيرندين بعد الآن، ليس في وضعه الحالي، وليس مع وضع صحة الأطفال وزوجي في الحسبان. يزداد حزن إدوارد ورؤيته سوءاً كل يوم. وقد يصاب نيد بالحمى بسهولة. وأدليل؟ في الوقت الحالي، مع إغلاق مدرستها في ميلكوت في الصيف، ستشعر بالملل الشديد. ودون متنفس لطاقاتها، غالباً ما ستختار سوء السلوك كطريقة لجذب انتباها. سوف تجد أدلي الرحلة ممتعة بالتأكيد؛ فهي تعشق لوسي، أو

الأصح يتباهى الفضول الشديد لرؤيه منزل لوسي العصري والمجهز جيداً. علاوة على ذلك، سيحصل زوجي على الكثير من الفرص للترفيه والتواصل الاجتماعي في تلك البيئة الودية.

في صباح اليوم التالي، بينما كانت لوسي نائمة، انضم السيد كارتر إلينا أنا وزوجي لتناول الإفطار وجلب الأخبار السارة. من الجيد أنه لم يتبعه إلى الفوضى التي أصابت غرفة الطعام. أخذ مكاناً على طاولتنا. وحالما قدم إليه الشاي الساخن والخبز المحمص وطبق من شرائح اللحم المقدد المطبوخ والجبن، قدم لنا تقريره الكامل وقال: "يبدو أن الأزمة قد انتهت. وإذا ظلت الأمور هادئة، أعتقد أنه سوف يتعافي، سيد روتشيسنتر".

قال إدوارد: "ماذا عن صحته بشكل عام؟".

أجاب السيد كارتر: "لا أستطيع القول. كسرت ذراعه. شجعته على تحريك رجليه، وتمكن من فعل ذلك في النهاية. لكنه اصطدم بالأرض بقوة، وفي سنه، يمكن أن تؤدي مثل هذه الصدمة إلى مشكلات أخرى. من المستحيل بالنسبة لي أن أعرف ما الذي قد أصابه أيضاً. سيعتمد جزء من شفائه على نوعية الرعاية والراحة التي يحصل عليها الآن. ومن أجل هذا، سمحت لنفسي بالاستفسار عن خدمات المعالجة، السيدة بندراغون، التي تعيش على بعد عدة أميال، بالقرب من ميلكوت. أرجو ألا تمانع قيامي بهذا".

قال إدوارد: "مطلقاً. شفاء جون هو شاغلي الأساسي".

قال السيد كارتر وقد بدا عليه الارتياح: "جيد. ارتأيت أنك ستفكر بهذه الطريقة. تنحدر السيدة بندراغون من أصل ويلزي. ويخشاها الكثير من السكان المحليين؛ لكن ينبع رد فعلهم من الجهل. تمتلك معرفة رائعة بالفنون العلاجية والعديد من الوصفات العشبية التي لا نظير لها. في الواقع الأمر، تعلمت الكثير من هذه المرأة. وأود أن تبقى هنا طالما كان ذلك ضروريًّا. تستطيع السيدة بندراغون إرشاد ماري فيما يتعلق بتحضير بعض الكمامات والمشروبات العشبية. أكثر ما أخشاه الآن هو أن يصاب جون بالحمى أو الالتهاب الرئوي. كلاهما شائع بعد إصابة بهذه".

قلت: "سيد كارتر، هل مساعدتنا مطلوبة هنا؟ ربما يجب أن ننطلق أنا وزوجي إلى لندن. ناقشت أنا وزوجي أمر الذهاب إلى المدينة، بدلاً من البقاء هنا في فيرندين في ظل الإصلاحات التي يجب إجراؤها. هل من الحكمة الذهاب؟ أم أنه من الأفضل لنا الانتظار؟".

أجاب السيد كارتر: "أعتقد أنه من الأفضل أن تذهبوا. إذا بقتم هنا، فقد يحاول جون التuggيل بعملية العلاج. وإذا رحلتم، يستطيع هو وماري تكريس نفسيهما بالكامل لشفائهم. لن يرغب في التحرك قبل أن تتماسك عظامه".

قال إدوارد وهو يستدير نحوي: "هذا يذكرني، قبل أن تأتي لتناول الإفطار، صعد جيمس إلى السطح وألقى نظرة. تعفت

العوارض الداعمة. لذلك، يجب استبدال الهيكل بأكمله.
ليست هذه مجرد عملية ترقيع يسيرة".

قلت: "لا أمانع الإزعاج، ولا أمانع الاضطرار إلى الاعتناء
بأمورنا؛ لكنني قلقة بشأن الرطوبة. لا يمكننا المخاطرة بإصابة
نيد بالحمى. خاصة ونحن نعيش بعيداً عن ميلكوت. لقد رأيت
الوقت الذي استغرقه جيمس لاحضار السيد كارتر".

قال السيد كارتر: "نعم، وأنتم محظوظون لأنه تمكّن من
العثور علىّ". ثم أنزل شوكته ونظر إلي وأردف: "لقد وجدني
بالصادفة وأنا أقف على الطريق. وإلا لما وجدني وأنا أنتقل
من منزل لآخر. كان من المحتمل أن أكون بعيداً جداً ولا
أستطيع تقديم المساعدة في الوقت المناسب. في الآونة
الأخيرة، أقوم بزيارات شهرية إلى لندن لمقابلة رجال آخرين
في المجال الطبي. في الواقع، هذه هي الطريقة التي تعرفت من
خلالها على السيد بارميستر، الاختصاصي الذي اقترحت زيارته
بعد أن فحصت زوجك قبل عدة أشهر".

قال إدوارد على سبيل التحقق: "لكنك لا تزال جراحتنا
الم المحلي". إذا كان السيد كارتر لا يخطط للاستمرار هنا،
فيجب أن نرى ما يمكننا فعله بشأن الاستعانة بطبيب آخر من
أجل الأشخاص الذين يعيشون في ملكيتنا".

قال السيد كارتر: "كنت أنوي التحدث إليكم بهذا الشأن.
هذا ظرف غير مناسب؛ لكن حسناً، أعتقد أن الوقت قد حان

لتوظيف جراح آخر في ملكيتكم. ميلكوت والمناطق المحيطة بها آخذة في النمو، وقد تجاوزت فترة شبابي".

بعد هذا التصريح، بدا القلق على إدوارد، مثلني. إن السيد كارتر أصغر من أن يت怯اعد؛ فهو أكبر من زوجي بسنوات قليلة فقط. ورغم ذلك، لم نرد بالسرعة الكافية لمقاطعة حديث الجراح.

أردف السيد كارتر: "ومع مرور الوقت، أجد نفسي أتيت متأخراً جداً للتقديم المساعدة المطلوبة. أقضى في عربتي، وأنا أنتقل من مريض إلى آخر، وقتاً أكبر مما أقضيه بجوار أسرة المرضى. سيقلل طبيب آخر الأعباء الملقة على كاهلي ويقدم للمستأجرين نوع الرعاية التي يحتاجون إليها". شعرت بارتياح زوجي. إن كارتر يرغب في الحصول على المساعدة فحسب، وليس ترك عمله. "لقد سمح لكني بذكر هذا المنصب لزميل شاب في لندن، وهو صامويل ليرنر. وهناك فائدة أخرى ستتجدونها أكثر إثارة للاهتمام؛ إنه متخصص في أمور العين، بعد أن درس تحت إشراف السيد بارميتر. لقد خدمني جيداً لفترة قصيرة عندما كنت تتعافي من إصاباتك بعد الحريق. في الواقع، هو الذي أنقذ عينك من خلال تفكيره السريع ومعرفته بفنون العين".

قلت: "هل هو كذلك؟".

أجاب السيد كارتر: "نعم، كنت أقوم بتوليد طفل السيدة مولكاхи الذي أتى إلى هذا العالم؛ لذلك أرسلت ليرنر

إلى جانبك. كنت فاقداً للوعي، ومصاباً بشدة؛ لكنه استطاع تجنيد الألم، وساعد على استقرار حالي حتى وصلت إليك. صدقني، مهاراته مذهلة، وأنت دليل حي".

سأل إدوارد: "ليرنر؟ يهودي؟".

أجاب السيد كارتر: "نعم، وأحد أفضل العقول العلاجية التي التقيتها في حياتي. من المؤكد أن دينه لن ينقص من قدره، إذا كانت مهاراته مناسبة أو استثنائية".

قال إدوارد: "كارتر، تذكر مع من تتحدث. من بين كل من تعرفهم، أنا بالتأكيد الأكثر تسامحاً. نظراً للمسار الذي سلكته، كيف لا أكون كذلك؟ علاوة على هذا، لقد قابلت العديد من المعتقدات العبرية أثناء رحلاتي. أعتقد أنهم يُساء إليهم. لقد فاجئني اقتراحك لأنني أتساءل عما إذا كان المستأجريون سيقبلونه أم لا".

قال السيد كارتر: "أعتقد أنهم سيفعلون ذلك إذا أخذته معى وقدمتها على أنه مساعدى".

قال إدوارد: "بشكل عام، إذا، أعتقد أنه من واجبنا أن نقبل عرض لوسي الكريم. نستطيع المغادرة بمجرد أن نحرّم أمتعتنا. بعض الأشياء لا ينبغي تركها دون عناء".

كانت كلماته صريحة؛ لكنها تحمل معنى خاصاً بالنسبة لي. كان يقترح علي إحضار الرسالة.

لم أقصد قط أن أمتلكها. ورغم أنني فكرت في تدميرها، كما فعلت مع الرسائل الأخرى، إلا أن رأي الآخرين هو الذي انتصر. طلبت مشورة لوسي، وشقيقها بروس دوغلاس، وعزيزى إدوارد. وأقنعتني حجة زوجي بشكل خاص، عندما قال: "يمكن أن تغير هذه الرسالةجرى التاريخ. إذا انزلق جورج الرابع إلى الجنون، كما فعل والده من قبله، فقد يمنع ذلك معركة دموية من أجل السيطرة على العرش من خلال توجيه الأمور إلى حل أكثر يسراً".

لذلك أبقيتها في الخزانة. والآن يقترح إدوارد أن أحضرها معي بدلاً من تركها هنا في فيرندين. على أي حال، سيكون هناك عدد لا يحصى من العمال داخل وخارج المنزل. ويمكن اكتشاف مكان الخزانة القوية بسهولة، وتستطيع المطرقة والإزميل فتحها بالقوة. لن يكون من الحكمة تركها أو ترك أي أشياء ثمينة أخرى.

قاطع السيد كارتر تأملاتي قائلاً: "إذا كنتم ترغبون في ذلك، يمكنني التحدث مع ثاديوس فاريل وأنا في طريقي إلى المنزل. إنه عامل بناء محلية مؤهل جيداً للاعتناء بسطحك ومطبخك. لقد استعنت أنا والسيدة كارتر بخدماته في الماضي، وربما سعداء للغاية. سأرسله للتتحدث معك".

قالت السيدة فيرفاكس وهي تحمل غلاية من الماء الساخن لتزييد الماء في إبريق الشاي مرة أخرى: "أعتقد أن والدك وظف

ثاديوس ذات مرة لإصلاح الإصطبل. سأبقى هنا لإدارة جهود الإصلاح وإعادة توجيه بريدك".

قال إدوارد: "ممتناز".

قالت مديرية المنزل: "إذا سمحت لي، فسأرى ما إذا كانت ماري بحاجة إلى أي شيء".

قال كارتر: "سأذهب مع السيدة فيرفاكس لأرى جون مرة أخرى ثم أغادر. وحالما أعود إلى المنزل في ميلكوت، سأكتب رسالة إلى ليرنر أخبره أن ينتظر زيارة منك. في الواقع، لقد تأخرت عن زيارة لندن، وأود أن أسمع رأيه عن عينيك. ربما ستداخل زيارتنا".

قال إدوارد: "نعم. أعتقد أن هذا يبدو جيداً. سأذهب معك لرؤيه جون. ورغم عدم قدرتي على إصلاح ما كسر، إلا أنني أستطيعطمأنة ماري بأنني سأفعل كل ما في وسعي لمساعدتها في رعايتها".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤

أسرَ إلى إدوارد في وقت لاحق ذلك اليوم: "أشعر بالحماس للابتعاد عن هنا والذهاب إلى المدينة. أعتقد أنني بحاجة إلى تغيير الأماكن. أعدك يا جين، بأن حالي المزاجية ستتحسن".

قلت: "إذا كان ذلك يسعدك، فإنه يسعدني". نعم، بدا أنه يشعر بالكافأة مؤخراً؛ رغم أننا كنا نحاول تجاهل هذه الفكرة. يتمتع زوجي بإمكانيات جسدية كبيرة. وكثيراً ما تحدث معي عن الأشياء التي يرجو أن يعلمها لابننا؛ لكن مع تزايد ميل نيد للمغامرة شيئاً فشيئاً، أدرك إدوارد حدود قدراته. ونتيجة لذلك، تأثر إدوارد كثيراً بالقيود الناتجة عن فقدانه لعينه وضعف بصره في الأخرى.

سقطت خصلات جامحة من شعره على جبهته المشوهة عندما مد يده ليمسك يدي، ورفعها إلى فمه وقبلها. قال: "حبيبي العزيزة، أنت طيبة جداً. ويعرف كلانا أن لندن لعنة بالنسبة لك. لن يسعدك شيء أكثر من المشي لمسافات طويلة أو الاستمتاع بكتاب جيد، أو حتى من وضع الفحم على الورق

وتسجيل الصور الخيالية التي تستحضر فيها في ذهنك. آه! لا تجادلي يا جين. كان من الممكن أن تقترح أن نستأجر منزلًا آخر هنا في الريف بدلاً من الانتقال إلى المدينة. ورغم ذلك، أعلم أنك وافقت من أجلي، وأنا أقبل تصحيحتك بنفس راضية".

قلت بضحكه لم أستطع احتواهها: "بالحديث عن التضحيات، يجب أن تكون رحلتنا في عربة الخيول ممتعة للغاية. لقد أصبح ابننا مستكشفاً. وأحذرك مقدمًا من أننا سنتشغل بإبعاده عن القش على أرضية العربة".

قال إدوارد: "سيزوج نيد من جهودك للحد من أنشطته. ربما يكون من الأفضل أن تسافر لولي المسكنية دوننا".

"آه، كلا، لن تفعلوا ذلك". صدح صوت لوسي عندما دخلت الغرفة، وهي تحمل باقة من الأقحوان الأبيض الثلجي ذي اللون الأصفر مثل صفار البيض في المنتصف. "ستمنعني هذه الرحلة إلى لندن فرصة لممارسة مهارات الأمومة".

قلت لأطمئنها مثلما أفعل دائمًا منذ أن سمعنا بخبر قرب وصول الصبي: "ستبلين بلاً حسناً مع إيفانز".

قال إدوارد: "جين على حق، عزيزتي لوسي. ليس هناك ما يدعوك لأن تتلقى تدريباً على الأمومة".

قالت وهي تربت على كتفه: "هذا لطف منك، لكنني مصممة على القيام بمسؤولياتي الجديدة بكل ما أوتيت من

قوة. وظيفتي هي منح إيفانز كل ميزة ممكناً. ستكون حياته ذروة نجاحي، وبفضل جهودي، سيبدأ من مكانة أعلى في السلم الاجتماعي. كل ما تحملته من أجل الطبقة الراقية سيكون مفيداً، عندما تقبل ابني في صفوفها. سأستعين بكل ما لدى من أشياء رائعة، حتى يستفيد ابني من السنوات التي تحملت فيها ساعات من المجاملات التافهة تحت ستار تشحيم عجلة القبول الاجتماعي".

قلت: "أنت تجعلين الأمر يبدو مروعاً".

اعترفت قائلة: "لقد كان كذلك في معظم الأوقات".

حيرني حكمها على هذا الموضوع. بدت لوسي مثل مقاييس تشير إبرته أولاً نحو أحد الطرفين ثم تنتقل إلى الطرف الآخر. تخبرنا الآن كم وجدت المجتمع قيمة وكم وجدته مملاً أيضاً. أيهما أصح؟

قدمت استنتاجي الخاص قائلة: "أعتقد أنك تبالغين في تقدير قيمة الطبقة الراقية وتقللين من شأن مواهبك. الطبقة الراقية لا تهم في شيء".

قالت لوسي: "أختلف معك في الرأي. يمتلك الآلاف العشرة، الذين يشكلون الطبقة الراقية، قوة عظيمة، وربما أكثر من ذلك لأن ملوكنا الجدد لا يُظهر الكثير من الثبات والتصميم. تتأثر طبيعته الرئبية إلى حد كبير بمن حوله، وبما هو راجح في الوقت الحالي. لذلك، تستطيع الطبقة الراقية أن تصنع أو تدمر

شخصاً عن طريق قبوله أو نبذه لأن إرادة الملك تخضع إلى ما يميلون إليه".

قلت: "لا أستطيع أن أتخيل مثل هذا التأثير. بالنسبة إلي، محظوظ هو من سيتلقى حبك ورعايتك، وسيتمتع بمزايا هائلة تفوق أقرانه".

أو ما إدوارد نحوها، وقال: "هذا ما أفكّر فيه بالضبط. لوسي، أنا أبارك اليوم الذي تزوجت فيه أوغندي. وبفضل حسن اختياره، نحن جميعاً مجموعة سعيدة تنعم بعطفك".

قالت لوسي: "وأنا مدينة لكما لإقناعه بطلب يدي للزواج. آه، لكم يسعدني أن تعتبر أنت وجين نفسكم محظوظين لوجودي! أعلم أنني قد أكون مسلطة في بعض الأحيان. وكنت أفكّر مليئاً في هذا الشأن. وأقترح أن نستفيد بشكل جيد من الأيام الثلاثة التي سنقضيها في عربة المسافرين في القطار. لدى قائمة بجميع عروض الأوبرا والحفلات الموسيقية والمسرحيات التي تعمل الآن في لندن. وأخص بالذكر أوبرا تانكريدي للمؤلف روسيني في دار الأوبرا الإيطالية".

تساءل إدوارد: "تانكريدي؟ هل هي مقتبسة من مسرحية تانكريدي التي كتبها فولتير؟".

أجابت لوسي: "نعم، هي نفسها. تعيّد فاني كوري بالتونى تأدبة الدور الرئيس".

رد إدوارد بحماس أكبر مما سمعته منذ أيام: "هذا ممتاز. لم تذهب جين إلى الأوبرا من قبل، وأنا أتوق لمرافقتها. سمعت قبل بضع سنوات أن كوري بالتوني تقوم بجولة في أوروبا".

قالت لوسي: "نعم، وهذه الأوبرا متطلبة للغاية، مع نغمتين طويتين وما لا يقل عن أربع ثنائيات".

انخرط إدوارد ولوسي في الحديث عن الموسيقى. ورغم أنني أعزف البيانو (بشكل مناسب) وأغني (بشكل مقبول)، إلا أن مهاراتي في هذا المجال، باعتراف الجميع، ضعيفة. يعد إدوارد مغنياً بارعاً، ويتمتع بموهبة صوتية رائعة. أثارت مناقشة الميزو سوبرانو (تعني سوبرانو متوسط، وهو نوع من الأصوات الغنائية النسائية) اهتمام إدوارد.

شيئاً فشيئاً، يبدو توقيت هذه الرحلة مناسباً لاحتياجات الجميع. يمكننا ترك فيرندين لجهود البناء، ومرافقه لوسي وهي تتظر وصول إيفانز، ومقابلة السيد ليبرنر للتحدث عن منصب الطبيب هنا في المقاطعة، والحصول على رأيه في بصر إدوارد المتلاشي.

نعم، ستكون مفيدة للجميع، باستثناء... باستثناء ذلك الصوت الصغير بداخلني الذي يتوق إلى العزلة والحياة المتواضعة.

لكن لدى لوسي خطط أخرى؛ فقالت: "جين... ستحتاجين إلى فستان لترتديه إلى الأوبرا. يجب أن نتحدث عن الأنماط

والألوان الملائمة لك. يمكنك زيارة صانع الفساتين الخاص
بـي لتحصلـي على الشيء المناسب لأـي حدث".

قلت: "لدي فستان حريري جميل برتقالي اللون سيكون
مناسـباً تماماً".

ارتسمـت ابتسامة متسامحة على وجه لوسـي وهي تقول:
"كلا يا عزيـزـتي. لن يكون كذلك بالتأكيد".

أعتقد أن صديقـتي مخطـئـة؛ لكنـي تغاضـيـتـ عنـ الأمـرـ.

رفع إدوارـد فنجـانـ الشـايـ وقالـ: "إـلىـ لـندـنـ!".

فـاتـبعـتـ خطـاهـ،ـ وـقـلتـ: "إـلىـ لـندـنـ!".

الفصل ٥

فقدت عربة الركاب المغطاة التي تجرها الخيول خلال الحريق في ثورنفيلد هول؛ لذلك قادنا جيمس في عربته المفتوحة إلى ميلكوت؛ حيث سركب عربة ركاب مغطاة إلى لندن. كانت الليلة التي قضيناها في تلك القرية ممتعة، باستثناء أن السيد كارتر أصر على أن نتناول العشاء في منزله. وقبل إدوارد عرضه قبل أن تناح لي الفرصة لأشاركه مخاوفي.

أعلم من التجارب السابقة أن السيدة كارتر تعتقد أن زواجنا شيء مخجل. وللأسف، تشكلت آراؤها عن طريق التعليقات السيئة التي أذاعتها الأرملة الليدي إنجرام وابنتها بلانش.

كانت المقاطعة كلها تتوقع، في وقت ما، أن يتزوج إدوارد من الجميلة بلانش إنجرام. كلاهما من الخيول الممتازة، وعائالتهمما جiran منذ وقت طويل. وتحظى بلانش باحسنان كبير لجمالها الرائع؛ بينما لم يصف أحد زوجي بأنه جذاب على الإطلاق، لأن ملامحه تفتقر إلى الأبعاد الكلاسيكية. ورغم التناقض في الجمال والاختلاف الشاسع في الأعمار (رغم

أنه ليس كبيراً مثل الفرق بين عمري الذي يبلغ اثنين وعشرين، ويقل عن نصف عمر إدوار الذي بلغ متتصف الأربعينيات)، اعتقاد الكثيرون أن إدوار وبلانس مناسبان بعضهما البعض.

لكن لم يكن قلب بلانس يحمل أي حب حقيقي لإدوارد. في الواقع، كانت عائلة إنجرام تبحث عن الثروة فقط. ولكي يفضح زوجي جشعهم، نشر إشاعة تقول إن دخله لا يتجاوز ثلث قيمته الحقيقية. وفي غمضة عين، رفضته عائلة إنجرام كخاطب لابنته.

وعندما اكتشفوا أنهم تعرضوا للخداع، وشرع إدوارد في الزواج من مربية -أنا- اعتقدت بلانس وأمها أنها ضحيتان. ورددتا بتشويه اسمي أمام القاصي والداني. ووافت السيدة كارتر فريسة لأكاذيبهما. عرفت الكثير في المرة الأخيرة التي سافرت فيها عبر ميلكوت إلى لندن لزيارة أديل؛ لكنني اخترت عدم مشاركة تلك الأخبار مع زوجي. ما الفائدة؟ لماذا أتسبب في إزعاج إدوارد؟ نحن نقدر رأي السيد كارتر. وإذا اعتقدت السيدة كارتر أنني غير مناسبة، فهذا لا يهمني على الإطلاق.

لكن غضبها جعل هذا الوضع غير مريح، على أقل تقدير. وبينما يستمتع زوجي الآن بالسيجار في حديقة كارتر، تركتني السيدة كارتر، أنا ولوسي، فجأة في غرفة الرسم، واستطعنا، من خلال جدران المنزل، سماعها وهي تؤنب

زوجها. لحسن الحظ، كانت إميليا قد أخذت أديل ونيد إلى الخارج لتنفس الهواء النقي، وإنما سمعوا أيضًا السيدة كارتر وهي توبخ زوجها على شخصيتها المتدينة.

همست لوسي: "يا إلهي! لا عجب أن الطبيب يسافر إلى لندن كل شهر. هناك سبب يدفع الرجل المسكين للهروب. لكن، بحق السماء، ما سبب كل هذا الهجوم عليك؟".

قلت بهدوء: "صاحبة السعادة بلانس إنجرام ووالدتها البارونة إنجرام أرملا إنجرام بارك".

قالت لوسي بهدوء: "آه. إذاً حتى السيدة كارتر سمعت أن السيدة إنجرام تلومك على سرقة إدوارد روتشرست من ابنتها الكبرى، أو بالأحرى، سرقة ثروة روتشرست منها. وكأن بلانس لا تستمتع بكونها لا تزال مرغوبة في سوق الزواج. ورغم أنها تكبر في العمر كل يوم؛ إلا أنها لا تزال ترفض الخاطبين. وبصراحة، ترى بلانس الأمر تسلية، وتدللها والدتها وتقبل ما تفعله. لقد مرت عشر سنوات تقريبًا منذ أن ظهرت في البلط الملكي. ورغم أن جميع أقرانها تزوجوا ويعيشون حياة سعيدة ويربون أبناءهم، إلا أنها لا تزال تظهر في الماكس، وتغازل الرجال ذوي الألقاب وتتودد إليهم".

سألت: "ما هو الماكس؟".

أجابت لوسي: "نادٍ اجتماعي، وهناك إقبال شديد على الاشتراك فيه. إنه المكان الذي من المرجح أن تلتقي فيه

امرأة غير متزوجة بخاطب بعد ظهورها الرسمي لأول مرة في المجتمع".

سألتها: "وهل رأيت بلانش إنغرام هناك؟".

أجابت: "أحياناً، فهو مكان رائع لرؤيه الناس والظهور. لا يتجاوز الأمر بيبي وبين وبلانش إيماءات التحية، لكن الليدي إنجرام أخت زوج صديقتي العزيزة أوليفيا غرينجر. و كنت سأعرفك على السيدة غرينجر في آخر مرة كنت فيها في لندن؛ لكنها كانت في باث للاستشفاء بالمياه الحرارية العلاجية".

قلت: "حسناً، أياً كانت عيوب المجلة بلانش إنغرام، لا بد أن السيدة كارتر تعتقد أنها رائعة للغاية".

"نعم". جاء هذا الرد مع تنهيدة من صديقتي.

رن جرس العشاء، وتجمعننا حول مائدة عائلة كارتر. لو كان إدوارد قادرًا على رؤية النظارات المهمينة التي صوبتها السيدة كارتر نحوه، لغضب من سلوك تلك المرأة. وفي الحقيقة، قرصتُ ساق لوسي بشدة لكيلا تقفز عبر المائدة وتطعن مضيفتنا بشوكة. وكافح السيد كارتر المسكين طوال المساء، وأرسل نظرات استرضاء لي أولاً ثم إلى زوجته؛ لكنها رفضت تلك الإشارات باستهجان.

ذهبت إلى النوم في تلك الليلة في نزل عربات الخيول وأناأشعر بالامتنان لستار الظلام الذي سيمكتني من التخلص من التعبير اللطيف المصطنع الذي تجمد على وجهي. وانجرفت

أخيراً في النوم وأنا أتخاذ من ظهر إدوارد القوي مأوى لي ومن تنفسه المنتظم مصدرًا للطمأنينة.

كانت الرحلة إلى لندن مرهقة. ولم يستطع نيد فهم سبب اضطراره إلى البقاء محشوراً في هذه المساحة الصغيرة لمدة ثلاثة أيام. جاء الركاب وذهبوا، وكان الكثير منهم يتعلون أحذية موحلة، وقرر القمل في رأس أحدهم ترك منزله السعيد والبقاء معنا. سحقت دستة أو أكثر وهي تزحف على ذراعي.

لا بد أن العربية نفسها كانت تفتقد النوابض وتسبب غيابها في تضخم تأثير كل نتوء وحفرة على طول الطريق الشمالي، وبدا أن سائقنا يوجه العربية نحو أي بروز أو صخرة في طريقنا. لا بد أنه يعتقد أن رؤية مدى ما يمكن أن يتحمله الركاب من قعقة العظام أمر مسلّ.

أرهق تأرجح عربتنا معدة إميليا المسكينة، وتسبب في تهوع الفتاة بشكل بائس حتى سقطت في النهاية مغمى عليها. حاولت لوسي إفادة الفتاة، بينما كافحنا أنا وإدوارد وأديل لإبقاء نيد بعيداً عن أرضية العربية. لم تكن ألعاب نيد تثير الكثير من اهتمامه؛ لكنه أعجب بالقش الذي كان تحت أقدامنا. كنت أرتجف كلما قدم لي حفنة من السيقان الجافة المغطاة بالطين والوحل والمخلفات.

وفي نهاية رحلتنا، تآلمت عضلات فكي من الانقباض، وتوجعت ذراعي من المصارعة مع نيد. ولا حاجة للقول

إن الأجزاء السفلية لدلي كانت تعاني الألم أيضاً من الاهتزاز والارتطام المستمر بالمقاعد. لكم أحسد الذين يمتلكون حشواً إضافياً فوق عظامهم!

أخيراً وصلنا إلى لندن، ونحن متsequون ومتعبون ومتلئون بالحشرات. التقينا بويليامز، سائق عربة لوسي، في نزل العربات ونقلنا بسرعة إلى ٢٤ غروفينور سكوير، حيث تجاهل بروس دوغلاس، شقيق لوسي، حالتنا القدرة وشعرنا الأشعث، ورحب بنا في منزل أخيه.

ذكرني العريف بروس دوغلاس بالرمز اليوناني هيليوس. ببشرته التي صقلتها الشمس، وخصلات شعره الذهبية، وبريق الحزم في عينيه، كان نموذجاً يرغب أي فنان في رسمه. ولم يمنعه من أن يكون جميلاً سوى أنه المصاب في المعارك وشاربه الضخم. كان مقامرًا انهما، ورفيقاً لطيفاً يحب الشراب، ويعمل بمثابة وكيل تحقيق، حيث يتعقب اللصوص ويحل المشكلات التي تخرج عن نطاق اختصاص الشرطة. ومثل أخيه الكبرى، يمتلىء السيد دوغلاس بالكثير من المفاجآت، لأن كلاً منها كان أكثر تعقيداً وولاً واطلاعاً على المعارف الغامضة مما قد يفترضه المرء عندما يقابلها للمرة الأولى.

لحسن الحظ، يمثل هيغينز، كبير الخدم، وبولي، خادمة لوسي، الأفضل في مجالهما. وهما يعشقان سيدتهما، ولم يأنفا من حالتنا البائسة. بل ألقى كلاهما نظرة واحدة، وقيما

حالتنا المؤسفة، وشرعنا في اتخاذ الاستعدادات اللازمة للاعتناء بنا. كنت أتوق إلى الحصول على رعايتهم؛ لكنني رافقت لوسي أولاً إلى غرفة الرسم الخاصة بها حيث وضعت خطاب الملك في خزانتها القوية. وخلال وقت قصير، اغتنسلنا جميعاً، وتخلصنا من الحشرات، وذهبنا إلى الفراش للحصول على بعض الراحة التي كنا في أمس الحاجة إليها.

وبينما كنا نحن البالغين نحاول الحصول على قسط من النوم، اكتشفت نيد وأديل أن بروس دوغلاس "عم" رائع يعرف بالضبط كيفية الترفيه عن الأطفال الذين يشعرون بالمملل، وأن هيغينز كان خصماً سهلاً أمام السيد الصغير وعزيزتي الفرنسية، أو هذا ما سمعته في صباح اليوم التالي على المائدة في غرفة الطعام. خلال الإفطار، تحدثت أنا ولوسي وشقيقها وزوجي عما يمكن أن نراه ونفعله في المدينة. وبينما أجلس في ارتياح وأقضم الخبز المحمص أثناء تناول مزيج لوسي المفضل من الشاي الأسود مع البرغمونت، خطر لي أنه ربما تكون الحياة المدللة في لندن ما تحتاج إليه عائلتي بالضبط.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٦

رغم الملامح المألوفة والعينين اللوزيتين، لم تكن المرأة في المرأة تشبهني كثيراً. يرتدي انعكاسي شريطاً من الحرير الأزرق في شعره ليمسك بمجموعة من ريش النعام الأبيض وقطع القماش المتدرلية من غطاء الرأس، ويطل قميص تحتي من الساتان الأبيض بأطراف مطرزة من الزهور الزرقاء من تحت التنورة الزرقاء المزينة بوريدات زرقاء ومجموعات من اللؤلؤ الصغير، ويرتدي فوق الفستان عباءة بذيل طويل باللون الأزرق القاتم مزينة بوريدات زرقاء. وعلاوة على ذلك، كانت عارضة الأزياء الغريبة تلك تحدق في وجهي وهي تلبس قفازات من الساتان الأبيض تمتد من أطراف أصابعها إلى ما بعد المرفقين. والتلف حول رقبتها عقد من الألماس ينعكس عليه ضوء الشموع ليصنع أقواس قزح بـ مليون لون رائع.

لا ترتدي جين إير، المربيّة، مثل هذه الملابس المبهّرجة.
لكن ربما تفعل السيدة إدوارد روتسيستر، زوجة المبجل، ذلك.

من المؤكد أن المرء قد يسعى إلى حل وسط.

رفعت الطية الزرقاء والفضية لأغطي فتحة الصدر وكيفي
بشكل مهذب.

وبختني لوسى قائلة وهي تعيد الثناء حول ذراعي لكي
تكشف عن المزيد من بشرتي: "كلا كلا كلا! يجب أن يعانقك
هذا الشال بهدوء، ولا يقييك بقوة كأنك طرد. كما يجب أن
تظهرى ألماس روتشيسنر. يتلاءم بريقه مع بريق عينيك".

اختلست لوسى نظرة من فوق كتفي في المرأة لترى
انعكاساتنا. اختلطت أغطية الرأس المزدوجة من ريش النعام
في موجة من الزغب الأبيض الناعم. ورأيت وراءنا الديكور
الفخم باللونين الأبيض والذهبي لغرفة الضيوف. ووقف
رااغز، كلب لوسى الأبيض الصغير اللطيف، يراقبنا من السرير،
وهو يهز ذيله.

قلت: "لكتنىأشعر بأننى مكسوفة للغاية. وهذا ليس
صحيحاً".

قالت لوسى: "إنه ليس مكسوفاً فحسب بل مطلوب أيضاً.
يضع الملك قواعد الملابس في البلاط الملكي، وقواعد
الملابس أمر تفرضه آداب السلوك في المسرح. على الأقل،
أصدر جورج الرابع مرسوماً يقضي بـ لا نرتدي أطواباً تحت
تنوراتنا. لكن لا يزال من المتوقع وجود فتحة الصدر والذراعين
المكسوفتين وريش النعام". أتعجبت لوسى بعملها اليدوي؟

حيث كان صانع الفساتين يتبع تعليماتها عند صنع ثوبِي الفخم. أردفت: "تنظرين إلى صورة، ولا أطيق الانتظار لتقديمك. هل أدعوك أختي؟".

قلت: "هذا شرف لي".

سرعان ما سيدرك أي واحد يقارن خصلات لوسي الشقراء بشعرِي الداكن الناعم أننا لا ننتمي إلى العائلة نفسها. ورغم ذلك، إذا وضعَت المظاهر الخارجية جانبياً، فقد يكتشف المرء أنني ولوسي نحمل بعضنا تجاه بعض مودة تنافس تلك الموجودة بين أي شقيقتين.

قالت لوسي: "بولي؟ أعتقد أننا لن نعود إلا في وقت متأخر جدًا. يؤسفني أن أو قظمك؛ لكننا سنحتاج إلى مساعدتك بالطبع".

قالت بولي: "نعم يا سيدتي". وبدت عليها السعادة وليس الانزعاج.

تعامل لوسي مع خادمتها بألفة أكبر مما تبديه معظم السيدات مع خادماتهن؛ وبدلًا من أن يشجع هذا بولي، الخادمة الشابة، على التصرف بوقاحة، بدا أنها سعيدة بمساعدة سيدتها على ارتداء ملابسها في المناسبات الاجتماعية المهمة.

ألقيت نظرة اشتياق على فستاني البني المصنوع من المسلمين، ثوب متواضع للغاية قد أبدو فيه امرأة متواضعة،

المرأة التي كنت عليها من قبل. لاحظت بولي ووضعت
الفستان على ذراعها.

قالت بولي: "سانظر هذا من أجلك وأصلاح التمزق،
سيدة روتسيستر". التمزق! حتى ذلك يبدو رمزاً الحالتي الذهنية
المتضاربة.

قالت لوسي وهي تدبرني حتى التقت أعيننا: "أعدك،
سيكون هذا المساء كشفاً. إلهاءً. تذكيراً بما يمكن أن يقدمه
العالم الأكبر لكليكم. حتى الآن".

قلت وأنا أمسك بيدها: "لوسي، أقدر كل ما تفعلينه؛ لكنني
أشعر براحة أكبر في ملابس أكثر تواضعاً. نحن ذاهبون إلى
دار الأوبرا المشاهدة عرض مسرحي. لماذا سيهتم أي شخص
بما أرتديه؟".

هزت لوسي رأسها وقالت: "هناك الكثير لتعلميه. يتمثل
جزء كبير من الترفيه الليلة في مشاهدة الجمهور. كل شخص
في لندن سيحضر الليلة لمشاهدة عودة كوري بالتوني المجيدة
إلى مسرح لندن. سوف يستغلون هذه الأمسية في معرفة آخر
الشائعات. وسيحتاج الممثلون والمعنون إلىبذل كل جدهم
لتسمع أصواتهم خلال الهرج والمرج".

لمست الشال وشاهدت الخيوط الفضية تتلاألأً بشكل أكثر
إغراءً. أعطتني لوسي إياه بمثابة هدية زفاف؛ ولذلك أعتز به.

قلت: "هل سنحظى بكل هذا الاهتمام؛ لأن مقصورتك بارزة جدًا؟".

قالت: "هذا أحد الأسباب فحسب. ومن ناحية أخرى، روتين المناسبات الاجتماعية بأكمله ممل للغاية؛ لذلك يضفي ظهور أي شخصية جديدة الإثارة التي يحتاجها هذا المزيع كثيراً. لن تريدي سرقة الأضواء من الآخرين، أليس كذلك؟ وبصفتك وافدة جديدة على الساحة الاجتماعية، غداً ستكونين موضوع الساعة".

قلت: "لا أرغب في أن أكون موضوع الساعة. سأذهب إلى الأوبرا لأن زوجي حريص على إحياء ذكرياته المتعلقة بسماع كوري بالتونى، وليس لأنني أرغب في لفت أنظار الآخرين".

قالت: "نعم، هذه هي المشكلة. لا يمكنك فعل أحدهما دون الآخر".

وضعت بولي ذيلي عباءتنا على ساعدينا لكي لا نتعثر بهما، وشمت رائحة زنبق الوادي، عندما دفعتني لوسي نحو الباب.

أعترف بأنني جررت قدمي قليلاً، وجرجرت الصندل الحريري الجميل. قلت: "ألن يكون لدى الآخرين موضوعات أكثر أهمية لمناقشتها؟ مثل صوت كوري بالتونى؟".

أجبت: "آه! ماذا يعرف المجتمع عن الموهبة الموسيقية؟ ليس كثيراً، أؤكد لك. لكن رؤية وجه جديد في المقصورة في

المستوى الخامس، هذا موضوع يمكنهم الاستمتاع به كثيراً.
فكري في الأمر على أنه مزحة كبيرة، وأنتِ مستعدة تماماً
لدورك".

أكاد لا أفكر على هذا النحو.

في الحقيقة، شعرت ببعض الاشمئاز.

الفصل ٧

تردد صدى الأصوات الرجالية المهيبة عن الأرضية الرخامية في صالة الاستقبال في منزل عائلة برايتون، حيث كان زوجي والسيد دوغلاس يتحدثان في هدوء. بدا شقيق لوسي رائعاً في ملابس السهرة؛ لكنه لم يكن شيئاً مقارنة بزوجي. سقطت خصلة على جبين إدوارد، وزحف الشعر الأبيض مؤخراً إلى الشعر الداكن في سوالفه. أعتقد أن علامات النضج هذه إضافة تزيد سحره الطبيعي جاذبية.

كان الاثنين يتحدثان عن محاكمة كارولين من برونزويك، زوجة الملك جورج الرابع. أصرت كارولين على أن يُطلق عليها زوجة الملك الحاكم، كما يحق لها؛ لكن يريد الملك منها من حضور توبيجه بعد شهرین. وجمع الملك أدلة بذيئة لإثبات خيانتها الزوجية. وسارت الإجراءات ببطء، بينما كان جورج الرابع يخطط لحفل توقيع رائع لم يُر مثله من قبل. لكن في الخريف الماضي، حُكم بأن كارولين غير مذنبة، واندفعت الحشود في الشارع بفرح. أياً كانت عيوب كارولين، فإنها

تضاءل كثيراً أمام سلوكيات الملك المسرفة، وإنفاقه الخارج عن السيطرة، وتجاهله الصارخ لعامة الناس.

طفت ضحكات أديل وابننا نيد الذي تحمله إميليا بين ذراعيها على أصوات الرجال المنخفضة.

نبه قرع مروحة لوسي على الدربزين المصنوع من خشب الجوز الجميع إلى وصولنا. وحافظت لوسي على تقدمي بيدها الأخرى، حتى وقفت أنا وهي عند قمة السلالم لتيتح الفرصة للجمع الصغير في الأسفل لرؤيه عظمتنا، بينما سبقنا راغز في نزول السلالم، وهو ينبع طوال الطريق.

صفقت أديل، تلميذتي السابقة التي يرعاها إدوارد، بحماس، وبذا عليها بهجة حقيقة وهي تقول بالفرنسية: "جميلة جداً! عظيمة! سيدتي العزيزة، أنت رائعة".

أطلقت أديل سيلاً من الجمل الفرنسية بلا انقطاع حتى انقطعت أنفاسها، بما في ذلك التعليق المتسرع بأن "الطائر الصغير تحول إلى طاووس جميل".

لم أصحح ما قالته وأوضحت أن الطاووس ذكر وأن الطاووسة أقل منه جمالاً؛ لكنني احتفظت بالتعليق لتعليمها لاحقاً. حالما يعلم المرء مدرساً، يصبح تصحيح الأخطاء رغبة ملحة، ليس لأن المعلم يؤمن بتفوقة الطبيعي؛ بل لأن الأخطاء أرض خصبة للجهل.

بينما كانت أديل تقفز من قدم إلى أخرى، انتقلت الروح الاحتفالية إلى نيد الذي انفجرت صيحاته وضحكاته الطفولية. خاطب إدوارد أديل بالإنجليزية، واقتصر عليها إظهار التحفظ الذي يعجب به الإنجليز في الشابات اللاتي ينحدرن من عائلات عريقة. لكن صاحب هذا التأديب عاطفة دافئة في صوته؛ ورغم أن أديل عضت شفتها، إلا أن تعبيرات السعادة لم تفارق وجهها.

قال السيد دوغلاس بينما نزل أنا ولوسي السلالم: "يا له من جمال يسر العين! السيدة روتشرستير، يذكرني ثوبك بزهور الجرس في الربيع في الغابة؛ لكن يشبه بياض ريش النعام الثلج المتساقط مؤخراً".

إن السيد دوغلاس طيب القلب. ذكر هذا الوصف من أجل إدوارد فحسب. نظر زوجي إلى ولوسي، وهو يكافح لرؤيتنا بنفسه. وهو قلبي بين قدمي عندما أدركت هذا الدليل الإضافي على التدهور المستمر في رؤيته. كانت طريقة ولوسي في تزيين منزلاها، والتي تمثل إلى الإفراط، تعني عدم وجود ممرات واضحة في منزلاها، ما زاد من صعوبة محاولات إدوارد للاعتماد على نفسه. وقبل ذلك بساعات قليلة، تعثر إدوارد في مسند قدم مطرز ووقع أرضاً؛ فخشيت على سلامته.

وعندما ساعدته ليقف على قدميه، اعترف بأن قدرته على الرؤية تقل شيئاً فشيئاً كل يوم، وقال: "كنت أرجو أن أخفى الأمر عليك يا حبيبي جين".

كنت قد أرشدته نحو كرسي بظاهر مرتفع، وأمسكت بمسند القدم وقربته منه.

قلت قبل أن آخذ مكانني على المقدد المنخفض: "اجلس هنا يا سيدي". وجلست ووضعت رأسي على ركبتيه حتى يتمكن من تمشيط شعري. وتساءلت في صمت عما سيحدث لزوجي عندما لا يستطيع شق طريقه في العالم دون مساعدة.

ثم قلت بهدوء: "سيد روتشستر، أعتقد أننا قد اتفقنا على ألا تكون هناك أسرار بيننا".

فقال: "آه، وكأني أستطيع إخفاء سر! كنت تشتبهين بالأمر يا فتاتي العزيزة. وليس هناك ما يدعو إلى تأكيد ذلك وإزعاجك أكثر". بدا صوته مرحاً. ثم أضاف: "بهذا المعدل سأصاب بالعمى التام في غضون شهر أو شهرين".

قلت لأطمئنه، وأنأ ألف ذراعي حول ساقيه: "لا، لا يا حبيبي". كانت الخصوصية ترفاً في منزل لوسي المزدحم. "أنا واثقة بأن السيد ليرنر يستطيع مساعدتك. وبالنسبة لرعايتك بعد ما حدث، أعتقد أن فكرتك عن تعينه للعمل لدينا وبين المستأجرين فكرة جيدة. وأياً كانت العقبات التي تواجهها رؤيتك، فإنها لا تزال جيدة. وحالما تلتقي بالسيد ليرنر، إذا أعجبتك قدرات الرجل، يمكننا الاستعانة به. نحن بحاجة إلى طبيب آخر في المقاطعة، ومن واجبك أن تهتم بمستأجريك".

سألني: "ما شعورك حيال حقيقة كونه يهودياً؟".

قلت: "لست واثقة مما سيقوله المزارعون؛ لكن إذا حظي باستحسان السيد كارتر، أعتقد أنهم سيعطونه فرصة، أليس كذلك؟".

قال إدوارد: "أرجو ذلك". كانت يده الكبيرة تداعب وجهي. "لم أعتد من قبل أن أصلني من أجل نفسي، ولطالما بدا ذلك تعجراً من شخص حصل على أكثر من نصيبه العادل من هبات الحياة. ورغم ذلك، في لحظات غريبة، يشكل فمي الكلمات: (أرجوك، يا إلهي)، وتذهلني ضراوة رغبتي في استعادة جزء من بصرى على الأقل. ورغم ذلك، من أنا لأطلب أكثر مما لدى بالفعل؟ أي جاحد أكونه؟".

قلت: "لست جاحداً يا سيدى. أنت إنسان فحسب".

بعد ذلك بقليل، أخبرت لوسي عن تضاؤل رؤية إدوارد. قلت: "ربما يكون من الحكمة تبنيه خدمك إلى الأمر. لا أرغب -ولا أتوقع - أن تقومي بتغيير ترتيباتك المنزلية لتلائمها. ورغم ذلك، يمكنهم مراقبة الأمور التافهة التي قد تنذر بحدوث كارثة".

قالت لوسي: "مثل رماد سيجار يقع على كرسي مزخرف؟".

قلت: "عزيزي! هل حدث ذلك؟".

"نعم، لكن سرعان ما تم إخماده. لا داعي للقلق، لقد جاء خدمي إلى بالفعل فرادى ليقولوا إنهم يهتمون بالأمر".

شعر قلبي بالارتياح والامتنان وقلت: "كيف أجعلهم يعرفون أن جهودهم موضع تقدير؟".

قالت: "لقد شاركتهم بالفعل أعظم كنوزك، نيد وأديل. إن أصوات الأطفال في هذا المنزل مرحباً بها مثل صوت الأجراس في دار العبادة. صدقيني، إذا أبدى الخدم نصف هذه الفرحة عند وصول إيفانز، فسيمتلىء هذا المكان بالسعادة".

والآن بينما أشاهد شقيق لوسي وهو يأخذ زوجي بلطف نحو الباب الأمامي، تذكرت مرة أخرى كم أننا محظوظون بوجود مثل هؤلاء الأصدقاء المخلصين.

بعد توديع أديل وإعطاء نيد قبلة، أمسكت بذراع زوجي، وأمسك هيغينز براوغز إلا كان سيرافقنا بكل سرور إلى الخارج، ووجه السيد دوغلاس إدوارد نحو العربة عندما لازم جانبه الآخر. بالنسبة للمشاهد العادي، لن يبدو أي شيء خاطئاً.

بدأ زوجي - تكملاً لهذه الحيلة - يمزح مع لوسي حول مزايا صوت الكاستراتو مقابل صوت السوبرانو، ولاحظت كيف بدا مسروراً بحق. نعم، كان زوجي يدرك متالماً إعاقته؛ لكنني كنت أرجو أن تمنحه مثل هذه الإلهاءات المزيد من السعادة.

عندما جلست أنا ولوسي وإدوارد في مقاعdenا في العربة، مال السيد دوغلاس للخارج للتذكير ويليامز بأن وجهتنا هي مسرح الأوبرا الإيطالية في هاي ماركت.

قال إدوارد: "هاري ماركت؟".

قال السيد دوغلاس: "ربما لن تعرف على المكان. لقد أعيد تصميمه بالكامل. أحد المهندسين المعماريين زميل اسمه ناش. وهو أحد المهندسين المفضلين لدى ملوكنا الجديد".

تنهدت لوسي: "ومثل ملوكنا، رجل آخر يسعد بالإسراف. حيث يستطيع هذا المبنى الضخم أن يسع ألفين وخمسمائة إنسان".

لا أستطيع أن أتخيل الكثير من الناس في مكان واحد في وقت واحد. حث ويليامز الحصانين على المضي قدماً. نظرت من خلال الستائر وبدأت أستمتع بالمناظر الطبيعية التي نمر عليها، وأمسكت ببني自己 قبل أن أشير إلى معلم تافه لزوجي. ليس هناك حاجة لجعل إدوارد أكثر وعيًا بمحنته. وسعياً للتخفيف من غرابة اللحظة، قلت: "بالمناسبة، سيد روتشيستر، تبدو مبتهجاً للغاية ببقيتك العالية ومعطفك الأنثيق. وأنت أيضاً، سيد دوغلاس، تبدو أنيقاً".

ضحك إدوارد وقال: "أنا متيقن من أننا سنبدو متشردين بجوار جلاله الملك. يا له من متألق!".

قلت: "ماذا؟ هل تشير إلى أن جلالته سيكون حاضراً؟". قفز قلبي في صدرني. لم أتوقع هذا التحول في الأحداث.

قالت لوسي: "هذا محتمل. وربما مرجح أيضاً. لكنه غالباً ما يكون محاطاً بحشد كبير من الذين يسعون للحصول

على عطفه، خاصة أن الدعوات إلى التتويج مرغوبة للغاية. يسعى الموجودون على هامش دائرة إلى تحسين فرصهم في الحضور. ومن المحتمل أن نلقي نظرة أفضل عليه وهو يدخل مقصورته".

"الرسالة؟"، كان هذا كل ما يجب أن أقوله؛ حيث يعلم كل من في العربية بوجودها.

قالت لوسي لطمائني: "لا تزال في أمان، ولم أخبر أحداً عنها".

سألني زوجي بلطف: "هل أنت قلقة يا عزيزتي جين؟".

قال السيد دوغلاس قبل أن تتاح لي الفرصة للإجابة: "لا داعي لذلك". سرعان ما قام بدور الحامي، ولأنه يقصد أن يكون عتابه لطيفاً، فقد اعتبرته كذلك.

قال السيد دوغلاس: "كان ملكتنا مغرماً بالكتابة إلى عشيقاته. ومع اقتراب موعد التتويج، يشغل مبعوثوه بالبحث عن خطابات الحب الشاردة وشرائهما. وليس رسالتك سوى واحدة من رسائل عديدة". ثم ابتسם لي ليطمئنني.

قلت: "لكن هل سيكون هنا الليلة؟ الملك؟". لا أستطيع أن أحده ما إذا كان الارتجاف الذي اجتاحتني نتيجة الإثارة أم الفزع. في النهاية، من كان يعتقد أنني - الفتاة اليتيمة التي ذهبت إلى مدرسة خيرية - سأرتقي وأصل إلى هذه المكانة العالية؟

لم أحلم مطلقاً بإلقاء نظرة خاطفة على صاحب الجلالة في مملكتنا، الذي يمكن القول إنه أقوى رجل في العالم. وبغض النظر عن مدى الفوضى أو الإحباط، هذا حاكمنا، ولا يزال كذلك.

أتمنى أن ألقى نظرة فاحصة عليه.

قال السيد دوغلاس: "لا يستطيع المرء أن يعرف مسبقاً ما إذا كان سيحضر أم لا؛ لكنه يستمتع بالعرض. بالأحرى يتخيّل نفسه أحد هواة المسرح، أو هذا ما سمعته. إذا حضر هنا الليلة، فربما يرافق الماركيزة كونينغهام، عشيقته الأخيرة. إنه يعجب بهن باستمرار على نحو ينذر بالخطر".

قالت لوسي: "نعم، يحظى بامرأة تلو أخرى، ويشاع أنه أذب العديد من الأطفال غير الشرعيين؛ لكن هناك استياءً كامناً وراء أفعاله. المرأة الوحيدة التي أحبها حقاً ولا يستطيع الاحتفاظ بها إلى جانبه هي ماريا فيتزهيربرت التي تزوجها دون إذن والده. علاوة على ذلك، أخي العزيز، أنا واثقة من أن رسالة جين فريدة من نوعها، حيث يقر الملك فيها بأنه تزوج من ماريا وأن ميني سيمور ابتهما، ومن ثم، وريثة العرش، وإن كانت غير شرعية. إن حبه لميني معروف؛ فهي التي أطلقت عليه لقب (بريني) لأنها عندما كانت طفلاً لم تستطع قول لقب Prince (برينس أي الأمير). وهكذا أصبحا (ميني وبريني) للجميع". وجهت لوسي هذا الجزء الأخير إلىَّ.

سألت: "لماذا يحب هذه الفتاة بالذات بينما لديه أطفال غير شرعيين آخرون؟".

قالت لوسي: "إنه يحب ميني لأنه يحب والدتها. أليس هذا من الأسباب التي تجعل الآباء يتوقعون إلى الأبناء؟ ليروا حبهم لشخص آخر متجسدًا؟ ليست ماريا أجمل امرأة أعجب بها الملك. إنها أكبر منه بست سنوات، وترملت مرتين قبل أن يتزوجها في عام ١٧٨٥. والأسوأ من ذلك أنها ليست من العامة بل كاثوليكية رومانية! أنفها طويل جدًا وذقنها بارز جدًا، رغم أن عينيها ضخمتان وبشرتها خالية من العيوب. لكنها ودودة ولطيفة للغاية لدرجة أن كل من يقابلها يعجب بها".

قلت: "أنت تتحدين كأنك تعرفين السيدة فيتزهيربرت شخصيًّا".

أمالت لوسي رأسها نحوي وقالت: "كنا صديقتين لسنوات عديدة. أنا أحترمها وأقدرها. ميني عزيزتي، تكبرك ببعض سنوات".

قلت: "لا يزال هذا محيرًا. إذا كانت ميني ابنة ماريا فيتزهيربرت، فلماذا اسم عائلتها سيمور؟".

قالت لوسي: "من الناحية الرسمية، ولدت ميني لليدي هوريشا ونائب الأدميرال اللورد هيyo سيمور. لكن كل هذا خدعة، طريقة لحماية ماريا من القيل والقال. علاوة على ذلك، تقاد هذه الخدعة أن تتجاوز كل معقول. فعندما مات

آل سيمور، الواحد تلو الآخر بسبب المرض، ظلت ميني في المنزل مع ماريا. وحاولت أخت الليدي هوريشا الحصول على حق حضانة الطفلة لأنها تعلم أنها الطفلة المفضلة لدى جلاله الملك. هل تخيلين هذا؟ لكن إحقاقاً للحق، خاض ملکنا تلك المعركة الوحيدة في حياته لإقناع مجلس اللوردات بأن تحفظ ماريا بالطفلة وتربيها بمثابة ابنتها".

قلت تعبيراً عن أفكارى عندما وصلت عربتنا إلى المسرح وانضمت إلى العربات الأخرى المتظاهرة: "إن هذا تناقض تام من جانبه".

تساءل إدوارد: "ماذا عن كارولين من برونزيك؟ هل ستكون هنا؟ أقر بأني أشعر بالفضول حيالها. من المؤكد أنها لن تكون فظة كما يصورها الناس".

قالت لوسي: "عاداتها الشخصية مروعة، وافتقارها للحياء إهانة لجميع النساء، وسلوكها غير لائق. هل تعلم أنها ظهرت علانية وثدياتها مكشوفان؟ وأنها أخبرت الزائرين صراحة بأنها تستمتع بالعلاقات الحميمة، ثم دعت ضيوفها للانضمام إليها في مثل هذه الأفعال؟".

شعرت بدماء الخجل تسري في خدي.

قال السيد دوغلاس: "ورغم ذلك يا أختي، يحبها عامة الناس. إنهم يتعاطفون مع محنتها. لقد تعرضت، مثلهم، لاستغلال ملکنا".

قالت لوسي: "عندما تقارنهما - الزوجة التي اختارها لنفسه مقابل الزوجة التي أجبره والده على الزواج منها - يسهل معرفة سبب تفضيل الملك لماريا".

قال السيد دوغلاس: "صحيح؛ ورغم ذلك يجب على الملك أن ينأى بنفسه عن السيدة فيتزهيربرت. خاصة الآن حيث لم يتوج ملّاكاً بعد".

أو ما إدوارد برأسه وقال: "التوبيخ. هذا هو المهم. يجب أن يُقدم إلى الشعب ويُهتف باسمه قبل أن يحظى بتقديرنا وولائنا. ربما يعتقد أنه بمجرد انتهاء الحفل، بعد ما يتم تعيينه وتتويجه ومباركته، لن يكون أمام الشعب خيار سوى قبوله على الرغم من كل هفواته".

هناك الكثير لأنزلعنه. لم تمنعني تربيتي أي فكرة عن السياسة الملكية. نعم، درست تراثنا الوطني؛ لكنني تعلمته مثلما تفعل أي طالبة، وأكرر ما قيل لي فحسب. لم يحلم أي من أساتذتي بتحدي الحق الإلهي للملك، وجميع الامتيازات المصاحبة له. ورغم ذلك، على المستوى الشخصي، كنت أؤمن دائمًا بأننا جميعًا متساوون في نظر الله، وأن الله أنعم علينا جميعًا ووهبنا حبه بالتساوي؛ لذلك من المنطقي أن يخطئ الملك ويتعثر مثل بقينَا.

وريما أكثر.

الفصل ٨

مرت علينا محفة قمتها مفتوحة وبرز منها عالياً ريش النعام فوق رأس الراكرة. كانت الستائر تحجب الراكرة؛ لكن ألقى لوسي نظرة خاطفة، وقالت: "الأرمدة الليدي سيفتون، إحدى الرعاة الذين يترأسون ألماكس. لقد تعرفت على الشعار الموجود على الأبواب وكسوة رئيس مجلس الإدارة. سياخذونها مباشرة إلى الباب الأمامي. لنر إن لم يفعلوا ذلك!".

بينما كنا نتحرك في الطابور، شاهدت الركاب يخرجون من العربات التي تسبقنا. ترتدي جميع النساء أغطية رأس من ريش النعام الأبيض مثلي، ما جعلنيأشعر بأنني أقل حماقة. واعترفت لنفسي، على مضض، بأن مراقبة موكب العربات والرعاة القادمين أمر ممتع للغاية. لم أر من قبل مثل هذه المجموعة الأنique في حياتي. وبينما تخرج السيدات من عرباتهن ويتوجهن نحو المدخل، تلألأّت مجوهراتهن في ضوء المشاعل.

بعد طول انتظار، جاء دورنا للنزول، فقفز ويليامز السائق من مكانه، وسبقنا ليضع لنا السلالم.

عندما نزلنا، وضعت أنا والسيد دوغلاس إدوارد بيننا لنساعده على المضي قدماً باطمئنان. وتحت ستار شالي الأزرق، أخذت ذراع زوجي. قال السيد دوغلاس، لمساعدة إدوارد في صعود السلالم، بطريقة عفوية: "الحمد لله، هناك أربع درجات فقط لنصل إلى المستوى الأول. ستجه إلى اليسار حالما نصبح بالداخل". ومع حركة الحشد الذي يحيط بنا، لم يلاحظ أحد كيف نوجه إدوارد إلى المبنى.

حالما دخلنا المسرح الواسع، رأيت المقاعد تصطف في نصف دائرة أمام المسرح، وأذهلني النشاط الذي يملأ المكان. وبينما تومي لوسي برأسها لهذا الشخص أو ذاك، شققنا طريقنا ببطء إلى الأمام. قفز الرعاء فوق المقاعد الخشبية للتحدث بعضهم مع بعض، أو للنداء على الباعة الذين يبيعون الأطعمة والمشروبات. وصرخ آخرون عندما تساقط عليهم شمع ساخن من الشمعدانات الهائلة المتبدلة من السقف، وكادت رائحة الخميرة والعرق والشمع تجعلني أتقيأ.

مشى ويليامز وراءنا، وهو يحمل سلة كانت الطاهية قد أعدتها. لا بد أنها ثقيلة لأنه كان ينفح ويلهث ونحن نصعد السلالم إلى المستوى الخامس نحو مقصورة لوسي. في كل مستوى، يقل عدد المقصورات وعدد الرعاء الذين يصعدون معنا إلى أعلى. وعند الوصول إلى أعلى مستوى، فوق الصالة

بأربعة مستويات، كان من السهل أن أدرك أسباب تلهف الناس على تلك الأماكن العالية. كان حجم هذه المقصورات والرؤية منها يتفوقان بشكل واضح على نظيراتها.

كانت مقصورة عائلة برايتون، أعجوبة هندسية، تبرز فوق الطابق الرئيس، ما جعلنا قريين جدًا من المسرح. وكان الجزء الأكبر من المقصورة عبارة عن منطقة مستطيلة لتناول الطعام يحيطها مجموعة من الستائر المحمولة الفاخرة العنابية اللون مع حاشية ذهبية. تستطيع لوسي وضيوفها، إذا رغبوا، الجلوس على الطاولة والكراسي في خصوصية عن طريق إغلاق الستائر، ورغم ذلك، كان جزء المقصورة الذي يواجه المسرح محاطاً على اليسار واليمين بجدران تمتد من السقف إلى الأرض في شكل م-cur، ما يتبع رؤية بانورامية لجميع المقصورات على كلا الجانبين.

وضع ويليامز السلة وانحنى ثم تراجع إلى مقعد في الخلف. كانت محتويات السلة رائعة. كانت لوسي قد أخبرت الطاهية بأن تعدد مجموعة متنوعة من الوجبات الخفيفة: دجاج مقللي وشرائح اللحم ونبات الهليون في الهلام اللحمي، وجزر مدهون بالعسل وخبز طازج وزبد ومجموعة مختارة من الجبن وفواكه مغمومة بالشيكولاتة وعدة زجاجات من النبيذ المبرد. ضحكت لوسي عندما أعربت عن دهشتي من هذه الوليمة وقالت: "نأتي أنا وبروس إلى الأوبرا كثيراً. وهذا ما نحضره

دائماً؛ لكنني أعترف بأنه أكثر إبهاراً من المعتاد الليلة لأنني أرجو إرضاء كل منكم".

ساعدها شقيقها على نزع معطفها وعلقه على أحد الكراسي المذهبة، وقال: "لا تدعني أسلوب اختي غير المتكلف يخدعك. لوسي مضيفة بارعة. يشيد الناس بحفلاتها، ويسعى الكثيرون وراء الحصول على دعوات لحضورها. عندما تستضيف حفلًا، تتحدث البلدة بأكملها عنه طويلاً. خلاصة القول، رغم أن لوسي مرنة بشكل رائع وتحسن التصرف تحت أي ظرف من الظروف، إلا أنها منارة مشرقة جداً للأسلوب الذي تتطلع إليه الطبقة الراقية باهتمام كبير. وعلاوة على مآثرها وطريقتها الطبيعية، اضطررت إلى أن تتعلم هذا السلوك بمفردها. فلم يكن آباءنا يقيمون الحفلات".

عبست لوسي قليلاً وقالت: "هلا أكلنا؟"، وصفقت بسرعة. كتم الساتان الصوت؛ لكنه كان حاداً بدرجة كافية للإشارة إلى إعلان. أردفت: "هناك نبيذ الكلاريت بصحبة اللحم، وعنبر التوكاي مع البودينج، وبالطبع نبيذ بورت والنبيذ الأحمر. سوف يخدمنا ويليمز".

وحالما امتلأت أطباقنا أنا وإدوارد، وصفت له الأجواء المحيطة. أذهلتني كثرة الناس بالأسفل. لم تتوقف الضوضاء، عندما بدأ الفصل الأول بأربعة من المطربين؛ بل رفع الجمهور صوته فحسب ليسمع بعضهم بعضاً بدلاً من الضوضاء على المسرح.

تسلق الرجال بعضهم فوق بعض، وفوق المقاعد، وفوق أي عائق لتحية النساء أو للدردشة، وتتجول النساء اللاتي يرتدين جميع أنواع الملابس في الطابق الأول، ليبيع بعضهن الوجبات الخفيفة، ويهمنس البعض الآخر في آذان الرجال. وحلقت إلينا رائحة كريهة من الأجساد غير المغسولة. عندما نظرت من مكاننا المرتفع، وجدت بحر البشر في الأسفل يشبه باقة رائعة من الزهور التي تلعب فيها الوجوه المتوردة خجلاً دور الورود. وأحاطت أغطية الرأس الملونة والقبعات الحريرية المسطحة الثلاثية الزوايا الوجه العادي.

كان المشهد في المقصورات العلوية أكثر اتساقاً. حسب المراسيم الملكية، ترتدى جميع النساء ريش النعام في شعرها، واتبعت العباءات أنماطاً فاخرة متشابهة باللون الأرجواني أو الأزرق أو المائي أو البنفسجي. وبدت ملابس الرجال أقل تنوعاً، حيث ارتدوا جمیعاً معاطف قاتمة مع ربطة عنق بيضاء تبرز أمام صدرياتهم البيضاء، بالإضافة إلى البناطيل السوداء التي تصل للركبة والجوارب الحريرية، والصنادل. وباستثناء الألوان والتطاريز والأحجار الكريمة المختلفة، كانت جميع أزيائنا تكاد تكون متشابهة. وكانت لوسي محققة عندما أصرت على أن أرتدي ملابسي وفقاً لتعليماتها. فلقد كنت سأبدو مختلفة بشكل مرير في عباءتي الحريرية المتواضعة.

فجأة تغيرت نبرة الشرارة. رفع الموسيقيون آلاتهم ونظروا إلى المايسترو في معطفه الأسود الطويل، الذي رفع بدوره

رقبته لينظر عبر الحشد. وكان هذا شبه مستحيل لأن الحشد الهائل من الناس وقفوا على أقدامهم وتدافعوا.

قالت لوسي بهدوء وهي تسوي تنورتها: "الملك قادم. روسيني أحد المفضلين لديه. وبعد واترلو، زار الملحن لندن، وأقنع الوصي على العرش جواتشينو روسيني بالعزف معه على آلة التشيللو".

قال إدوارد: "كما أتذكر، لم يستطع جلاله الملك مواكبة السيد روسيني؛ لكن أشار الفنان إلى أن قليلاً من أصحاب السمو الملكي من يستطيع أن يعزف بشكل جيد، وهكذا حصل الملحن على الرضا الملكي مدى الحياة".

قالت لوسي: "هناك نوعان من الأشخاص لا ينساهم بريني أبداً: أصدقاؤه وأعداؤه". وظل وجهها صامتاً؛ لكن أشار اللون الأزرق القاتم في عينيها إلى تغير كبير في عواطفها، وشعرت بأنها ترتجف بجانبي. وعندئذ، أدركت أن هناك أموراً أخرى لا أعرفها عن لوسي برايتون، أموراً لا يوحى بها سلوكها المرح المعتمد.

تحدث إدوارد بصوت منخفض وقال: "سمعت أنه كانت هناك محاولات عديدة لاغتياله".

قال السيد دوغلاس: "هذا صحيح. يأمل الكثيرون في رؤية أحد إخوته على العرش، خاصة أن وفاة الأميرة تشارلوت قبل ثلاث سنوات تركت بريني دون وريث".

في غضون ذلك، شق الموكب الملكي طريقه إلى المستوى الخامس. ودخل خادم صغير القاعة، وصاح: "ليقف الجميع لجلالة الملك!".

نهضنا من مقاعdenا واتجهت أنظارنا نحو الفتحة في الستائر المخملية الفخمة. بعد الخادم ظهر ثلاثة أزواج من الجنود الذين يرتدون زياً أحمر. تمايلت الصفائر الذهبية على أكتافهم وصدورهم ولمعت أثناء إخلاء الطريق وتحريك المتفرجين جانبًا. وخلف الجنود جاء اثنان من الفرسان وهما يرتدان أزياء جميلة ومدهشة.

وانتشر رجال الحاشية الملكية.

همست لوسي وهي تهبط في انحصار عميق: "سيأتي الملك بعد ذلك". هبطت مثلها، وانحنى الرجال أيضاً. ولمحت، من طرف عيني، رجلاً ضخماً مرصعاً بالميداليات والشرائط والجواهر والملابس المبهجة لدرجة تذهل العين وهو يشق طريقه، وسيفه يقعق بجانبه، واستقر شعر مستعار أبيض اللون كبير الحجم فوق رأسه باعوجاج يكاد يبعث على الضحك. نهضت بيضاء في الوقت المناسب لأرى أنه كان بصحبة امرأة هائلة بالقدر نفسه ومزينة بشكل مفرط.

قالت لوسي بصوت خفيض: "الماركيزة كونينغهام. الليدي إлизابيث كونينغهام".

"أهذا ملکنا؟" بدت الكلمات كاللهاث. كان يُطلق على أمير ويلز ذات مرة لقب أجمل رجل في أمتنا، أو هكذا كان الجميع يقولون، للإشارة بسيقانه الرفيعة، وعيونيه المرحتين، وشفتيه الممتلئتين. لكن كان الرجل الذي يت卜ختر أمامنا، وهو يتكون بقوة على عصاه، بشعاً إلى أقصى حد. وحتى من الخلف، رأيت كيف تكافح سترته المطرزة لتقييد جسده الضخم. لا يستطيع شيء أن يخفى مظهره المنتفخ، ولا حتى ملابسه الأنثقة. وبدا العطر الذي ظل عالقاً في الهواء ثقيلاً بشكل مبالغ فيه، ومتخماً برائحة الياسمين والزيوت العطرية الأخرى.

وخلف الملك وعشيقته، جاء رجال ونساء البلاط الملكي، وارتدى العديد منهم زيًّا رسميًّا جميلاً من تصميم جلاله الملك. كان هدفهم هو تلبية كل نزوة للملك والصيَدة. لفت انتباхи وجه واحد في الحشد: فينياس ويفرلي، ضابط إنفاذ القانون في بوستريت الذي تعرفت عليه قبل بضعة أشهر عندما كان يحقق في وفاة زميلة أديل في المدرسة.

أشار السيد دوغلاس بذقنه في اتجاه مجموعة الملك وقال: "انظري! إنه السيد ويفرلي. سمعت أنه كُلف بحراسة جورج الرابع. يتفق معظمهم على أنه أفضل الضباط في بوستريت. أسألك كيف يحب منصبه الجديد".

أعلم تماماً أن ويفرلي يكره الغطرسة والخيلاء؛ لذا، أعتقد أن منصبه جعله لا يشعر بالارتياح. على الإطلاق.

الفصل ٩

حالما استقرت حاشية الملك في المقصورة الملكية، لوح المايسترو بعصاوه، وقرعت الطبول لتبدأ النشيد: "ليحفظ الله الملك"، وانضم المعنون الأربعه على المسرح. وعلى الرغم من سلوكيات ملکنا التي لا تعجب أحداً وشخصيته الفاسدة، فإنه كان لا يزال سيد مملكتنا، ونحن مدینون له بالولاء. لا يشكك أي منا في هذا.

استقر الحشد، وصعد رجل إلى المنصة وقدم الأوبرا. وببدأ العرض، وارتفع الستار. نقلنا سحر الموسيقى والأزياء والديكورات إلى الإمبراطورية البيزنطية، بقبابها الباهرة التي تشبه البصل والأقمشة الحريرية الفاخرة. وسرعان ما نسيت فيما كنت أشعر بالحرج في عباءتي ذات القصبات المنخفضة والقفازات التي تصل إلى المرفق. في الواقع، ذاب العالم الخارجي.

عندما انتهى الفصل الأول، لم أستطع التحرك، كنت مستغرقة في التفكير في قصة عائلتين وكفاحهما ضد جيش

العدو. بحثت يد إدوارد عنِي، وأعادتنِي ضغطة سريعة إلى أرض الواقع.

قال إدوارد: "أليست رائعة يا جين؟".

قلت: "آه، سيدِي! لم أتخيل مطلقاً أنَّ الأمر قد يكون بهذه الروعة. أشعر بالانبهار من كل هذه العظمة. كنت أتمنى لو كانت أدِيل قد أتت. ربما كانت ستُطير فرحاً".

قال إدوارد: "صحيح؛ لكنها كانت ستُلح علينا بشكل مزعج لكي نعطيها دروس الأوبراء". بدا صوته صارماً؛ لكنني أعلم أنه يدلل الطفولة الفرنسية مثلما يفعل أي أبو محب مع أبنائه.

قلت: "قد يكون هذا جديراً بالنظر. دروس الغناء ستبقىها مشغولة وسعيدة". احتفظت بهذه الفكرة لوقت لاحق وأنا أتحدث، عندما أكدت لي إيماءة من رأسه أنه يراها فكرة جيدة.

للاستفادة من الاستراحة، خرجنا من مقصورة لوسي، ونحن حريصون على وضع إدوارد بيننا. وسرعان ما انجرفنا وسط الحشد، بحر من ريش النعام الأبيض. حام الرعاة الآخرون حولنا، وأؤمنوا برؤوسهم وهم يتحدثون بعضهم إلى بعض. كانوا جميعاً رعاة من المستوى الخامس، لذلك من المفترض أنهم يشغلون الطبقة الاجتماعية نفسها.

كانت لوسي قد أصرت على أن ألبس الماس روتشيستر. مع هذه الرفقة، بدا الألماس الاختيار الأفضل، وكاد يبدو متواضعاً مقارنة باللآلئ الكبيرة وعقود الذهب التي تلبسها الآخريات.

في الأيدي المتمرسة، كانت المراوح الملونة مثل التي أحملها أنا ولوسي تتحدث لغتها الخاصة، وترسل رسائل مشجعة أو رافضة إلى السادة. تحدثت لوسي إلى العديد من المعارف، وقامت بعمليات تعارف سريعة، كل ذلك أثناء البحث عن صديقتها الليدي غرينجر. بقيت جانباً أراقب المحادثات الجارية، وأحرص على تسجيل كل ما يدور في هذه الأمسية في ذاكرتي.

وفجأة، رأيت لوسي تنبض بالإثارة وهي تقول: "ليدي غرينجر!أخيرا!!".

كانت الليدي غرينجر امرأة نحيلة ترتدي فستانًا رماديًا يتاسب مع عينيها الذكيتين وشعرها الرمادي الداكن. بدت كأنها في أوائل السبعينيات من عمرها، وساهم الزمن أو الإهمال في ظهورها بشكل مرهق مع شيء من الأنفة التي تتحدث عن أيامها الخوالي. تبادلت الاشتتان القبلات على الخد. كانت السيدة غرينجر أقصر بكثير من لوسي ما دفع صديقتي إلى أن تنحنى لها. اقترب السيد دوغلاس وانحنى لتقبيل يد المرأة.

قالت الليدي غرينجر: "سيد دوغلاس، من الجيد أن أراك! عزيزتي لوسي، لقد عدت! هل سمعت أخباراً جديدة عن إيفانز؟ آه، أنا متحمسة جداً من أجلك. وهو ما يذكرني، لقد تحدثت إلى كلامور في ذلك اليوم. المحامي الخاص بي. يجب أن أخبركم...".

توقفت المرأة عن التحدث، عندما لاحظت أنها نصف وراء صديقتي.

أشارت لوسي لي وإلى إدوارد وقالت: "هل تسمحين لي أن أقدم صديق زوجي العزيز المبجل إدوارد روتشر وعروسه؟ إنهم عائلة روتشر من ثورنفيلد هول في يوركشاير. كنت ضيفة عليهم مؤخراً وهم الآن ضيوفى".

انحنى لها احتراماً وانحنى زوجي أيضاً.

قالت الليدي غرينجر: "بالطبع! لقد تحدثت لوسي عنكما بكل ود. السيد روتشر، أنت ابن إدموند رولاند روتشر؟ كان رولاند أخاك الأكبر؟". ساورني القلق، لأنني أدرك كيف تمثل علاقة إدوارد بوالده وشقيقه جزءاً مؤلماً من حياته، وقتاً مليئاً بسوء الفهم وخيبات الأمل.

قالت الليدي غرينجر: "اقرب من فضلك". ورفعت عدستها للقاء نظرة فاحصة على زوجي، وفي المقابل، كاد إدوارد يطأ قدمها؛ لكن جعلها هذا الخطأ تبتسم. وفي تلك اللحظة الصغيرة، قررت أنني أحب تلك المرأة كثيراً.

قال إدوارد: "أنا هو يا سيدتي. لكنني لا أمتلك القدر نفسه من الذكاء الذي يتمتع به الآخرون في عائلتي". كالعادة، أجده إدوارد ساحراً؛ لكنني تأثرت، في هذا الوقت، بشجاعته. لم يتصرف بمثابة رجل يكاد يصبح أعمى. على العكس من ذلك،

حافظ على كرامته ومكانته اللتين تشكلان جزءاً لا يتجزأ من شخصيته. أذهلتني جهوده، وأسفت على العناء الذي تكبده لأداء هذا الدور بشكل جيد.

قالت الليدي غرينجر: "كان زوجي الراحل، بيرترام، اللورد غرينجر، يعرف والدك جيداً. أتذكر ثورنفيلد هول، خاصة الأسوار الضخمة. من المؤسف أنه احترق بالكامل. خسارة فادحة لعائلة روتشستر وما يحيطها. لدينا منزل ريفي لا يبعد كثيراً عن ميلكوت. هذه أقرب قرية إلى ملكيتك، أليس كذلك؟".

قال إدوارد: "بالفعل". بدأ هو والسيدة غرينجر مناقشة كيف نمت المقاطعة، بينما كنت أدرس كتلة الرعاه الذين يتحركون من حولنا. لاحظت مرة أخرى كيف - كما أكدت لي لوسي - أتاح لي الزي الفخم فرصة الاندماج بالفعل. وعلى الرغم من عدم ارتياحي، شعرت بالامتنان لإرشاداتها.

انشغلت بالتفكير في اختلاس النظر إلى الملك وعشيقته، وهما يقنان وسط حشد من المتملقين الذين يتنافسون على جذب انتباهه. لكن توقف استراق النظر فجأة، عندما استدارت السيدة غرينجر نحو الحشد وأشارت لآخرين بأصابعها وقالت: "أعتقد أنكم تعرفون جيداً زوجة أخي، البارونة إنجرام من إنجرام بارك، وبنتيها، بنتي أخي، السيدة بلانس المجلة والأنسة ماري؟ إنهن ضيوفاتي".

على الفور، أصبحت يدي باردة كالحجارة في جدول متجمد؛ رغم أن وجهي أحمر غضباً. عندما كنت معلمة لأديل، كانت عائلة إنجرام تحب السخرية من المعلمات كثيراً، ويعلنون أنهم يجدوننا جميعاً "incubi". في ذلك الوقت، كنت راضية عن نفسي رغم غضبي من هذه الإهانة، ولم أصحح لهم أن "incubi" تعني ذكور الشياطين، وأن المصطلح الذي يفترض بهم قوله هو "succubi" (شيطانة).

نادت السيدة غرينجر على شقيقة زوجها، الأرملة الليدي إنجرام، وأشارت لكي تنضم المرأة وبنتها إلينا: "سيلفانا؟" التفت النساء الثلاث إلينا. فشددت عزيمتى. ليس هناك طريقة لتجنب اللقاء بهن الآن.

لكن لم تكن لدى رغبة في تبادل التعليقات المهدبة مع قبيلة إنجرام. تشتراك كل من بلانش وماري وأمهما في العيوب أنفسها: لم تكن عقولهن مفكرة، وكانت قلوبهن قاحلة لا تعرف الرحمة بل تنشغل بالحسابات الباردة. ولو كانت بلانش تعرف الود، أو تمتلك القدرة على التفكير لنفسها أو حتى قدرًا ضئيلاً من التعاطف، لربما عانى كيانى كله من آلام الغيرة، لأنها امرأة جميلة للغاية، ويفترض أنها واحدة من أفضل الفارسات في المقاطعة، وهي شخصية تظهر تميزها على الدوام في الصيد.

في هذه الحالة، تصارعت مع مشاعري، وأجبرت نفسي على البقاء حيث كنت بينما تقدم الثلاثي نحونا.

على أي حال، يحق لي الوجود هنا مثلكن تماماً.

تجمع نساء إنجرام الثلاث بين البنية القوية والمشية المتعجرفة، بالإضافة إلى أنوفهن المرفوعة عالياً التي تشير بوضوح إلى غرورهن المبالغ فيه. ورغم ذلك، هذه الأمسية، كانت بشرة بلانش السمراء في العادة شاحبة للغاية، وتشير الحالات الداكنة تحت عينيها إلى تعكر حالتها المزاجية. خفضت الأرملة الليدي إنجرام مروحتها لتحقق في لوسي ببرود. وعندما تحدثت الأرملة، بدا أنها تفعل ذلك من باب التفضل علينا. قالت: "نعم، سيدة برايتون، أتذكر اجتماعنا، وقد رأيتكم في الماكس. أنت صديقة للسيدة فيتزهيربرت، أليس كذلك؟".

أومأت لوسي برأسها وقالت: "إلى جانب أمور أخرى".

تابعت السيدة غرينجر: "أعتقد أنك تعرفين أيضاً السيد بروس دوغلاس شقيق السيدة برايتون".

قال السيد دوغلاس: "هذا شرف لي"، وابتسم إلى عائلة إنجرام وانحنى، وطبع قبلة على يد كل واحدة منهن. استمتعت بلانش ووالدتها بتحيته؛ لكن ظلت ماري، أكثر الثلاثة جفاءً، تتحقق في قدميها دون أن تكلف نفسها عناء تغيير الجمود المرتسم على وجهها. "لا أحظى كثيراً بشرف مقابلة ثلاث جميلات يحملن اللقب نفسه". كان يتحدث بإخلاص تام؛ لكنني لاحظت بريق العبث في عينيه.

قالت بلانش: "سيد دوغلاس، أنت لطيف للغاية"، ورفرت رموشها، واقتربت منه قليلاً؛ لكن تمكّن السيد دوغلاس من التراجع عن طريق التظاهر بمساعدة لوسي على ضبط شالها على كتفيها.

واستدارت الأرملة لحث ابنتها الصغرى على التقدم؛ لكن ظلت ماري تحدق بعيداً كأنها تفضل أن تكون في أي مكان آخر غير هنا.

أعرف بالضبط ما تشعر به.

ورغم ذلك، لست جبانة. أنا زوجة إدوارد روتشيسنر، سأقابل استنكارهن برأس مرفوع، لأنه لا يوجد ما يدعوني للخوف من أيٍّ منهم. على أي حال، في المناوشة التي تقاتلنا فيها أنا وبلانش من أجل مشاعر إدوارد، أُعلن فوزي على الفور.

قالت لوسي: "ليدي إنجرام؟ المجلة بلانش؟ آنسة ماري؟ اسمح لي بأن أقدم لكن أصدقائي الأعزاء. السيد إدوارد روتشيسنر وعروسه". شددت لوسي على الكلمة الأخيرة، وتنحت جانبًا لأظهر أنا وزوجي.

قالت الأرملة الليدي إنجرام: "نعم، بالطبع نعرف المجل روتشيسنر. إنه جارنا".

مد إدوارد يده اليمنى، من وراء تنورتي، وأمسك بيدي بإحكام. وظهرت الحدة في صوته وهو يقول: "وزوجتي. أعتقد

أنك قابلتها أيضًا". وشدني إلى الأمام قليلاً، فأصبحت أقف أمام عائلة إنجرام مباشرة. كان بإمكاني الشعور بنظرات بنتي إنجرام الثاقبة، وهما تفحصان ملابسي باهتمام. ومرة أخرى، شعرت بالامتنان تجاه لوسي التي أشرفـت على مظهري. أعلم أنني أبدو، من جميع النواحي، زوجة لعضو من طبقة النبلاء.

وكما يقتضي الموقف، انتظرت أن تخاطبني الأرملة الليدي إنجرام؛ لكنها أدارت رأسها بعيداً عن إدوارد ببطء شديد، وتحركت عيناهـا حتى انهالت علي نظراتها الشرسة والقاسية. ومرت ثوانٍ طويلة. وأخيراً، ابتعدـت ببطء وبشكل متعمـد لكي تتجاهـلني وهي تقول: "طقـس جميل، أليس كذلك سيد روتشيسـتر؟ هل هناك أحد آخر نعرفـه؟".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٠

لم يتحدث أحد. ولم يتحرك أحد.

فكرت في اختياراتي، وفي النهاية رغم وقاحة الليدي إنجرام، قررت ألا أجيبها بالمثل. إن السماح لها بإملاء أفعالي علىَّ سيمنحها القدرة على التحكم بي. وبدلًا من ذلك، بدأت الانحناء المتوقع نحوها؛ لكن عندما حركت قدمي، أمسك إدوارد بذراعي وصرخ: "إياك!" بنبرة منخفضة لم يسمعها أحد سوالي. ولدهشتي، تبع هذا بصوت يشبه زمرة منخفضة. ونظرت إليه فرأيت الغضب الذي ارتسم على ملامحه.

أفرزعني غضبه الشديد. وبشكل لا إراداي، التفت نحو لوسي للحصول على تفسير؛ لكنها تجمدت مكانها بشكل غير طبيعي، بوجه يخلو من أي تعبير. وسمعت أنفاس السيد دوغلاس المتتسارعة، وشهقت الأرملة الليدي غرينجر بصوت مرتفع، ولم تدخر جهداً لإخفاء صدمتها. وفي هذه الأثناء، ضاقت عينا بلانش وارتسمت على شفتيها ابتسامة متكلفة. وبدت أختها ماري كأنها تنسحب.

كان لا بد من أن يحدث مثل هذا اللقاء في نهاية المطاف. تخيلت ذلك عدة مرات، والآن تستطيع مخاوفي أن تهدأ، لأن الواقع لم يكن أسوأ مما تصورته. حتى تلك اللحظة، كانت أمسيتنا ساحرة، لذلك قررت أن أستمر كأن شيئاً لم يكن. لن أعطي إنجرام الرضا عن سلب سعادتي.

لكن... بدا أن إدوارد ولوسي والسيد دوغلاس والليدي غرينجر أكثر تأثراً مني.

في النهاية، ابتعدت الليدي إنجرام عنا وبدأت بالتحدث إلى الليدي غرينجر بصوت منخفض، والتفت بنتا إنجرام حول والدتها وعمتها، للاستماع.

ارتجم صوت لوسي وهي تهمس في أذني: "كان هذا تجاهلاً فظيعاً. سمعت عن مثل هذه المعاملة؛ لكنني لم أر من قبل مثل هذا التوبيخ العلني، مثل هذه الضربة المميتة".

ضحكـت وأخذـت أـذكر العقوـبات التي تحـملـتها في حـياتـي، وقلـت: "ضرـبة مـمـيـة؟ أنا لا أـزـفـ. ما زـلت أـقـفـ على قـدمـيـ. لا أـشـعـرـ بـأـيـ أـلمـ. في الـوـاقـعـ، أـفـضـلـ عدم التـعـرـفـ على الأـرـملـةـ الليـديـ إنـجـرـامـ. هيـ وـبـنـاتـهاـ لاـ يـعـجـبـنـيـ عـلـىـ الإـطـلاقـ!".

قال إدوارد: "أنت لا تفهمين يا جين. أنت بريئة جدًا بحيث لا تدركين ذلك". كان صوت زوجي فظًا جدًا، ومنزعجاً جدًا، لدرجة أن المروحة وقعت من يدي.

انحنى السيد دوغلاس لاستعادة المروحة. وعندما أعادها إلى، تحدث بهدوء شديد وقال: "ثقة بي. ليست لديك فكرة عما تحملته للتو. الأرملة الليدي لم تسئ إليك فقط؛ بل وجهت أيضًا ضربة مروعة إلى لوسي، لأن اختي تقوم برعايتها. هذا توبيخ شديد لها أيضًا. لقد تعرضت كلتاكم للإهانة".

أيقظني هذا. في بينما أستطيع الضحك على هذا الأمر والعودة إلى بلدتي، لا تستطيع لوسي ذلك. ستعيش وتموت هنا في لندن، إلا إذا اختارت أن تتبع زوجها أو غيّر مرة أخرى إلى الهند.

قلت: "آه، لوسي، لا أقصد مطلقاً أن أسّب لك الألم".

أمسكت لوسي بيدي وعصرتها؛ لكنها لم تقل شيئاً. ورأيت الدموع تتلألأ في عينيها.

تسبب لي بؤسها في الشعور بالإحباط التام. عادة ما تكون لوسي رائعة في الأزمات، وقدم هذا سبباً آخر لدهشتي من ردها. كيف استطاعت الليدي الأرملة أن تسبّ لها مثل هذا الضيق؟

قال شقيقها بلهفة: "لوسي، عزيزتي، هوني على نفسك. سيمر الأمر بسلام".

قالت لوسي وهي تمسح دمعة انحدرت على خدّها: "كلا، لن يمر بسلام. ستتعرض لحصار طويل وبغيض".

"آه! مساء الخير!", قاطع صوت مألف الأجراء المتواترة وحركنا جميعاً، كأننا ساعات في حاجة ماسة إلى اللف.

انحنى فينياس ويفرلي لي أولاً ثم لبقية أعضاء مجموعة مجموعتنا، ولا يظهر على وجهه المنفك سوى القليل من الحماس. وكالعادة يحمل عصاً سوداء تحت ذراعه. أعلم من رؤيتها في السابق أن أحد طرفيها يحمل شعاراً ملكياً من الذهب يرمز لمسؤولية ضباط إنفاذ القانون في بوستريت تجاه التاج. تحدث السيد ويفرلي بصوت مرتفع، بأنه يصدر إعلاناً. قال: إنها لمفاجأة سارة أن أراك هنا، ليدي روتشيسنر. في الوقت المناسب، أيضاً. سمع جلالة الملك أنك في المدينة ويعرب عن رغبته في مقابلتك."

لفت تحيته انتباه الليدي إنجرام، واقتربت أكثر لفقد الوافد الجديد وقالت: "مقابلتها؟ لماذا؟ لماذا يهتم الملك بمربيه عاديه؟".

فجرت شرارة تلك الإهانة بركان الغضب.

زمني إدوارد: "كيف تجرئين؟"، لكن أمسك السيد دوغلاس بذراعه وانحنى إلى أذنه، وقال: "توقف! اهدأ! ألا ترى أن هذا ما تريده بالضبط؟ كل العيون عليك".

كان محقاً تماماً، حيث تجمعت مجموعة صغيرة من المترجين لمشاهدة هذه الدراما.

استدار السيد ويفرلي نحو الأرملة، وأخذ يتفصّلها من وراء نظارته. عرفت من وضعية كتفيه، والحدة التي ارتسمت على فمه أنه أدرك افتراء الليدي إنجرام علىي، ولم يسعده هذا على الإطلاق.

قال السيد دوغلاس بشيء من الجاذبية: "اسمحوا لي بأن أقدم السيد فينياس ويفرلي. إنه كبير الضباط في بوستريت، وهو مكلف حاليًا بحراسة جلالة الملك".

أدّر السيد ويفرلي ظهره فجأة لعائلة إنجرام وقال: "ولهذا السبب يجب أن تكون زيارتي موجزة". كان يرتدي معطفاً قصيراً وصديرية رمادية شهدت الكثير؛ لكن لمع حذاؤه كالزجاج. ورغم أنه ليس طويلاً مثل إدوارد أو السيد دوغلاس، إلا أنه يتصرف بطريقة تحول دون أي استهجان لسلطته. لم ينحِ لعائلة إنجرام أو الليدي غرينجر عن قصد، إذ لاحظت الامتعاض على شفتى الأرملة. ورغم ذلك، أدّر ظهره لها وهو يقول: "سيدي، يجب أن أعتراض على تخمينك. لدى أسباب كافية تدعوني لاعتقاد أنه لا يوجد شيء عادي بشأن الليدي روتسيستر. لا شيء! إنها استثنائية من كل النواحي، ويُود جلالة الملك أن يشيد بسلوكيها الجدير بالثناء وينبغي على كل مواطن أن يفعل ذلك. بفضل شجاعتها الفريدة، قدم قاتل إلى العدالة". رفعت الليدي غرينجر عدستها لتفحص ويفرلي وقالت: "حقاً؟".

قالت الليدي إنجرام: "زوجة إدوارد روتسيستر متورطة مع قاتل؟ هذا غيرائق على الإطلاق. بالطبع، ما الذي يتظره المرء؟ إنها لم تتجاوز مكانتها لتتزوج من مبجل فحسب، بل انحدرت أيضاً لتخالط بالمجرمين أيضاً".

صرخت الليدي غرينجر في أخت زوجها: "سيلفانا! لقد حذرتك!".

زمني إدوارد وقال: "كيف تجريئين؟ لو كنت رجلاً، لبارزتك".

لكن قبل أن يتمكن زوجي من الاستمرار، انتقم لي السيد ويفرلي. وبخ ضابط إنفاذ القانون في بوستريت الأرمدة الليدي وقال بأنه يلقي إعلاناً عاماً: "قدمت الليدي روتسيستر خدمة رائعة للتايج. لقد قامت بوصفها معلمة بالقبض على قاتل شرير خنق طفلة حتى الموت".

شهق جميع الرعاة الذين تجمعوا حولنا وكانوا ينتصتون علانية.

التفت ويفرلي إلي وقال: "شجاعة الليدي روتسيستر أمر أكيد لا جدال فيه، وكذلك شخصيتها. يود الملك أن يشكرها بنفسه. ليدي روتسيستر، هل تفضلين بالانتظار هنا؟ سأرافق الملك في طريق عودته إلى المقصورة الملكية. عندما أخبرته بأنني رأيتكم في الحشد، طلب صراحة أن أقدمك إليه حتى يعرب لك عن امتنانه".

همست لوسبي في أذني: "هذا شرف لم يحدث من قبل". سألت: "ماذا نفعل؟"، حيث لم تسنح لي الفرصة لدراسة البروتوكول الملكي.

أجبت لوسبي: "قدمي له التحية، وانتظري ليبدأ الحديث، ولا تحاولي لمسه، ولا تديري ظهرك له أبداً. وإذا اضطررت إلى المغادرة، بعد الحصول على إذن منه، تستمرين في النظر إليه وتتراجعين بظهورك للوراء. الإجراء المعتاد هو أن يأخذنا السيد ويفرلي إلى صاحب السيادة، حيث نقف في طابور لرؤوية جلاله الملك، وربما يتم تقديمنا في النهاية. أو قد يرسل إليك ملاحظة تدعوك إلى الظهور في البلاط الملكي. ولكن أن يأتي الملك إليك؟ إنه لشرف كبير حقاً".

أخبرتني نظرة واحدة على وجه إدوارد والسيد دوغلاس بأنها لا تبالغ. بدا كلا الرجلين مذهولاً؛ لكن سرعان ما تبدد هذا الذهول، حيث وقف الاثنان بمزيد من الاستقامة، وعدلاً معطفيهما.

فجأة، لم تعد إهانة الليدي إنجرام مهمة على الإطلاق. وانتابتني عاطفة جديدة: الكبرياء. ازدردت ريقني بصعوبة، بينما كانت الأفكار تتتسابق في عقلي. تتجه كل العيون إلي، ولست متيقنة من كيفية التصرف. هل أسمح لنفسي بأن أبدو سعيدة؟ هل أتحلى بالهدوء؟ هل أذكر نفسي بأنني أستحق هذا، لأنني بالفعل ساعدت في حل جريمة عاطفية؟ تصارعت كل من هذه المشاعر بداخلي.

تورد وجهي. وذكرت نفسي أن السيد ويفرلي رجل بارع في خدمة أغراضه الخاصة، وأشار اللمعان في عينيه عندما تحدث إلى أنه خطط لهزيمة الأرمدة الليدي إنجرام من خلال أفعاله. وبصفته ابن إسکافی، كان يعرف جيداً التباين بين من يحملون ألقاباً وبين الطبقة العاملة. وفي هذه النقطة، كنت أنا وهو حليفين قويين.

ربما لا يعدو الأمر أكثر من لعبة بالنسبة له. ربما لم يكن الملك وراء هذه المقدمة على الإطلاق.

في هذه الأثناء، وقفت عائلة إنجرام في ذهول، وتدلّت أفواههم من الصدمة.

الفصل ١١

حدوت حدو لوسي، وفتحت مروحتي لإنفاس ابتسامتي، عندما غادر السيد ويفرلي ليأتي بالملك. أخذ السيد دوغلاس يسعل ليداري استمتاعه بالأمر بشكل مهذب؛ لكن لم يتبدد التوتر البادي على إدوارد. أعلم أنه لا يزال مستاءً. إنه يثور غضباً في الحقيقة. قضت الليدي غرينجر هذا الوقت في سؤال لوسي عن إيفانز ووصوله المتوقع. وتحدثت الأرملة إنجرام وبتهاها فيما بينهن بنبرة منخفضة، لكنهن لم يَجْرُؤْنَ على المغادرة. أعتقد أنهن لا يزلن يأملن أن أتعرض للاحراج شديد.

وقفنا ننتظر في ترقب، بينما أشار انحناء المحيطين بنا إلى اقتراب الملك. ورغم أن السيد ويفرلي يتحرك بوتيرة سريعة في العادة، إلا أن خطوته الطبيعية تباطأت خلال مرافقة الملك إلى مكاننا. عندما وصل جورج الرابع وعشيقته، أظهرنا جميعاً احتراماً، وانحنى الرجال والنساء؛ لكن واجهت الأرملة صعوبة في الانخفاض والنهوض. وتبادلـت الليدي كونينغهام

والأرملة الليدي إيماءات التحية بعضهما مع بعض؛ لكن تولى السيد ويفرلي مسؤولية اللقاء بعد ذلك.

قال السيد ويفرلي: "جلالة الملك والماركيزة كونينغهام، اسمحا لي بأن أقدم لكم هؤلاء الأصدقاء الأعزاء للتأرج؟ السيد الليدي إدوارد روتسيستر، المبجل، بالإضافة إلى العريف بروس دوغلاس الذي تذكر جلالتك بالطبع أنه خدمك بشجاعة في كلكتا".

قبلنا يد ملکنا الواحد تلو الآخر. ومرة أخرى، أدهشتني الطريقة التي شوهت بها البدانة سمات الجمال النادر التي كان يشتهر بها فيما مضى. كانت عيناه دامعتين، والبقع تشوه بشرته، وأسنانه الصناعية تفسد مظهر فمه. وكما لاحظت سابقاً، كانت الماركيزة سمينة تماماً مثل رفيقها. نظرت من بين وسائل اللحم التي تعلو وجهها، ولمعت عيناه بطبع استحوادي جعلني أتراجع بشكل لا إرادي لأحمي نفسي، ووقفت الشعيرات في مؤخرة عنقي.

أخبرتني إحدى النظارات وراء الليدي كونينغهام بأن عائلة إنجرام لا تزال مصدومة من هذا التحول غير المتوقع في الأحداث. فارتجمف جسد الأرملة من الانفعال المكبوت، ورقص ريش النعام فوق رأسها نتيجة ارتجافها. ورغم ذلك، ابتسمت أختها، الليدي غرينجر، ابتسامة خفيفة، كأنها تعتقد أن هذا الحدث مناسب تماماً.

تنهد الملك، وهو يوجه تحيته إلى السيد دوغلاس وقال: "يا لها من متعة أن أقابل أحد رجال المخلصين. آه، كم أفتقد أيام الجندي! هذه الأوقات المجيدة التي مررنا بها في ساحة المعركة".

لم يجرؤ أحد منا على النظر إلى الآخر.

من المعروف أن ملكتنا لم يخض أي معركة قط. كان والده قد منع ذلك صراحة؛ لكن لم يمنع ذلك جورج الرابع من الادعاء بأنه خدم بوصفه محاربًا. كانت الخدمة العسكرية المزعومة لبريني أحد أوهامه الكبيرة، سيرة ذاتية مصطنعة يصر على تلبيتها حتى تصل إلى درجة عالية من التألق. وتظهر تخيلاته بوضوح في حبه لتصميم الأزياء الرسمية وارتداء تلك المجموعة الغريبة من الميداليات والجوائز التي تقع على صدره وتقطيع وتجلجل؛ لكنها لا تدل على شيء.

قال السيد ويفرلي: "وتذكر بالطبع أيضًا شقيقة العريف دوغلاس، الليدي زوجة النقيب أوغستوس برايتون، الذي يخدمك في موقع عسكري في مومباي".

قال الملك: "صحيح. واحد من أفضل الرجال. فارس بارع، أليس كذلك؟ كم امتنينا الخيول جنباً إلى جنب في المعارك، وسحبنا السيف! هل سمعت عن النقيب مؤخرًا؟".

ردت لوسي على نحو لا يتঙق مطلقاً مع طريقتها المعتادة، بصوت هادئ ورتب، وقالت: "نعم يا صاحب السمو الملكي.

شكراً لسؤالك. تعافي زوجي من نوبة أخرى من مرض النوم. هذه المرة السادسة، وكل مرة أسوأ من سابقتها. سأحرص على أن أكتب له وأخبره بأنك استفسرت عن صحته. سيسعد كثيراً عندما يعرف أنك تذكرته".

قال الملك: "بالطبع أتذكرة. كيف يمكنني أن أنسى؟ تلك الأيام في برايتون...".

مع تعبير جامح في عينيها، تصلبت لوسبي لكنها لم تقل شيئاً. وتحركت عيناً الملك وراءها وتفحصت الحشد الذي تجمع حولنا. ثم تجعدت شفتاه الممتلتستان وهو يفكر في رد فعله. قال: "في الواقع، أرجوك أخبريه بأنني أرسل تحياتي. وذكريه بأنني أهتم كثيراً بكل من يخدمون في المستعمرات".

قالت لوسبي: "بالطبع، جلالـةـ الملك. سيسـرهـ أنـ يـعـرفـ ذلكـ".

قال الملك: "اعذرـينـيـ ياـ سـيدـتيـ". وصمت قليلاً، ثم سـحبـ منـديـلاـ منـ الكـتانـ منـ جـيـبهـ، ومسـحـ عـيـنهـ، وأـرـدـفـ: "تـغلـبـنـيـ مشـاعـريـ، عـنـدـمـاـ أـفـكـرـ فـيـ التـضـحـيـاتـ الـتـيـ نـقـدـمـهـاـ نـحـنـ الرـجـالـ المـحـارـبـيـنـ حـتـىـ تـعـيـشـ بـلـادـنـاـ فـيـ سـلـامـ". وبعد ما قال هذا، وضع المنديل على خده برفق كأنه يمسح الدموع؛ رغم أنـيـ لمـ أـرـ أيـ أـثـرـ لهاـ. ومعـ ذـلـكـ، بـداـ مـخـلـصـاـ وـهـوـ يـمـسـكـ بـيـدـ لـوـسـيـ ويـقـولـ: "أـخـبـرـيـ النـقـيبـ بـرـايـتونـ بـذـلـكـ...ـ أـنـاـ لـمـ أـنـسـهـ. عـدـيـنـيـ بـأـنـكـ سـتـفـعـلـيـنـ ذـلـكـ".

كانت هذه رسالة؛ لكنني لم أستطع معرفة معناها الحقيقي. قالت لوسى: "سأفعل يا سيدى. هل تسمح لي بإضافة شيء لطمأنته؟ هل تسمح لي بأن أمنحه الأمل بأنه قد يعود إلى المنزل قريباً؟".

قال الملك: "آه، ليتني أستطيع ذلك! لكنني مشغول للغاية، وتتطلب أعباء الأمة الكثير مني، لدرجة أنني قررت ترك مثل هذه القرارات لجنرالاتي". وحرك الملك منديله كالمرودة، ثم وضع الماركيزة يدها على ذراعه بشكل تملكي.

قالت الليدى كونينغهام: "سيدى، أنت تهتم كثيراً بنا جمیعاً. وهذا يضر صحتك".

لم تتحرك لوسى.

أومأت الماركيزة باستهجان وقالت: "بالطبع، تفتقدين زوجك. يا لها من أعباء نحملها نحن النساء اضطراراً! غالباً ما يتولى الرجال الذين نحبهم واجبات ثقيلة بسبب مناصبهم. وإنني لأشعر بالقنوط عندما أفكّر في كيفية تعامل ملکنا العزيز مع العديد والعديد من الأشياء التي تتطلّف على وقته".

رفع الملك يد الماركيزة إلى شفتيه وقبلها بلطف، وقال: "دائماً ما تفكرين بي، عزيزتي الليدى إليزابيث، أليس كذلك؟ لا أحد يسعدني مثلك".

تنحنح السيد ويفرلي وأشار نحوى، وقال: "سموك، الليدى روتشيستر هي المرأة الشجاعة التي أخبرتك عنها".

نظر الملك إلى بعناية وقال: "أنت التي تغلبت على القاتل؟ أنت لست أكبر من عصفور صغير! ورغم ذلك، أثبت جدارتك بشكل مثير للإعجاب. أخبرني ويفري ب بكل شيء عن مهمتك. لقد انتقمت لشخص عزيز جدًا علي. فتاة ذكرتني بعزيزتي الأميرة تشارلوت".

والآن، امتلأت عيناه حًقا بالدموع. قال: "آه، الأميرة تشارلوت! لكم أحزن عليها! أخبروني بأنها بخير، هي وابنها على حد سواء، لذلك ذهبت للنوم سعيدًا بمعرفة أن المملكة لديهاوريث، صبي يتمتع بالصحة والعافية، وأنني أصبحت جدًا. يا لها من خسارة!", وانفجر باكيًا. وكان منديله يواكب بكاءه بصعوبة.

أيًّا كانت الهواجس التي ربما انتابتني بشأن أخلاق الملك، وأيًّا كان النفور الذيأشعر به تجاه بدانته، إلا أنني لا أستطيع أن أجاهل هذه المشاعر الحقيقة. هنا يقف رجل لا يزال يشعر بالانهيار بسبب فقدان ابنته وحفيده قبل أربع سنوات. ولكنه استطاع بطريقة ما أن يتمالك نفسه ويستعيد رباطة جأشه.

قال الملك: "أود أن تنضم إلي في مقصوري، ليدي روتشيستر. ويستطيع أصدقاؤك الانضمام إلينا أيضًا". لم تكن هذه دعوة؛ بل أمرًا.

هرب التوتر من وجه لوسي وحل محله الشعور بالارتياح. وتلاشى التصلب من وقفة إدوارد ببطء، وارتخت العضلات

المشوددة في فك السيد دوغلاس. نزل أمر الملك كالصاعقة على عائلة إنجرام، ولم يستطعوا إخفاء ذلك رغم محاولاتهم المستحبطة. وأشار التنفس السريع للأرمدة إنجرام إلى أنها فوجئت، بينما ضاقت عيناً بلا نش وشفتها معاً بشدة. وبدا أن ماري هي الوحيدة التي لم تتأثر بهذا، بينما ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجه الليدي غرينجر مرة أخرى؛ لكنها أخذتها على الفور.

قدم لي الملك ذراعه، وأخذتها، وأنا أدرك أنه سيعتمد علي في حمل جزء من وزنه الكبير. وبينما أعناني، كان يمشي بتثاقل على عكاذه المرصع بالجواهر، وبهذه الطريقة الغريبة، شققنا طريقنا نحو مقصورته. وهكذا، شعرت بالدوار من الإثارة تارة والقلق من المسؤولية عن شخصه تارة أخرى، وأذهلتني التقلبات العديدة التي حدثت هذا المساء. وبينما كنت واثقة من أن الأوبرا ستكون الجزء الأكثر روعة في هذه الأمسية، راجعت رأيي الآن. في يوم من الأيام، سأخبر نيد وأطفال نيد كيف دعاني الملك نفسه إلى مقصورته. وأنني لمسته، وهو شيء نادر جدًا لم يسمع به من قبل.

طلب السيد ويفرلي من خادم إحضار كرسيين من مقصورة لوسي. وقررت الماركيزة كيف تريد ترتيب هذه الكراسي. بالطبع، لم يكن باستطاعتنا فعل أي شيء حتى يجلس جلاله الملك على كرسيه الضخم. وأثناء الانتظار، وقفت أنا ولوسي والسيد دوغلاس وإدوارد مثل صفين من الدمى.

قال لي الملك وهو يربت على الكرسي الذي يقع على يساره: "تعالي واجلسي بجواري". وبعد أن جلست في مقعدي، مال نحوي، وأسنانه الصناعية تلمع في ضوء الشموع، وقال وهو يتحدث بصوت خفيض لم يسمعه سواي: "أعتقد أن لديك شيئاً يخصني، شيئاً قيمًا للغاية".

الفصل ١٢

"هل قرأت رسائل إلى بانسي بيلتمور؟".

لاحظت في هذا القرب أن عيني الملك جورج الرابع غائمان وأن عطوره الغالية لا تستطيع أن تخفي رائحة إفراطه في الشراب. ورغم نظراته المتعرجة، فإن شعره المستعار يكاد يقع عن رأسه، ولطخت بقع الطعام المختلفة ربطه عنقه المصنوعة من الدانتيل. صدمتني رؤية الملك المرهق المتتسخ على نحو مؤسف لا يوصف. وبدا مظهره الأشعث مخالفًا تماماً لمنصبه. وبينما كان يميل نحوي، انشغلت الماركيزة نفسها في تكريس الطعام الشهي على طبق من أجله.

قلت: "رسائل إلى بانسي بيلتمور؟"، على أمل كسب بعض الوقت. لم أتوقع أن يعرف أن هذه الرسائل بحوزتي. لكن لا ينبغي أن يفاجئني ذلك. على أي حال، لقد كلف أتباعه بتجميع رسائل الحب الخاصة به.

قال الملك: "أرسلتُ ويفري لاستعادتها بعد وفاة ابنتها. وقيل له إنك الشخص الذي حزم أغراض سيلينا المسكينة.

يقول ويفرلي إنك فتاة ذكية. ويعتقد أنها في حوزتك. هل هذا صحيح؟".

لم أستطع إجبار نفسي على الكذب؛ فقلت: "واحدة فقط. لقد أحرقت الرسائل الأخرى. كنت أنوي تدميرها كلها؛ لكنني تعرضت للمقاطعة".

قال الملك: "على ما أذكر، آه، تلقي إحداها الضوء على جانب يضر حياتي الخاصة كثيراً. بالطبع، قد يفترض المرء أن الملك لا يملك حياة خاصة. هناك تلك الحجة التي يمكن تقديمها بصدق".

التزمت الصمت ولم أقل شيئاً. يبدو أن هذا هو المسار الأكثر حكمة. ولمحت من زاوية عيني الرعاة في المقصورات الأخرى يشيرون إلينا، ويراقبون محادثتنا والطبيعة الخاصة لحديثنا. أعطته الماركيزة الطبق؛ لكن بدا أن انتباها يتوجه إلى مكان آخر، للحصول على المزيد من نبيذ الكلاريت.

سألني الملك: "هل ما زلت تمتلكين الخطاب الذي أشير إليه؟".

قلت: "بلّى"، والتوت معدتي. أثناء سعادتي بمقابلة جورج الرابع وفي أعقاب إهانة عائلة إنجرام، تراجعت مخاوفي بشأن الرسالة. والآن أويبح نفسى. كيف أكون بهذا الغباء؟ بالطبع لا يرغب الملك حقاً في التحدث معي ليثنى على شجاعتي. أراد

فرصة لاستعادة الرسالة: أعمق أسراره. سجل زواجه من ماريا فيتزهيربرت.

سألني الملك: "وماذا تخططين لها؟".

أجبت: "ليست لدى أي خطط لذلك". أصاب فمي الجفاف الشديد، وعلقت شفتي بأسناني.

عبس في وجهي وقال: "هناك العديد من الناس يستعدون لتقديم الكثير لامتلاك هذه الرسالة. الذين يتوقون للسيطرة عليّ".

قلت: "نعم. سمعت ذلك". وتساءلت لماذا لم يطلب مني إعادتها؟

قال الملك: "يقدرك ويفرلي كثيراً". ودق يابهامه على كرسيه؛ فطقق الخاتم الضخم الذي يلبسه بشكل إيقاعي.

قلت: "وأنا أيضاً أقدره".

قال: "يقول إنه يمكن الوثوق بك، وقد لاحظت حقيقة أنك لم تطلبي مني أي شيء؛ على الرغم من أنه يمكنك ذلك، مثلما فعل الآخرون".

لقد فكرت في هذا. لم أكن مغرمة بالغموض على الإطلاق. يتطرق الحديث الاعتيادي إلى جوهر الأمور، ويوسس الثقة، ويؤكد لجميع الأطراف أنه لا يوجد شيء خاطئ. شاهدت الماركيزة تماماً كأساً أخرى من النبيذ للملك.

قلت: "لماذا؟ لا أحتاج شيئاً. وإذا حدث شيء ما، فسوف آتي إليك مثلما يأتي أي واحد من رعاياك إلى جلالتك، خالي الوفاصل وبقلب مفعم بالأمل".

لأول مرة تظهر إنسانيته. كاد وجهه ينهاز من الارتياح، ويمكتني القول من الضعف أيضاً. لم أعد أحدق في الملك؛ بل شعرت بأنني أنظر إلى روح إنسان. رأيت أوجاع قلبه وإخفاقاته وهشاشته. وبدافع الاحترام، نظرت بعيداً ولأسفل، حتى التقت عيني بعيني كل شخص تقريباً في المسرح. كان الرعاة في الطابق الأول وفي جميع الطوابق العلوية يحدقون في وجهي بفضول.

كان هذا بالضبط نوع الانتباه الذي كنت أتمنى بشدة أن أتجنبه.

قلت: "سيدي...", و تعرضت للمقاطعة، عندما بدأت ستائر المسرح الواسعة تبتعد ببطء، وبدأت الأوركسترا تعزف الموسيقى الافتتاحية للفصل الثاني.

من الواضح أن محادثنا الخاصة انتهت. أمسكت الماركيزة بكم الملك، فانتهزت فرصة هذا الإلهاء، ونظرت إلى السيد ويفرلي. كانت نظراته ثابتة، وأعطتني بعض الراحة. إنه رجل جدير بالثقة. وبينما كنت أنظر إليه، رفع ذقنه قليلاً ونطق كلمة واحدة: "لاحقاً".

خلال تلك الأمسية، شرب الملك كميات من النبيذ الكلاريت لا يمكن أن يتحملها حصان. وجارت السيدة إليزابيث في تناول النبيذ كأساً بكأس. ولم ينسيا الطعام. كنت أعتقد أن سلة لوسي شيء مبالغ فيه؛ لكن كان صندوق الملك موكيتاً مستمراً من الصواني التي تجلب مجموعة متنوعة من الجبن وشراائح اللحوم والخبز الحلو والكعك، وأنواع مختلفة من الحلوي. وضعت السيدة إليزابيث بضع قطرات من زجاجة بلون العنبر في كأس النبيذ الكلاريت للملك، وقالت: "لأملك يا سيدي. أعلم كيف تعاني".

قال الملك بصوت متلعم: "آه يا ملاكي، يا كنزي. كل ما تفعلينه يسعدني. عزيزتي إليزابيث. أنت تهتمين بي كثيراً".
كان السائل لودانوم. هكذا قال الملصق على الزجاجة.

نظرت إلى لوسي؛ لكنها لم تتكلم. ورغم ذلك، عرفت ما تفكّر فيه بالضبط: كيف يمكن أن يشرب الكثير من النبيذ ويتناول اللودانوم ولا يزال واعياً حتى الآن؟

كان الانتباه إلى المسرح تحدياً لي، وأعتقد أنه كان أمراً ثقيلاً على تركيز الآخرين في مجموعة. كنا جميعاً نخشى احتمال أن يقع ملکنا في أي لحظة ويلفظ أنفاسه الأخيرة. ورغم ذلك، استمر فيما يفعله دون أن يبدو عليه شيء من التأثر. في الواقع، في أغلب الوقت، تجاذب الملك أطراف الحديث دون توقف خلال الأداء، وهو يهمس ويقبل السيدة إليزابيث بينما يمسك

كل منها بيد الآخر. بذلك قصارى جهدى للانتباه إلى القصة البطولية لتانكريدي. ورغم ذلك، كنت سأنأى بنفسي عن تصرفات الملك الغريبة فحسب، عندما نقر جلالته على كتفى للحديث عن نقطة غامضة في الأداء. أذهلتني معرفته بالتاريخ والموسيقى؛ لكننى كنت أفضل كثيراً أن أسمع جانبه لاحقاً بدلاً من وسط الغناء. خلاصة القول، تمكّن جلالته من إفساد الأداء بالنسبة لي. وعندما وقفنا في الجولة الأخيرة من التصفيق، دعوت الله أن تكون هذه فرصة مناسبة للوداع والمغادرة.

ورغم ذلك، ثبت أن ذلك مستحيل، لأن الملك قرر البقاء للتمثيل الإيمائي الذي أعقب ذلك. ونظرًا لأنه لن يذهب إلى أي مكان، لم يستطع أي من المغادرة أيضًا. أخبرتني نظرة واحدة على وجوه لوسي وإدوارد والسيد دوغلاس بأنهم متبعون مثلـي. لم يكن من المحتمل ألا يلاحظ الملك إجادـنا، لأنـه تشاءـب مع إدوارـد؛ لكنـه استـقر بجـسده المـمـتـلـئ بالـطـعام فوق الكرسي الضخم، وشرع في تـناـول المـزـيد من النـبـيـذ. في هذه المرحلة، كـنا أسرـى أـكـثـر من كـونـنـا ضـيـوـفـاً. أـخـبرـتـني بـصـيـصـ الرـضاـ في عـيـنـيه أـنـه يـسـتـمـتـع بـهـذـه السـيـطـرـة التـافـهـةـ. أـخـبرـتـني لوسي لاحـقاً قـصـصـاً عن حـفلـات الاستـقبـال الرـسـمـيـة حيث يـكـادـ الناسـ يـمـوتـونـ منـ الـوقـوفـ طـويـلاًـ عـلـىـ أـقـدـامـهـمـ، وـيـرـجـونـ أـنـ يـنـهـيـ حـاكـمـنـا الـاحـتفـالـاتـ؛ـ لـكـنـ استـمـرـ اللـيلـ حتـىـ الـيـوـمـ التـالـيـ. قـالـتـ لوـسيـ:ـ "ـيـبـدوـ أـنـهـ يـسـتـمـتـعـ بـمـعـرـفـةـ أـنـ الـآـخـرـينـ لـاـ يـشـعـرـونـ بـالـارـتـيـاحـ".ـ

تمنيت من كل قلبي لو لم ألت انتباهه مطلقاً.

غادر الكثير من الحشد، وتلاشى تألق الأمسيّة، وفقد المكان جاذبيته، وتعلق السخام في كل سطح، بينما احترقت شموع الطاولة حتى تحولت إلى نقاط صغيرة، وذابت كتل الشمع وتساقطت من الثريات فوق الرؤوس، وسُكّب الكثير من الجعة على أرضية الطابق الرئيس لدرجة أن رائحة الخميرة الحادة جعلت الهواء أكثر قرفاً.

آه، كم أتمنى العودة إلى الروائح الحلوة المنعشة لحقول الخلنج المحيطة بغير ندين !

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٣

أخبرت زوجي عندما أصبحنا بمفردنا في غرفتنا نستمتع بالدفء في سريرنا تحت الأغطية، بعد ما اطمأننت على نيد وأديل، وأصبحت أكثر استعداداً للراحة: "ما زلت لا أفهم سبب شعور لوسي بكل هذا الضيق. حيث الليدي إنجرام لوسي بطريقة جافة لكن مهذبة. وتجاهلها إياي أمر يخصني، يخصني وحدي".

تنهد إدوارد وفرك جبهته وقال: "زوجتي العزيزة البريئة. إن العادات الاجتماعية لا ترتبط بالعقلانية. انظري إلى نبذ الأرملة على أنه بقعة تمتد إلى الخارج وتلوث محیطها. لذلك، تسبب نبذها لك في موجة امتدت لتشمل لوسي أيضاً".

قلت: "وماذا في هذا؟ تمتلك لوسي أصدقاء وحلفاء وأشخاصاً يعجبون بها. أخبرنا شقيقها عن براعتها كمضيفة يحتفي بها المجتمع".

اقرب إدوارد من تقبيل جبهتي وأنفي وشفتي، وطفقت الوسائل تحته، وهو يقول: "كانت إهانة الأرملة شائنة جداً

وعلى الملا، ما سيفتح باب القيل والقال وتنطلق جميع الألسنة في جميع أنحاء لندن".

قلت: "لكن دعانا الملك لنجلس معه، ألا يعد ذلك شيئاً؟".

قال: "كيف يمكنني شرح ذلك؟ دعني أفكر. حسناً. عندما كنت تلميذة، هل كان في زميلاتك من يتصرف بشكل لائق أمام المعلمين ويتصرف بطريقة مختلفة تماماً وراء ظهورهم؟ هكذا الأمر. يجب أن تقدس الطبقة الراقية الملك إذا رغبوا في الاستفادة من عطفه وعطائهم؛ لكن بعيداً عن النبلة التي يمكن أن يمنحها، وبعيداً عن التحالفات مثل الزواج من أفراد العائلة المالكة والمناصب في البلات الملكي، لا يعني لهم الملك إلا القليل. لقد أثارت حقيقة أنه انتبه إليك فضولهم، واستحوذ استحسانه على انتباهم. لكن عالمهم مكان غامض. يرتفي كل واحد فيه على حساب صديقه. ويفضلون أن يكون لديهم سبب للنظر إليك - وإلى لوسي - شرراً، بدلاً من الإعجاب بهما. سيسعد المجتمع بافتراض أن لوسي تستحق نبذ الليدي إنجرام، وسوف يتجنّبونها. والأسوأ من ذلك أنهم سيتجنّبون إيفانز عندما يصل".

"آه!"... تسارعت أنفاسي عندما فهمت الأمر. كان اهتمام لوسي ينصب على إيفانز. كل ما يحتاجه الطفل منها هو حبها وحمايتها؛ لكنها تؤمن حقاً أن أعظم هدية تقدمها له هي أن تجعله جزءاً من الطبقة الراقية.

قال إدوارد: "إذا قبلته الطبقة الراقية، فإن كونه ابنًا غير شرعى لن يهم في شيء. ستفتح له الأبواب، وسيعرض عليه مكان في أفضل المدارس، وسيحصل على أحسن الأصدقاء. آه يا جين، أعلم أنا وأنت مدى تفاهة هذه المزايا. يفضل كلانا النظر عميقاً في قلب الشخص وليس الحكم عليه من خلال مظهره الخارجي أو خلفيته. لكن لا تخطيئ الظن، فهذه المزايا لها قيمة".

تأملت الأمر وقلت: "والآن بسببي، ربما يتဂنون إيفانز".

لكن كان إدوارد قد نام بالفعل.

ابتعدت عن ذراعي زوجي، وانزلقت من طبقات الأغطية العديدة، وذهبت للجلوس على مقعد بجوار النافذة، حيث أستطيع النظر إلى صورة ظلية للندن بعد حلول الظلام. تناشرت مصابيح الغاز أو الشموع بجوار النوافذ هنا وهناك. وسار الحراس الليلي في الشوارع ذهاباً وإياباً، ومصابحه يتآرجح بيده. هذه المدينة الصاخبة ملكة الكون، ولذلك لا تنام أبداً. ليس تماماً. في أي وقت من الليل، يستطيع المرء أن يسمع قعقة حوافر الخيول وأصوات الضحك وأنغام الموسيقى الخافتة. تستمتع الطبقة الراقية بكل ملذات الحياة وتعيش بحماس هائل وهي مصممة على انتزاع أقصى استفادة من كل لقاء. وعندما أغمضت عيني وأرحت رأسي على ساعدي، تخيلت الناس يتحدثونعني وعن لوسي وعن إيفانز.

لقد صادقتني لوسي ورعناني وقدمني إلى المجتمع،
وتضررت مكانتها بسببي بضربة واحدة.

شعرت بالبؤس والتعاسة.

الفصل ١٤

في الصباح التالي، بينما كانت لوسي لا تزال نائمة والأطفال يلعبون مع راغز في الأعلى في غرفتهم، جلستُ أنا وإدوار السيد دوغلاس حول المائدة المصنوعة من خشب الماهوجني في غرفة الطعام. ورغم أن أخاً لوسي عادة ما يبقى في ناديه؛ لكنه نام في إحدى غرف الضيوف بسبب سهرنا حتى وقت متأخر. من الخوان الجانبي أتت رائحة شرائح اللحم والبصل المقلي والطماطم وأطباق البيض من جميع الأنواع. وجاءت سادي، الخادمة التي تقوم بجميع الأعمال، تسبقها رائحة البرغموت العطرة، وهي تحمل صينية شاي ثقيلة. بذلنا جميئاً قصارى جهدنا للاستمتاع بوجبة إفطار ممتعة، وانحصر حديثنا على تقييم صوت كوري بالتوني. يعتقد إدوارد أن صوتها وتعبيراتها جيدان جداً. ويعتقد السيد دوغلاس أن نطاقها الصوتي رائع.

قال زوجي: "إن هذا صباح مثير للاهتمام؛ حيث سأجري مقابلة مع السيد ليرنر. أرجو أن يكون مرشحاً مناسباً للوظيفة. لا يرغب كل طيب شاب في شغل منصب يحمله مسئولية

مساحة كبيرة. ولكن إذا فاجأني بأنه مؤهل، وبما أنني أعلم أنه حصل على موافقة كارتر، فسوف يسعدني تقديم مسكن له بمثابة جزء من اتفاقنا".

قال السيد دوغلاس: "اقترحتُ على زوجك أن نلتقي بالشاب في نادي بودل. هناك غرف خاصة يمكننا التحدث فيها".

قال إدوارد: "طلبت من بروس أن ينضم إليَّ لأن رؤيتي ضبابية جدًا للدرجة أخشي ألا أستطيع أخذ الملاحظات الضرورية للحكم على شخصية الرجل".

شعرت بغصة في حلقي. أعلم أن هذا الاعتراف كلف زوجي العزيز غالياً. تألم قلبي لحاله، ووجدت نفسي في موقف بعض يجب أن أتظاهر فيه بالابتهاج المبالغ فيه لتعويضه عن هذا.

قال السيد دوغلاس: "بالطبع. أنا أفضل الاستمتاع بالاستجابات. إنها أحد تخصصاتي". يقطر المزاح من كل كلمة قالها؛ فضحكتنا جميعاً على أسلوبه الساخر.

قال إدوارد: "جين، ماذا تخططين؟".

أجبت وأنا أقصم قطعة من الخبز المحمص مع مربي التوت: "أتمنى قضاء الوقت مع نيد. وبعد ما شهدته أمس من زحام وتكدس، أعتقد أن هناك ما يُسْوِغ التمشية في الحديقة. لكن فكرتك تعجبني كثيراً. من الأفضل لهذا الطيب الجديد

أن يراك أنت والسيد دوغلاس بدلاً من أن يرى كلاًّ منكما بمفرده".

وعندما لم يعد بإمكاننا تجنب الموضوع، التفت إلى السيد دوغلاس وقال: "لدي روتشستر، هل يمكنك أن تخبريني بما أسر الملك إليك به؟".

أجبت: "تساءل عما فعلته برسائل الحب الخاصة به؛ فأوضحت له أنني أحرقتها جميعاً. كلها باستثناء أكثرها أهمية. ومن الغريب أنه لم يطلبها. أعتقد أنها ليست بهذه الأهمية بالنسبة له". وهزرت كتفي، وأردفت: "لذا ستظل في الخزانة. ربما إلى الأبد".

قال السيد دوغلاس وهو يملس شاربه بعناية: "ربما لم يطلبها لأنه أدرك أنها أكثر أماناً معك من القصر".
قلت: "كيف يكون هذا ممكناً؟".

فقال: "لقد رأيت الحالة التي كان الرجل فيها الليلة الماضية. سمعت أنه يسرف في تناول الشراب أكثر مما يتعد عنه هذه الأيام".

قلت: "رأيت الماركيزة وهي تضع اللودانوم للملك".

قال إدوارد: "كنت أتساءل. لقد أصبح حديث الرجل أكثر تشوشاً وارتباكاً مع تأخر الوقت. ماذا تعرف عن هذه المرأة يا دوغلاس؟".

سكب لنا السيد دوغلاس كوبًا آخر من الشاي، ثم ارتحى في كرسيه، ووضع قدمًا على الأخرى تمهيداً لإلقاء خطاب طويل وقال: "إنها ليست من عائلة أرستقراطية. كان والدها مصرفياً ثرياً، وكانت ثروتها وجهها وشكلها. تزوجت من هنري كونينغهام -الفيسكونت كونينغهام- وهو نبيل آيرلندي؛ لكن كان لديها الكثير والكثير من المعجبين، منهم نبيل من روسيا. لكنها، في وقت مبكر، سعت وراء أمير ويلز. ربما أكون قاسياً؛ لكن من الواضح أنها رأت أن التوedd إلية الطريقة الأكثر فاعلية لإفادة عائلتها التي تضم ابنتين وثلاثة أبناء. لطالما كان رجال الحاشية الذين يحيطون بالوصي حذرين وطمومين. تسعى الماركيزة إلى الارتفاع بعائلتها فحسب. وهناك شائعات تقول إن ابنها الثاني، فرانسيس ناثانيال، سيتولى منصب المسؤول عن الثياب الملكية والسايس الأول في الإصطبلات الملكية.

واختتم السيد دوغلاس حديثه قائلاً: "وكما يمكنكم أن تخيلوا، قد يكون ترك وثيقة تجريم في عنابة امرأة شريفة الإجراء الأكثر حكمة للملك".

قال إدوارد وهو يوجه تعليقاته إلى السيد دوغلاس: "بالحديث عن الإجراءات الحكيمة، يؤسفني كثيراً ما تعرضت له أختك من ضيق، وأعتقد أنه خطئي. كان يجب أن أعقد السلام مع عائلة إنجرام منذ فترة طويلة".

قال السيد دوغلاس: "لوسي لا تلومك. ستحت لي الفرصة للتحدث معها قبل أن تذهب إلى الفراش، وأنا أعلم أنها لا تفعل ذلك".

قال إدوارد: "أيًّا كان الأمر، أخطط لزيارة عائلة إنجرام في منزل الليدي غرينجر ومحاولة تسوية الأمور. لو كنت قد ذهبت إليهم في الوقت المناسب، واعتذر عن تضليل بلاش بشأن ثروتي...".

قلت: "ربما تزوجتها؟"، وأنا أعلم الفخ الكامن في السؤال.
فقال: "أبدًا!".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٥

اقترب الوقت من الظهيرة، عندما غادر الرجال للتحدث مع الطبيب عن توظيفه. وسرعان ما أتت بولي لمساعدتي على تصفييف شعري.

سألتها: "كيف حال السيدة برايتون؟".

قالت الوصيفة: "ما زالت نائمة. وكان راغز يبكي على بابها؛ لذلك سمحت له بالدخول ووضعه على السرير حتى يحصل على عناق".

على الرغم من رأي بولي، ارتديت فستانًا متواضعاً من قماش المسلمين البني وقبيعي الريفية. أراحت الألفة والتواضع قلبي، لأنهما ذكراني بوجود عالم بعيد عن هذه المدينة القاسية. أجبت على احتجاجاتها: "سأتنزه مع ابني في الحديقة، هذا مثالي. لا يستطيع نيد أن يؤذني هذا الفستان القديم، وأشعر بالارتياح لأنني سأترك إميليا، مربية نيد. في فيرندين، غالباً ما نتجول أنا وهو معاً".

تنهدت بولي، واستنتجت ما تفكّر فيه: تلك فيرندين وهذه لندن. لكنها لم تقل سوى: "أعتقد أن السيد هيغينز لديه مفاجأة لك يا سيدتي. سترينه عندما تستعدين لزهتك. إميليا تغير مريلة السيد نيد. ولا تزال أديل في غرفتها، تقضي وقتاً رائعاً مع بعض الشرائط القديمة التي تخصل السيدة برايتون".

كانت محققة. أديل في غرفتها، تضفر الشرائط القديمة في شعرها بسعادة. وكانت بولي قد أتت أيضاً بالعديد من فساتين لوسي القديمة، وكانت الفتاة الفرنسية الصغيرة حيّثما يجب أن تكون، تتألق وتتباهى أمام المرأة الطويلة لرؤيه التائج.

سألت بالفرنسية: "هل تأتين معي إلى حديقة هايد بارك؟".
أجبت بالفرنسية: "لا"، ثم أكملت بالإنجليزية: "لا أرغب في الذهاب إلى الحديقة". وعبست، فتركتها وذهبت.

كنت في طريقي إلى الطابق السفلي، عندما سمعت نيد يضحك. وعندما نظرت إلى المدخل، اكتشفت أن ابني الصغير يجلس في عربة أطفال رائعة، نسخة أنيقة ومصغرة من عربة تجرها الخيول بجوانب طويلة وعجلات قوية. امتدت المقدمة، التي عادة ما تقييد بها الخيول الصغيرة، بعيداً بما يكفي لتوفير قوة ضغط ممتازة بحيث يمكن دفع هذا الشيء الغريب بسهولة فوق الأرصفة.

لعب كبير الخدم لدى لوسي، هيغينز، دور الحصان والسايق كلّيهمَا، وسحب العربة في اتجاه ثم في الاتجاه

الآخر. وفجرت كل رحلة قصيرة عاصفة من الضحك من شفتي نيد الورديتين.

سألت: "من أين هذا؟" ومددت يدي نحو نيد؛ لكنه أمسك بجوانب العربية بقوة. بالإضافة إلى عيني إدوارد السوداويين، ورث ابني تصميم والده الشرس.

قال هيغينز: "كلف صانع عربات خيول بصناعة واحدة للسيد إيفانز. وبما أن الطفل لم يصل بعد، أرسلت إليه أنا بحاجة إلى قطعة أخرى مشابهة، حتى يتمكن كل طفل من الحصول على واحدة خاصة به".

كانت العربية رائعة التصميم، تزدان بإطار مبطن حتى يتمكن ابني من الجلوس دون مساعدة. تدحرجت العجلات بسهولة، وأعطتها الطلاء الأحمر اللامع لمسة رائعة.

شكّرت هيغينز بحرارة على مراعاته واعتئاته بطفلي.

كانت السماء صافية والأجواء مثالية للتمشية. وفي ظل إرشاداتي، حمل هيغينز العربية وابني على السلالم الأمامية ووضعهما على الممشى. نظر ابني إلى كبير الخدم بجدية وأشار إليه، أي أنه يتوقع أن يرافقنا كبير الخدم.

قال هيغينز: "لا. ليس هذه المرة، سيدي الصغير. ستذهب مع والدتك، هل تسمعني؟ ألق على تلك السناحب التحية من أجلي". ثم شد الخادم قامته وضبط معطفه. وبوجه لطيف،

قال: "تخيل السيد نيد رؤية زوجين من السنابس في الشارع وهما يطاردان بعضهما بعضاً".

بدأ اللون الأحمر عند ياقه هيغينز وانتشر في رقبته وهو ينحني لي، ثم عاد إلى المنزل، وتركني أحدق في دهشة في الباب المغلق. إذاً، رق قلب الخادم الشخصي بفضل ابني.

يجب أن أشارك هذه الأخبار مع لوسي. وسوف تتفق معي في أن هناك سحرًا يكمن في أصغر إيماءة يقوم بها الأطفال. كنت أعتقد أن هيغينز لا يتأثر بأي نوع من المشاعر. لكنني كنت مخطئة. قام طفل صغير باختراق المظهر الخارجي المتشدد للرجل بسهولة. كانت الطاهية قد أعطتني كيساً من فتات الخبر، عندما سمعت عن خططنا. لقد وقع المنزل كله في حب ابني، وهي بشارة خير قبل وصول إيفانز.

كانت اهتمامات نيد -ناهيك عن تأثيره على الآخرين- بمثابة إلهام بالنسبة لي، حيث لم أقض الكثير من الوقت مع الأطفال الصغار. اكتشفت أن بعض الناس مفتونون، والبعض الآخر متزججون من حركة نيد المستمرة. وبذا أن دافع ابني هو الاندفاع نحو العالم من حوله بلا أي تحفظ، وعيناه مفتوحتان ويداه تمسكان وتجذبان على الدوام لتجربة كل شيء يأتي في طريقه.

تمكنت، بعض الجهد، من درجة العربية على الرصيف إلى حديقة هايد بارك، ومررت بعشرات المنازل الكبيرة

أثناء ذهابنا. ومررنا في الطريق بالعديد من المربيات اللاتي ينزعهن الأطفال الذين يتولين مسؤوليتهم. وأكدت إيماءاتهن أنهن اعتقدن أنني واحدة منهن. أنا واثقة أن أسلوبي في تربية الأطفال، بالنسبة لمعظم المتزوجات في مثل مكانتي، لعنة؛ لكن منحتني حياتنا في فيرندين رفاهية قضاء الوقت بمفردي مع ابني. وهكذا تأسست عادة الرفقة، وبدلًا من تجنبها، اكتشفت أنها إحدى أعظم المسرات في حياتي.

استدار رأس نيد فوق رقبته الممتلئة لينظر إلى ما يحيط به، ويحدق في المنازل الجميلة ذات النوافذ الملونة. توقف تقدمنا بشكل متكرر حيث بدا أن كل شيء يثير اهتمام ابني. وعندما أشرت إلى السناب، انفجر ضاحكًا. بل إن الحمام جعل الابتسامة ترسم على شفتيه.

فكرت في أن المجيء إلى لندن لم يكن فكرة سيئة في النهاية... طالما نستطيع تجنب الخروج مع الطبقة الراقية في المستقبل.

لا توجد ممرات مشاة كهذه في أرجاء فيرندين. وتعاني المناظر الطبيعية هناك من نوع من الإهمال، وتضخم الكثير من الشجيرات المجاورة للطرق. لذلك، تعهدت بالتحدث إلى إدوارد حول إنشاء مساحة خارجية في المنزل يمكن أن تمشي فيها عربة الطفل. وأثناء ذلك، وعدت نفسي بتحديد موعد لمثل هذه النزهة مع نيد كل بضعة أيام.

اخترنا وقتاً رائعًا للمغامرة. امتلأت الحديقة بالباحثين عن المتعة من كل مناحي الحياة الذين يستمتعون بأشعة الشمس الرائعة. وتجول الأزواج، وهم يتأنبون أذرع بعضهم بعضاً، في الممرات. جرجرت العربة إلى مكان بجوار مقعد فارغ، حيث أستطيع أنا ونيد الاستمتاع برائحة الزهور التي تومئ للشمس.

أريت نيد كيف يرمي فتات الخبز للطيور. بالطبع، لم يكن الحمام بحاجة إلى تشجيع ليقترب منا. وحالما انتشر الخبر بينهم أنها نقدم الطعام، غطى سرب مقعدنا، وتلأللت أطواق أعناقهم المتنوعة من الفضة والأزرق والجمشت والأخضر مثل وهج الأحجار الكريمة. لكن بعد ذلك، أدت الأصوات العالية التي اقتربت منا، لاثنين يتجادلان، إلى تفريق الطيور وتحليقها بعيداً في دوامة بالألوان الرمادي والأسمر والأبيض.

قالت امرأة ترتدي ملابس أنيقة وهي تسير بجوار رجل يرتدي ملابس رثة وتشد ذراعه بإصرار: "أعلم أنك تهتم بي، ولا أريد الانتظار أكثر من ذلك. ولسوف ترى كيف سأكون زوجة صالحة". أوحى صوتها وشكلها بالشباب، على الرغم من أن وجهها توارى وراء قبعتها الأنique المزينة بشرائط من كل لون. ورغم ذلك، رأيت وجه الرجل بوضوح تام، إذ بدا عليه الانزعاج، خاصة عندما أدرك أنني سمعت احتجاجاتها. رأني أنظر إليهما؛ فاستدرت بعيداً لأهتم بنيد بدلاً من مشاركة انطباعاتي عن صديقته المترنجة.

قال الرجل: "لو سمحت! أنتِ تسيئين إلى نفسك في هذا المكان العام". وأبعد السيدة بإحدى يديه، وهو يحمل في اليد الأخرى حقيبة جلدية بالية مفتوحة تكشف الأوراق التي تهدد بالوقوع على الأرض. "أتوسل إليك أن تستمعي يا آنسة. رغم أنني أكن لك أعلى درجات التقدير، إلا أنه لا يوجد مستقبل لنا معًا. ولم أفعل شيئاً لأعطيك أي انطباع آخر".

قالت الشابة: "لكنك فعلت. أنت لطيف جدًا معي. أرى عاطفتك في عينيك. ونحن متواافقان بشكل مثالى. لدينا الاهتمامات أنفسها، و...".

قاطعها الرجل قائلًا: "يؤسفني أنك ربما أساءت تفسير اهتمامي المهني".

قالت الشابة بصوت أكثر حدة وإيماءات أكثر انفعالاً: "قدرنا أن نكون معًا. رأيت هذا في المنام". شعرت بالحرج من أجلها؛ حيث تجاوزت بالفعل حدود الذوق السليم من وجهة نظرى. من الواضح أن الشاب لا يبادلها عواطفها. لماذا لا ترى ذلك؟

قال الرجل وقد بدا يائساً تماماً: "يجب أن أذهب حقاً. هناك من ينتظرنى...".

قاطعته الشابة قائلة: "يا له من شيء مبتذل من كلينا! لن تلاحظ ماماً أنني ذهبت. تعال، سيكون الأمر أسهل من الشارع...", وأمسكت بذراعه.

لكن بدلاً من أن يتبعها وهي تحاول قيادته، أبعد يديها عن كمه. وعندئذ لاحظ حقيقته المعرضة للخطر، وبدأ يدفع الأوراق داخلها لكي لا تسقط. وبينما كان يجتهد في إعادة الأوراق مكانها، استمر في التهرب من توصلاتها. "لو سمحت! لا يمكنك الاستمرار في ملاحقي هكذا! لا أعرف كيف وصلت إلى استنتاجاتك، وأنا آسف على أي شيء من جانبي ربما شجعك؟ لكن...".

في البداية، كنت أرى أن أفعاله غير نبيلة؛ لكن كلما طالت فترة مشاهدتي لهما من تحت قبعتي القشية القديمة، أدركت أنه يائس. من الواضح أن المرأة ترفض الاستماع. رفعت رأسني وقمت بتقييم سريع. لقد لفت الشجار الانتباه: استدار المتنزهون للمشاهدة، وأوقفت المربيات عربات الأطفال للاستماع، ونظر الأزواج إلى هذا الاتجاه.

اندفعت المرأة نحو الرجل، وأمسكت بياقبة ستنته، وقالت: "أشعر بحبك لي مع كل نبضة في قلبي. عرفت ذلك منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها إلى منزلنا".

قال الرجل: "أنت مخطئة. لا يوجد مستقبل لنا. لقد حاولت أن أتحدث معك بلهفة، وأكره حقيقة أنني قد أجرح مشاعرك، لكن يجب أن تستمعي إلي. لا يوجد شيء بيننا. ولم يكن هناك قط". وأخذ يبعد أصابعها.

قالت: "أعلم أنك تهتم بي". وتركت ياقته وأمسكت بأحد أكمامه.

قال: "لا! أنا أحب امرأة أخرى". واستطاع بعد جهد جهيد أن يتبعد مع صوت تمزق مرتفع وقطع في نسيج كمه. أدت هذه المفاجأة إلى اختلال توازن كليهما. وشق العديد من أوراقه طريقة نحو الحرية مرة أخرى، وطارت ورقتان من حقيبته. وبينما سعى وراء استعادتها، اقتربت منه، واقترب وجهها من وجهه.

قالت: "من هي؟".

ومن وضع الانحناء، نظر لأعلى إليها، وتوقف عن مطاردة أوراقه. وقال: "اسمها ميريام غولدشتاين. أتمنى أن أتزوجها". قرع جرس الإنذار في مكان ما بداخله. وأخبرتني غريزتي بأن المرأة تحشد طاقاتها؛ لكن لم أستطع تخمين الهدف من ذلك. رفعت يدي وجذبته نحوه، ووضعت يدي أمام وجهه.

صرخت الشابة: "ميريام؟"، ثم صفت الرجل بقوة على وجهه. كان توقيت الصفعه جيداً وأصابت هدفها تماماً؛ فوقع على ظهره. لكنه لم يبق كذلك إلا لحظة واحدة، قبل أن يتعثر وهو يحاول الوقوف ويهرب بعيداً.

كان ظهر الشابة لا يزال لي؛ لكنني شاهدت كتفيها يهتزان. وبدأت بالبكاء، وقبعتها تتمايل تحت وطأة عواطفها.

وضعت يدي في عربته، وشاهدت المرأة وهي تبكي. أشفق قلبي عليها، واقتراح عقلي أنه من الأفضل لها أن تكون في مكان أكثر خصوصية.

في غضون ذلك، اصطاد نيد ريشة حمامه في يده البدينة وبدأ يتفحصها بجدية. ومن جيب عميق في فستاني القديم، أخرجت منديلاً وسرت نحو الفتاة الباكية. ربما تذكرها هذه الفتة الطيبة بمدى علانية عرضها. مددت ذراعي لأعرض المنديل المطوي المصنوع من الكتان، وأنا أنظر بطرف عيني إلى نيد، وقلت: "آنسة؟".

وعندما لم ترد، ربت على كتفها.

وقلت: "آنسة؟".

قالت الفتاة لتصب غضبها علي: "لا تلمسيني". صُدمت عندما أدركت أن الفتاة هي ماري إنجرام اللطيفة شبه الجامدة. لكن كان التعرف من جانب واحد. قالت ماري وهي تنظر إلى فستاني المتواضع من قماش المسلمين وقمعتي المصنوعة من القش البالي: "ابتعدي عنِّي أيتها المسئولة!".

الفصل ١٦

عندما دققت ماري النظر، أدركت هوتي؛ فقالت: "آه، إنه أنت. لا شيء يمر من تحت أنفك، أليس كذلك؟ هل تتجمسين على الناس الآن؟".

ليس هناك رد مناسب على هذا التصريح؛ لذلك لم أقل شيئاً.

انتفضت ماري وبدا عليها التألف، ثم دارت على عقيها ومشت مبتعدة.

لا يعتقد أحد أن ماري شديدة الذكاء، أو هذا ما أخبرتني به السيدة فيرفاكس. لذلك كان يجب ألا أتفاجأ عندما لم تعرف علي في البداية. والآن يؤسفني أنها حصلت على سبب إضافي لتزداد كراهيتها لي: لقد كنت شاهدة على تعرضها للرفض.

قررت عدم إفساد نزهاتنا بسبب هذا اللقاء الغريب؛ ولذلك لعبت العاباً صغيرة مختلفة مع ابني. أوقعت أوراق الشجر؛ فضحك وحاول أن يمسكها وهي تسقط في الهواء. وبعد قليل، شعر نيد بالملل؛ لذلك قدمت له حفنة من الجوز وغضباً من

النعناع البري، حتى يتعرف على متعة العطور الطبيعية. وعندما فقد الاهتمام بهذا، لعبت دور حسان الجر مرة أخرى، وسحبت عربته إلى منزل لوسي. فكرت طوال الطريق في المشهد الذي رأيته، وقررت أن نساء إنجرام يفتقرن بشكل عام إلى ضبط النفس. علاوة على ذلك، يسرن على هذه الأرض ويتجاهلن أي شخص لا يلبي رغباتهن بشكل فوري.

أعتقد أن الذين يقسمون العالم إلى "الذين يملكون ما يقدمونه لي" و"الذين لا يملكون" يجدون أنفسهم في كثير من الأحيان تحت رحمة الآخرين، لأنهم قد يكونون مخطئين بقدر ما قد يكونون مصيّبين.

بعد وقت قليل، عدت أنا ونيد إلى ميدان غروسفينور رقم

.٢٤

قلت: "مرحباً، هيغييتز. هل زوجي في المنزل؟".

أجاب: "لا، سيدتي"، واستقبلني بفتوره المعتاد؛ لكن لمعت عيناه وهو يساعدني في عربة نيد. وأردف: "إذا كنت ترغبين، سوف أصطحب السيد الصغير إلى المربيه. إنها تنتظره، وتنتظر بوللي مساعدتك على تغيير ملابسك. تريد السيدة برايتون أن تحظى برفقتك".

كلما خرجت من المنزل، تساقط رماد الفحم بغزاره على ثيابي. كنت قد قرأت في مكان ما أن السكان الذين يتزايد عدهم بسرعة في المدينة يحرقون كميات هائلة من الفحم كل يوم،

ويفسر هذا الدخان والضباب القاتم في لندن. يمكن احتمال هذا أثناء الوجود تحت مظلة الأشجار في الحديقة؛ لكن يتعرض السائر في الشوارع الرئيسية لأسوأ البقايا السوداء التي تقترب بفضلات الخيول وتيارات النفايات البشرية التي تصنع رائحة كريهة لم أتحمل مثلها في حياتي. لحسن الحظ، كانت بولي مستعدة دائمًا لإزالة السخام من ثوبها ونفض الغبار عن قبعتي.

لكن عندما وصلت إلى غرفتي، أدركت أن الوصيفة لديها خطط أخرى اليوم. فلقد كان فستاني الحريري معلقاً وموضوعاً بعناية.

ردت الوصيفة على نظراتي الفضولية قائلة: "ستلبين دعوة السيدة برايتون. الدعوة الصباحية".

قلت: "لكنها الثالثة بعد الظهر!".

ضحكـت بولي وقالـت: "أعلم! الدعـوة الصـباحـية تـبدأـ الساعةـ الثـالـثـةـ. أليـسـ هـذـاـ مـضـحـكـاـ؟ـ".

بدأت بولي بفك أزرار الفستان البني الذي أرتدـيهـ، وـقـالتـ: "ـتـنـتـظـرـكـ السـيـدـةـ بـرـاـيـتـوـنـ عـلـىـ أـحـرـ مـنـ الجـمـرـ. سـتـذـهـبـانـ إـلـىـ مـنـزـلـ السـيـدـةـ غـرـيـنـجـرـ عـلـىـ الفـورـ".

أعلم أن السيدة غرينجر عزيزة على لوسي؛ لكن زيارة منزلها تعني بالتأكيد لقاء آخر مع واحدة أو أكثر من عائلة إنجرام. وهذه تجربة أفضل تجنبها. بدأت بولي ترفع الفستان من فوق رأسي.

قلت: "توقفي. توقفي من فضلك. أفضل البقاء هنا. في الواقع، سأذهب وأخبر لوسى...".

قاطعني قائلة: "آه، لا، سيدة روتشرستير. تصر السيدة برايتون على أن تذهب معها إلى منزل السيدة غرينجر".

قلت معترضة: "لكتنا رأيناها الليلة الماضية!".

قالت بولي وهي ترفع فستان المسلمين عنى وتضع الفستان الحريري بعناية من فوق رأسي: "نعم". نظراً لأنني لست طويلة القامة، كان من السهل عليها أن تقوم بذلك. "أرسلت الليدي غرينجر تطلب أن تقوم كلتاكم بزيارتها أولاً. إن الليدي غرينجر معجبة بالسيدة برايتون كثيراً، وتعدها ابنة لها، تقريباً. سمعت أنه كان حدث شيء كريه الليلة الماضية، وأعتقد أن السيدة غرينجر لا تريد أن يتفاقم الأمر. تريد أن تطفئ هذه النار بسرعة. وإذا كان هناك من يستطيع أن يضع الأمور في نصابها الصحيح، فإنها الليدي غرينجر. سيدة عجوز ماكرة، إذا كنت لاتمانعين قوللي هذا".

خفف من استيائي أن أخبار ازدراء الليلة الماضية قد وصلت بالفعل إلى الخدم.

تساءلت: "وهل بمقدورها أن تفعل ذلك؟ أعني، هل تستطيع حقاً أن تجبر السيدة غرينجر عائلتها على الانصياع لأمرها؟".

قالت بولي: "أرجو ذلك، من كل قلبي". حلقت أصابعها فوق أزرار ثوبها. وراقبتها في المرأة، ولاحظت التركيز على وجهها. أردفت: "بكت السيدة برأيتون حتى نامت الليلة الماضية. لكنها ستتظاهر أمامك بأن كل شيء على ما يرام، لأن هذه طبيعتها؛ لكنها أخبرتني بما قالته تلك البقرة البغيضة، الأرملة إنجرام. وكيف أزعجتك. يجب وأد هذا في مهده قبل أن يسمع به كل من هب ودب في لندن".

عندما رأت بولي الإحباط الذي ارتسم على وجهي، توقفت ووضعت يديها برفق على كتفي، وقالت: "لا أحد يلومك يا سيدة روتشيستر. لا أحد. خادمة الليدي غرينجر، دورسي، أخبرتني كيف تسببت نساء إنجرام في كل أنواع الأذى لكل من يعمل لدى الليدي غرينجر، حتى أنهن اتهمن الطاهية بالسرقة، وزعمن أن كبير الخدم يتجاوز حدوده ويتصرف بلا تكلف. هل تخيلين هذا؟ وتلك الفتاة الأصغر سنًا، استباحت حديقة الليدي غرينجر؛ فتسلل، وتقطف كل الزهور التي تعجبها، بينما تستمر الأرملة والفتاة الأكبر سنًا في تقديم الحليب إلى كلب السيدة غرينجر، لذلك يمرض دائمًا. ولا تهتم بأن الليدي غرينجر طلبت منها عدم القيام بذلك. لا تهتم على الإطلاق. هل سمعت مثل هذا من قبل؟".

كانت بولي تتتجول في المكان، وهي تسوي أغطية الفراش، وترتب خزانة ملابسي المتواضعة.

قلت، وأنا أتقلد أقراط اللؤلؤ الجميلة: "يؤسفني حقاً سمع أن عائلة إنجرام سببت كل هذا الضيق. خاصة للذين يعملون لدى الليدي غرينجر".

بسبب عملي السابق بصفتي مربية -الذي وضعني في مكانة اجتماعية وسطى بين طبقة النبلاء والخدم في المنازل- فهمت شبكة العلاقات الشائعة بين الخدم. في أفضل الظروف، يداري الخدم بعضهم على أخطاء بعض، ويضعون احتياجات أصحابهم في المقام الأول. وفي أسوأ الظروف، يلومون الخدم ويهاجمون بعضهم بعضاً، في محاولات يائسة لكسب استحسان أصحاب العمل. إن أي اتهام لأحدthem يلقي بظلاله على الجميع، حيث تنتشر الشبهات كالنار في الهشيم.

قلت: "لكن ماذا تقول السيدة غرينجر عندما يُعامل خدمها بمثل هذه المعاملة السيئة؟". لبست قفازاتي، بينما انشغلت بولي بوضع أغصان اللافندر في الأدراج مع قمصاني التحتية.

أجابت بولي: "إنها ليست سعيدة؛ لكنهم من عائلتها. تأتي الأم وبنتها إلى لندن طوال الوقت. وهناك ابن أيضاً؛ لكنه يبقى في إنجرام بارك، كما سمعت. لكن والدهم، اللورد إنجرام، كان ماكراً. عندما شارف على الموت، جعل الليدي غرينجر تعهد برعاية أخته وأطفالها الثلاثة. الوعود على فراش الموت أقوى من السلسل الحديدية".

قلت: "آه، نعم، أعلم".

كانت والدتي قد أخذت وعداً مماثلاً من شقيقها. ثم على فراش الموت، أخذ خالي ريد الوعد نفسه من زوجته؛ لكن للأسف، استغلت العمة ريد هذا التعهد. وعندما علقت بين وعدها وكراهيتها الشديدة لي، قامت في النهاية بنقلني إلى لوود، مدرسة كئيبة بإدارة سيئة. ورغم ذلك، ورغم كل الصعب، نجوت وأكملت تعليمي، ما أتاح لي العمل بمثابة مربية. جلبت هذه الذكرى تقديرًا جديداً لمكانة بولي؛ فعلى الرغم من مكانة عائلتي المحترمة، كان من المحتمل أن أصبح خادمة أيضاً، لو لا مدرسة لوود.

شدت بولي قامتها وفركت أسفل ظهرها وقالت: "أخبرتني السيدة أن الأرملة تجاهلتكم بشكل فظيع. يا للهول، لا بد أنها كانت صدمة مروعة".

هززت كتفي بلا مبالاة وقلت: "ربما لو كنت أهتم برأي المجتمع. في الواقع، إنني قلقة بشأن لوسبي. يحزنني أن أعرف أنها تعرضت للإهانة. أتمنى لو أعرف كيف أعالج الموقف".

قالت بولي: "حسناً، الليدي غرينجر شخصية يحسب لها ألف حساب. إذا كان هناك شخص يستطيع أن يجعل نساء إنجرام الكريهات يتصرفن بشكل صحيح مع السيدة برايتون، فإنه الليدي غرينجر".

قلت: "على الأقل يمكنها المحاولة"، وأنا أعدل القبعة الجميلة.

ابتسمت بولي ابتسامة باهتة وقالت: "نعم، يمكنها ذلك بالتأكيد".

الفصل ١٧

كانت لوسي تنتظرنا في صالة الاستقبال. وعندما وصلت، وضعت راغز على الأرض، والتفت إلى بأذرع مفتوحة؛ فشعرت بقوة صداقتنا في عناقها.

بدأت الحديث قائلة: "أنا في غاية الأسف".

قالت: "هشيش". ووضعت إصبعاً على شفتيّ. ورغم أن الاحمرار في عينيها يؤكّد أنها بكّت طويلاً، فإن فستانها الجميل الوردي ذا الخطوط البيضاء أحيا البهجة في خديها. أردفت: "ليس هناك ما تعذرین عنه. منذ أن عرفت بقرب وصول إيفانز، وأنا أعايني من المشاعر القوية التي طفت على تفكيري العقلاني. الليلة الماضية، أوجعني التجاهل الذي تحملته. شعرت بالعجز. لكنني فكرت في الأمر. وفي ضوء النهار البارد، قررت أن هذا لن يجدي، وتدعمني أوليفيا غرينجر في ذلك. أثناء وجودك في الحديقة مع نيد، تبادلت أنا وهي مجموعة من الملاحظات. لقد كسب طفل من الشارع حفنة كبيرة من العملات المعدنية اليوم".

قلت بصدق: "هذا من حسن حظه".

قالت: "نعم، وأعتقد أنه جلب لي الحظ السعيد. لدىَّ أخبار عن إيفانز. كتبت مربطيه السيدة والاندر أنها تلقت الأموال التي أرسلتها لسفرهم. وشفيت ابنتها من الحمى أخيراً، و يبدو أن الفتاة في تحسن. ستغادر السيدة والاندر وإيفانز بروكسل هذا الأسبوع. هل تصدقين ذلك يا جين؟ ونظراً للوقت الذي استغرقته الرسالة للوصول إليّ، يمكن أن يكون هنا في أي يوم".

قلت: "أنا سعيدة جداً من أجلك"، ورغم أنني لا أميل إلى التقارب الجسدي مثل لوسي، فإنني لم أستطع منع نفسي من معانقتها. صعب. أعرف أن لوسي كانت تريد طفلاً على الدوام وأن إيفانز كان استجابة لصلواتها. وعندما ابتعدنا، أردفت: "لا تخافي. ستكونين أمّا رائعة. أعلم ذلك. إذا... هل نذهب لتحدي عائلة إنجرام؟".

قالت بابتسامة حلوة: "لا. سنذهب لمواجهتهن. كانت أوليفيا قد حذرت جميع عائلة إنجرام بأننا سنحضر الأوبرا. ووعدت النسوة أوليفيا بأن يستقبلننا بطريقة مهذبة. بطبيعة الحال، غضبت من سلوك أخت زوجها وبنتيها. أخبرتهن صديقتي بكلمات واضحة وضوح الشمس بأنهن سيعاملن كلتينا بلطف".

ما زلت لا أرغب في الاختلاط بهن؛ لكنني أدرك أن هذا الاجتماع مهم للوسي، لذلك أخذت بيدها ومضينا قدماً.

حالما أصبحنا داخل عربتها، قلت: "أخبريني المزيد عن صديقتك الليدي غرينجر".

قالت: "كما سترى، نحن جيران؛ لكن ليس هذا سبب أو طريقة التقائنا. حدث التعارف، عندما كانت كلتنا بحاجة إلى كلب. كلبتها ماغز هي الأخت الصغرى لـكلبي راغز. بالمصادفة، وصلنا في الوقت نفسه لاختيار الجروين، وبطبيعة الحال، كان من السهل إجراء محادثة". دقت لوسي أصابعها على المقعد وهي تتحدث.

سألت: "واهتماماتها؟".

أجبت: "إنها بستانية حريصة. إنها لا تحفر في الأرض؛ لكنها تشرف على بنiamين خادمها الشاب وترشده. تمتد حديقة الليدي غرينجر على طول حي بايزووتر، على طول ذلك السياج". لتوضيح وجهة نظرها، سحبت لوسي ستائر العربة جانبًا، وأشارت إلى جدار ضخم من شجيرات خشب البقس، وأردفت: "قام اللورد غرينجر بتشييت تلك البوابة في الخلف. أظن أنه كان يعتقد أنها ستكون مدخلًا سهلاً لعربات اليد المليئة بالزهور. الزهور المتتسخة".

اعترت الحيرة وجهي؛ فقالت موضحة: "النساء اللاتي لا يعرفن الفضيلة".

سمعت هذا، وفكرت في أنه من المؤسف أن يكون الزواج بالنسبة للعديد من العائلات مجرد صفقة تجارية، شيئاً يخلو من الحب.

قالت لوسي: "ربما لو كانت أوليفيا قد أنجبت طفلًا، لشعر زوجها تجاهها بالمزيد من الود. لكنه كان سعيدًا بالثروة التي جلبتها له والمنزل الذي أقامته. بخلاف ذلك، لم يكن يراها ذات أهمية".

أعلم أن لوسي تأسف على عدم قدرتها على إنجاب طفل لزوجها. هل لهذا السبب تعيش هي وأوغى منفصلين؟ هل تعتبرها خيبة أمل؟ أرجو ألا يكون الأمر كذلك، إكراماً لها.

عندما وصلت العربية إلى الباب الأمامي للسيدة غرينجر، أغمضت عيني، واستخدمت العطور كدليل لتخيل الألوان: الأحمر القرمزي للورود، والبنفسجي الفاتح للخزامي، واللون الوردي الرقيق لزهور الخطم.

قالت لوسي: "ستجدين أنت وأوليفيا الكثير من الأشياء المشتركة. إنها قارئة جيدة وطيبة، ومفكرة حقيقة غير متحيزة. تدور حياتها حول حديقتها وما غز التي تعني لها العالم. ومع عدم وجود أطفال لها، فإنها تستمتع بصحبة ما غز. إنها جروة مدللة للغاية".

قلت: "ثم هناك أنت".

أضاءت ابتسامة وجه لوسي، وقالت: "نعم، يمكنني القول إنني أقرب إلى قلبها من بنتي أخيها إنجرام. لقد أخبرتني هذا".

تممت: "لا عجب في ذلك".

قالت لوسي: "أحسنت القول". ومدت يدها وضغطت على أصابعه؛ فأحسست بدفعه يديها من خلال القفازات. ثم أردفت: "ها نحن قد وصلنا".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٨

التقى بنا ستانتون - كبير الخدم لدى الليدي غرينجر، رجل طويل ذو وجه روماني يتنظم شعره على شكل الرقم ٧ - عند الباب واصطحبنا إلى الأعلى إلى غرفة الرسم. وهناك وجدت عائلة إنجرام تجلس صفًا مثل غربان فوق السياج، ويبعدو عليها السرور. ارتدت مضيقتنا قبعة كبيرة وفستانًا أزرق قاتمًا قدیماً. خطر على بالي أن الليدي غرينجر لا تهتم كثيراً بزخارف المجتمع. ومثل لوسي، تقوم الليدي غرينجر بما يعجب القيام به من أجل الاندماج في الطبقة الراقية والتحرك بينهم؛ لكنها لا تسمح لهم بإملاء أوامرهم عليها، ولا تقيم الآخرين بمقاييسهم.

ارتدت عائلة إنجرام أحذث الأزياء، أو هكذا أعتقد اعتمادًا على مجلات الأزياء التي تصفحتها أنا ولوسي عندما قررنا ما يجب أن أرتديه عند الذهاب إلى الأوبرا. كانت الليدي إنجرام وابنتها بلانش ترتديان فستانين "صباحيين" متشابهين جدًا، وكلاهما بلون أزرق هادئ جذاب.

ورغم أنه يبدو أن الليدي غرينجر تتجاهل خزانة ملابسها، إلا أن منزلها أخبرني أنها تهتم به كثيراً. لاحظت محظوظاً: غرفة جلوس مجهزة بشكل متناعلم باللون الكستنائي الداكن مع لمسات ذهبية. ولمعت الرفوف المصنوعة من خشب الجوز والطاولة المنخفضة والكراسي والمناضد الصغيرة. وعلى كل سطح يوجد سرخس مورق يتناسب كل واحد منه مع وعائه تماماً، باللون الأخضر الطازج الذي يتناقض بشكل رائع مع الأثاث الداكن الفخم. وفي أواني زجاجية على طول نافذة مواجهة للشرق، تبرز أزهار الأوركيد الغربية بحجم صحنون القهوة. سحرني التأثير. لم أر من قبل تصميماً داخلياً يجمع بين مزايا العالم الطبيعي ومزايا الأبعاد المقيدة للعالم الذي صنعه الإنسان. كان منزل لوسي جميلاً؛ لكن أعاد منزل الليدي غرينجر إحياء روحي المرهقة، وجعلني أدرك أننا متشابهتان جداً في أذواقنا.

وقف الجميع لاستقبالنا. وتبادل لوسي والليدي غرينجر العناق والقبلات قبل أن تقوما بإعادة تقديمي إلى عائلة إنجرام، اللاتي أومنأن لي بإيماءات صغيرة للغاية لتحتي، واكتفين بأداء المطلوب منهم. قد يكون هذا التغيير بسبب تكرييم الملك أو توبيخ الليدي غرينجر. لا أعرف أيهما فعل ذلك، ولا يهمني. وبدلًا من ذلك، فرحت لأن لوسي ستتمكن منمواصلة حياتها كما كانت من قبل، وأن إيفانز لن يعاني لأن والدته الجديدة اعتبرتني صديقة لها.

وهكذا، بعد أن حققنا نوعاً من السلام، جلسنا على مقاعdenا بشكل دائري، بينما نادت مضيفتنا على كلبها؛ فأتت في الغرفة حزمة صغيرة من الفراء الأبيض وهي تهتز يميناً ويساراً. لعلت ماغز سيدتها، وبذا عليها الحماس عندما رُفعت إلى حجر المرأة. ومع وضع اللون والحجم والشخصية في الحسبان، لم أتمكن من التمييز بين هذه الكلبة وراغز كلب لوسي.

شاهدت الليدي غرينجر وهي تربت على رأس الجروة بشكل منتظم.

قالت الليدي غرينجر: "مرحباً بك في منزلي، سيدة روتشستر. لقد زارنا زوجك في وقت سابق. كان المجل روتشستر في طريقه إلى النادي مع السيد دوغلاس، عندما مر علينا للاعتذار لبلانش ووالدتها".

قلت متسائلة: "هل فعل ذلك؟"، وأنا أفكّر في أن القبول الجديد الذي أستمتع به قد يكون نتيجة لما قام به زوجي.

قالت: "أو في الواقع، لقد حاول ذلك. أعتقد أن بلانش وسيلفانا مدپitan له الآن باعتذار، خاصة بلانش". ثم ألقت نظرة حادة باتجاه الأم وابتها، اللتين تململتا في مقاعدهما بازعاج.

قالت بلانش بنبرة استسلام: "نعم يا عمّة".

قالت الليدي غرينجر: "أترين، بلانش متوعكة قليلاً. لم تكن على ما يرام مؤخراً؛ لذلك أرجو أن تعذرني حدتها. أليس هذا صحيحاً يا بلانش؟".

قالت بلانش: "بلى يا عمة".

سألت لوسي بصوت لطيف: "هل أنت أفضل الآن؟ أرجو ذلك".

قالت بلانش: "إلى حد ما". إنها تستمتع بالاهتمام، وتعرف أنه يجب عليها أن تكون مهذبة؛ لكنها تجد التخلص من إحساسها بالضرر أمراً مرهقاً. أصبح الأمر مألفاً لها، وهي تستمتع به.

سألت لوسي بطريقة مهذبة: "وكيف حالك يا آنسة ماري؟".
أجابت ماري: "بخير". لقد غيرت ملابسها التي مشت بها في الحديقة.

قالت عمتها: "أنفك وردي قليلاً يا عزيزتي. هل أصابك البرد؟ لقد حذرتك من الخروج من دون شال".

قالت ماري مرة أخرى: "أنا بخير"، وأرسلت نظرة سريعة في اتجاهي.

قررت أن أمسك لسانني. لا أستطيع لومها على عدم رغبتها في مناقشة ما شاهدته في السابق.

سألت الليدي غرينجر لوسي وهي ترن الجرس من أجل الشاي: "كيف حال راغز؟".

أجابت لوسي: "شقي كالعادة. إنه يستمتع بزيارة الشاب، نيد، ابن عائلة روتشستر. وبغض النظر عن مدى سرعة

تصرفات المربية، يترك الصبي دائمًا أثراً من الفتات من أجل راغز. وبالحديث عن الأبناء، عزيزتي أوليفيا، لقد تلقيت أخباراً رائعة هذا الصباح وأريد مشاركتها معك".

لخصت لوسي الرسالة التي وصلت مؤخراً من مربية إيفانز. تقوس حاجب الليدي إنجرام وقالت: "إيفانز؟ هل هذا اسم اللقيط الذي جاء به زوجك؟".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٩

قالت الليدي غرينجر وهي تشير بإصبعها نحو أخت زوجها: "سيلفانا! لقد وعدتني؟؛ لكن قاطع توبيخها طرق مرتفع على الباب الأمامي؛ فasad الصمت وسمعنا الباب يُفتح.

صعد ستانتون السالالم قفزاً وهو يحمل في يده طبقة فضيّاً فوقه بطاقة سميكة عاجية اللون. التقطت الليدي غرينجر البطاقة وبدأت تنظر بعدها؛ فقال ستانتون لمساعدتها: "تريد الماركiza كونينغهام أن تعرف ما إذا كنت في المنزل، ليدي غرينجر".

"آه!" طارت يد بلاش إلى فمها واتسعت عيناهما. ورغم أن الليدي إنجرام لم تقل شيئاً، إلا أنها رفعت ذقنها إلى أعلى، وارتسمت على وجهها نظرة استمتاع. بدا أن ماري استيقظت من سباتها، والتفت نحو والدتها لتقيس رد فعلها. وأخبرني عبوس لوسي بأنها تجد هذه الزيارة مقلقة وليس سارة.

حركت مضيفتنا جسدها النحيل بعصبية، ما تسبب في بعض الإزعاج لماغز وقالت: "من فضلك أخبرها بأنني هنا. يا له من شرف!".

راجعتُ ما رأيته وسمعته عن الماركizia وتصميماً لها. هل هذه زيارة اجتماعية اعتيادية أم أن هناك شيئاً أكثر خطورة يدور في الكواليس؟ تساءلت عن هدفها؛ لكنني سرعان ما وبخت نفسي لكوني درامية للغاية. بالطبع ربما أتت الماركizia لزيارة الليدي غرينجر بعد رؤيتها في الأوبرا الليلة الماضية. ليس هذا شيئاً يثير الريبة.

أم أنه كذلك؟

وقفنا وانتظرنا باحترام، بينما تصعد المرأة البدينة السلالم بخطوات ثقيلة. وعندما وصلت، فوجئت عندما لم أجده برفقتها سوى فينياس ويفرلي، وعصاه تحت ذراعه مرة أخرى.

استندت الليدي إليزابيث كونينغهام، التي من الواضح أنها معتادة أن تكون محور الاهتمام، بصدر على عكاز من الأبنوس بينما نحن نلتف حولها احتراماً. وقدمنا الليدي غرينجر الواحدة تلو الأخرى.

صرفت الليدي كونينغهام ضابط إنفاذ القانون في بوستريت قائلة: "يمكنك الذهاب، ويفرلي"، وحركت أصابعها فتلاً لأت الخواتم العديدة في يديها.

قال ويفرلي: "سوف أنتظرك في العربية يا سيدتي. إذا احتجت إلي...".

وعندما استدار السيد ويفرلي للمغادرة، بحثت عيناه عن عيني، وأمرني بوضوح أن أتبعه؛ فرفعت إصبعي على نحو غير محسوس تقربياً، وأشارت إليه أنني فهمت؛ رغم أن كلينا يعلم أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت للانضمام إليه.

فتحت الماركيزة كونينغهام ذراعيها وهي تقول: "آه، صديقاتي الشابات العزيزات!".

في البداية لم أدرك أنها تشير إلى معانقتي أنا ولوسي. لم نكن نرغب في إخراج أنفسنا أو إخراجها؛ لذلك خضنا لرغبتها. ضمتنا إلى جسدها السمين، وكان من المستحيل تجنب الرائحة النفاذة للعنبر ونبات الباتشولي العطري. ووسط الكشكشات الكثيرة، اتسعت عينا لوسي وقابلتا عيني. كان الوضع غير مرير للغاية؛ لكن لا مفر منه للأسف.

أخيراً، أطلقت الزائرة الموقرة سراحنا، وأخذت تتحفظنا كأنني ولوسي صديقتان مقربتان لم ترهما منذ وقت طويل، وقالت: "عزيزي الليدي برايتون، تبدين جميلة كالعادة. وعزيزي الليدي روتشيسنر! من دواعي سروري أن أراك مرة أخرى!".

صدقني هذا. اعتقدت أنها لم تلاحظ اسمي. وافتراضت أن الليلة الماضية كانت استثناءً، حدثاً يقع مرة واحدة فقط ولا

يتكرر مرة أخرى أبداً. لكنها أنا ذي، وعشيقه الملك تتصرف كأنني شخص عزيز على قلبها. جاهدت نفسي لكي لا تظهر مشاعري على وجهي.

تساءلت: ما سبب ذلك؟ لقد قابلت المرأة للتو فحسب.
لماذا تصنع هذه الضجة حولي؟

ومن وراء ظهر هذه المرأة، شاهدت بلاش ووالدتها هذا التمثيل الصامت. وشعرت بأنهما أحستا بالهزيمة، وقبلتا مكانتي التي ارتقت مؤخراً. بدأت الليدي غرينجر المضيفة البارعة مناقشة مملة للطقوس، فشعرنا جميعاً بالارتياح، عندما انخرطت معها الماركiza في الحديث.

قلت بفزع: "يا إلهي!", ورفعت يدي إلى جانب رأسي وجعلت أحد أقراطي ينزلق في راحة يدي. "أعتقد أنني أسقطت أحد أقراطي. سيداتي، أرجو المعذرة بينما أبحث عنه".

قالت الليدي غرينجر: "يمكنني أن أرن الجرس لتأتي دوري، الوصيفة"، وابتسمت لي بلطف. تغير الجو في غرفة الرسم الخاصة بها من النفور إلى القبول، فشكّرت في نفسي مضيقتنا التي صنعت هذا التحول في الأحداث. ورغم أن التحية المتملقة للماركiza كونينغهام أسهمت كثيراً في هذا التحول، فإن هذا لم يكن ليحدث دون تدخل الليدي غرينجر. تشير الخطوط المتبعة حول فمها إلى أنه كان هناك الكثير من المساقمات وراء الكواليس لنصل إلى هذا المنعطف السعيد.

قلت: "شكراً العطفك يا سيدتي. لا داعي لذلك. أعتقد أنني أتذكر بالضبط المكان الذي يحتمل أن يكون قد وقع فيه. لن يستغرق الأمر سوى دقيقة واحدة". وحالما قلت هذا، انطلقت للعثور على السيد ويفرلي.

وجدته يتكئ بكتف واحد على عربة الليدي كونينغهام الفخمة ذات اللون الأرجواني والذهبي. ظهرت تجاعيد العبوس على وجهه، وقد حشر إحدى يديه في جيبه، بينما أخذت الأخرى تدير عصاها السوداء.

قال السيد ويفرلي: "ليدي روتسيستر! حمداً لله أنك جئت". وسحب منديلاً من جيبه ومسح جبينه. ليس ويفرلي رجلاً يستسلم للقلق. في الواقع، يشير الوصف الدقيق لشخصيته إلى أنها رصينة أو حازمة. ورغم ذلك، فاجأني الارتفاع في أصابعه والاضطراب في نبرة صوته، عندما قال: "يجب أن أسأل: هل لا تزال لديك الرسائل التي تحدثنا عنها قبل ذلك؟".

ترددت في الرد عليه ثم قلت: "لماذا؟".

قال: "يجب أن أعلم. هذا مهم. لا تلعبني معك، سيدة روتسيستر. أنا أقدرك كثيراً؛ لكن تقتضي وظيفتي حماية ملوكنا، والآن، أنت تقفين عائقاً في طريق ذلك". كان يشدد على كل كلمة ينطقها.

أجبته: "نعم. أخبرته. أحرقت الرسائل الأخرى".

قال: "هل سألك الملك عن مكانها؟".

تساءلت عما يعرفه ويفرلي، وعما قاله الملك، وعن السبب الذي لأجله يبدو ويفرلي متوتراً. على أي حال، إذا كان الملك سعيداً لتركي أحتفظ برسالته، فلماذا يتزعج هذا الضابط؟ قلت: "نعم، لكنه لم يطلب إعادتها".

رد السيد ويفرلي بتمرير يده المرتعشة من خلال شعره، وقال: "كما توقعت تماماً. يزداد الأمر سوءاً. من غيرك يعلم بوجودها؟".

أجبت: "لوسي وإدوارد. والسيد دوغلاس يعرف لأن أخته تشاركه كل شيء، وأنا أثق به تماماً".

قال: "تعرف الليدي كونينغهام أيضاً عن الرسالة. ومن المحتمل أنها سمعتك أثناء حديثك مع الملك، وأظن أنها استجوبته بعد ذلك". ثم تأوه وقال: "لقد رأيت ما تعطيه إياه من مشروبات كثيرة ولودانوم، والرجل لا يجيد إمساك لسانه على الإطلاق، وتحت تأثير هذه الأشياء، يصبح عاجزاً، ويعرض نفسه -وأمتنا- لخطر كبير".

قلت: "لكن لماذا يقلقك هذا؟ دعاها كنزه. لماذا تريد أن تؤذيه؟ أليس من مصلحتها إيقاؤه على العرش؟".

أجاب: "سيدتي الطيبة روتشيستر، في حين أن الخداع غريب على شخصيتك، يرتديه الآخرون عباءة لإخفاء نواياهم

الحقيقة. لا أستطيع قول المزيد عن هذا الأمر. ليس الآن. لكن يجب أن تستمعي إلي بعناية: عدبني بالحفظ على الرسالة في أمان. عدبني! لا يمكنك تخيل المشكلات التي قد تسببها، ولا يمكنك تخمين مدى حرص كونينغهام على الحصول عليها".

قلت: "لماذا؟".

أجاب: "في الحقيقة، لست واثقاً من سبب حرصها الشديد، لأنه قد يهدد مكانتها السعيدة بوصفها "الصديقة المقربة" للملك. لكن ليس هذا مهمًا. إنها مصممة على استرجاعها. أظن أن هذا هو سبب قدوتها للزيارة اليوم، للحكم على قوتك وتقدير أفضل الطرق لإقناعك. طلبت مرافقتها لأنني اشتبهت في دوافعها. وقلت للمأمور إنه يجب تكليفه بمرافقتها، ووافق عندما سمع استنتاجي. أقسمي لي أنك ستبقى الرسالة مخفاة".

تسبب إلحاده في ازدياد مخاوفي. "أعدك. ولكن إذا كانت الرسالة مهمة جداً، فلماذا لم يطلب الملك أن أعيدها إليه حتى يتمكن من تدميرها بنفسه؟".

قال: "لأنه لا يكون بمفرده أبداً. أبداً. يحيط به الجوايس. لقد أرسل السعاة لشراء رسائل الحب الأخرى؛ لكنها لم تكن صريحة جداً. محرجة، نعم؛ لكن ليست خطيرة. لقد دمر تلك الرسائل. لكن هذه الرسالة مختلفة، مختلفة للغاية. وإذا أراد الحصول عليها، فمن المؤكد أن الساعي سوف يختطفها ويسلمها إلى أعداء الملك. يتلاصق الجوايس المحيطون

بالمملك رواتب جيدة، ويشغلون مناصب عليا؛ رغم أنه يبدو أنهم يخدمون جلالة الملك، إلا أنهم في الواقع يعملون لحساب الآخرين. وكما رأيت، ملكنا ضعيف. غالباً ما يكون في حالة ارتباك، وصحته سيئة، ويوسفني أن أقول هذا؛ لكنه يركز كل لحظات اليقظة نحو التخطيط لتسويجه".

قلت: "إذاً، أقوى رجل في العالم هو الأضعف أيضاً".

قال: "نعم. هذا تلخيص جيد للأمر. إنه يفضل تعريفك للخطر بدلاً من المخاطرة بنفسه؛ لذلك يجب أن تعدينني بأنك ستلتزم الحذر. لا تساوري إلى أي مكان بمفردك. ولا تذهب إلى الحديقة مرة أخرى مع ابنك فقط! هل فهمت؟".

رفع نسيم بارد حاشية تنورتي وجعل أسناني تصطرك. ففركت ذراعي وتساءلت في نفسي: كيف عرف أين كنت؟ وأني ونيد كنا بمفردنا؟

كنت أتوقع لسؤاله؛ لكن كلما طالت فترة غيابي، ازدادت صعوبة تفسيره. لذلك اضطررت إلى الاكتفاء بإيماءة والعودة إلى غرفة الرسم، حيث أخذت مكاني في الدائرة بين الليدي كونينغهام والليدي غرينجر.

الفصل ٢٠

كانت الماركيزة كونينغهام لا تزال تسهب في الحديث. لم تكن هناك محادثة؛ لأن المحادثة تتطلب الأخذ والرد، بل كان الأمر أشبه بخطاب طويل تلقيه الماركيزة التي تحظى بانتباه الحاضرات، وتسيطر على دفة الزيارة. خلاصة القول، كانت تتحدث عن المشكلات مع الإيرلنديين والسلوك المؤسف للملكة كارولين والأزياء الجديدة من باريس. قالت: "تُبلل السيدات قماش المسلمين ويتركته يجف عليهم. كاشف للغاية!". وصمتت لتلتقط أنفاسها.

قالت الليدي غرينجر: "آه، لقد أتت المشروبات المرطبة! شكرًا يا ليليان"، وابتسمت بينما تضع الخادمة صينية الشاي الفضية وأشياء إضافية لتناولها. وفي أعقاب الخادمةأتى كبير الخدم ستانتون وهو يحمل طبق تقديم من ثلاثة أدوار تتكدس فوقه المقرمشات والكعك. كانت الليدي غرينجر لا تزال تربت على ماغز؛ لكنها استسلمت في النهاية وأنزلت الكلبة المتحمسة على الأرض. جرت الكلبة من كرسي إلى آخر

وهي تهز ذيلها في سعادة، ثم شمت المعجنات بأعين يملؤها الأمل؛ لكن نظر ستانتون إليها نظرة تحذيرية جعلتها تتخلّى عن رغبتها.

قالت الليدي غرينجر: "يا لها من أمسية رائعة حظينا بها في الأوبرا الليلة الماضية! قدمت السنيورة كوري بالتوني أداءً رائعًا، ألا تعتقدين ذلك؟".

قالت الماركiza وهي تكدس عدة ملاعق من السكر في شايها: "استمتع جلالة الملك بأوبرا تانكريدي كثيراً، خاصة أنها كُتبَت بيد صديقه العزيز روسيني. القدرة الموسيقية سمة مميزة للفرد المثقف، أليس كذلك؟ يعزف الملك نفسه التشيللو بشكل مثير للإعجاب. وتلقى جميع أطفالي دروساً في الغناء والعزف على البيانو".

قالت الليدي غرينجر وهي تصب كوبًا لأنثى زوجها: "بالحديث عن الأطفال. كانت الليدي برايتون تخبرنا للتو بأخبارها السارة عندما انضممت إلينا، سيدة كونينغهام. من فضلك يا لوسي، كرري ما قلت للماركiza. أنا مسرورة جداً لأجلك".

شرحـت لوسي مرة أخرى الرسالة التي تلقتها من مربية إيفانز. واختتمت بالقول: "سيصل الولد في أي يوم الآن".

وضعت الأرملة الليدي إنجرام كوبها وأمالت رأسها وهي تنظر إلى لوسي بعناية وقالت: "فتاتي العزيزة. أعرف كم

كانت أوليفيا تفكّر بك، وأعلم أن والدتك قد توفيت منذ فترة طويلة، لذلك يجب أن أتحدث إليك بقلب الأم، وأقول لك بكل صدق إنني أفضل الموت على هذا الكرسي على أن تكون إحدى بناتي مثقلة بطفل غير شرعي يأتي به زوجها".

تبع ذلك صمت طويل. كانت مكيدة الأرملة ذكية جدًا لدرجة أنه لا يمكن لأحد أن يتهمها بالقسوة. لكن حدثت النتيجة التي تريدها. ارتجف فم لوسي وطرفت عيناهَا بسرعة.

لم أستطع ترك هذا دون رد؛ لذلك قلت: "في الواقع، أختلف معك بكل احترام، ليدي إنجرام، بأشد العبارات الممكنة. بالنسبة إلى طريقة تفكيري، لا يوجد شيء اسمه طفل غير شرعي. ربما لا تعرف الكنيسة والدولة بعلاقة ارتباط؛ لكن ليس الطفل مسؤولاً في مثل هذه العلاقة عن طريقة وصوله. كل طفل نعمة من الله. كيف يمكن أن تكون أي من عطاء الله غير شرعية؟ كلنا ثمينون في نظره".

أومأت لي الليدي كونينغهام برأسها وهي تقول: "أحسنت القول!". غيرت استجابتها الأجواء تماماً. ثم أردفت: "صحيح تماماً، ليدي روتسيستر. أتفق معك من كل قلبي، وأنا شخصياً متحمسة لمقابلة هذا الرفيق الصغير. وأعلم أن الملك سيكون كذلك. لديه ولع خاص بالأطفال. في الواقع، أجرينا العديد من المحادثات حول كيفية إشراكهم في حفل تتويجه. نعتقد أنهم قد يشرون بتلات الورد على طول السجادة قبل أن يسير عليها الملك".

تنهدت بارتياح عندما تغير الموضوع إلى مناقشة تفاصيل التتويج القادم. وابتھجت عائلة إنجرام كثيراً بهذا الموضوع.

قالت الماركيزة: "بالطبع، طلب جلاله الملك أن أساعده في إعداد قائمة بأسماء المدعويين. في الواقع، هناك العديد من القوائم. قائمة للذين سيكرمهم الملك لخدمتهم. وأخرى للذين سيشاركون في المراسم. وثالثة للمدعويين لمشاهدة المراسم في كنيسة وستمنستر آبي. وبالطبع، قمنا أيضاً بإعداد قائمة للمدعويين إلى الاحتفال بعد ذلك".

قالت الليدي إنجرام بخجل مصطنع: "أنا متيقنة من أنه لا توجد صعوبة في العثور على مكان في قائمتك للسيدات الشابات الجميلات من العائلات العريقة. العائلات التي لها تاريخ في خدمة التاج، مثل عائلتنا".

ردت الليدي كونينغهام: "وا حسرتاه! يؤسفني أنه من واجبي أن أزيل الأسماء من القائمة. أعتقد أنه من المهم للغاية أن يكون الملك محاطاً بالشباب، لأنهم يمثلون مستقبل المملكة". وارتسمت ابتسامة خبيثة على شفاهها. تذكرت ما قالته لوسي عن عنوسية بلانش إنجرام التي استمرت لفترة طويلة جداً. لقد انقلبت اللعبة التي تلعبها هي ووالدتها عليهما. وذكرتهما الليدي كونينغهام بذلك، وفعلت ذلك ببراعة لدرجة أنني لم أستطع منع نفسي من التعجب.

تحول وجه بلانش في البداية إلى اللون الأحمر الداكن ثم الأبيض الطباشيري.

وردت والدتها بتكشيرة. كانت تتوقع ردًا مطمئنًا من الماركيزة؛ لكنها أصيّبت بخيبة أمل شديدة. وبدلًا من ذلك، ذكرت الماركيزة الأرمدة أن ابنتهما في الثامنة والعشرين من عمرها، أي أنها تجاوزت السن التي تتزوج فيها معظم الفتيات.

لا بد أن سمع ذلك مؤذٍ. وبينما نشاهد، تململت الليدي إنجرام على كرسيها بلا هواة، وأجفلت وهي تفعل ذلك.

سألت بلانش: "ماما؟ هل يزعجك ألمك العصبي؟".

تحديث ماري لأول مرة خلال زيارتنا الطويلة وقالت: "سوف أجلب ثمر الورد. تلك التي تركها لك السيد ليرنر".

ارتقت أذني عندما سمعت الاسم المألوف. لكن لم يكن الأمر مفاجئًا على الإطلاق، عندما تأملته. لقد أوصى السيد كارتر بشدة على السيد ليرنر، الذي خدم أيضًا عائلة إنجرام في منزلهم في يوركشاير؛ لذلك من المنطقي أنه ربما أوصى بالرجل أيضًا للاعتناء بعائلة إنجرام أثناء وجودهم هنا في المدينة.

قالت الليدي إنجرام: "هيا يا ماري. لماذا لم تذكريها عاجلًا؟ أنا واثقة من أنه مرت أكثر من ساعة، وأنت تعرفين كم مرة يجب أن أتناولها!". وصرفت ابنتهما الصغرى بنقرة من إصبعها، كأنها تطرد حشرة مزعجة.

تركت ماري مقعدها وخرجت من غرفة الرسم، وأعقب ذلك صمت غير مريح.

قالت الليدي غرينجر: "لوسي، صُبِيَ كوبًا آخر من الشاي من أجلِي، من فضلك؟ سيداتي، تفضلن المعجنات. إن الطاهية خبازة ممتازة".

وعندما رفعت لوسي القدر للصب، أخذت بلانش فنجانها بعيداً، وقالت: "شكراً لك؛ لكنني تناولت ما يكفي من الشاي. أنا أفضل القهوة. يشتري أفالضل الناس قهوتهم من فورتنام وميسون. في الواقع، لقد اشتريت مؤخرًا كيساً بنكهة البن دق. ماركيزة كونينغهام، هل تريدين البعض؟".

رغم أن الحيلة لم تكن ماكرة، إلا أنها أصابت هدفها. فكرت الماركيزة في العرض ثم قالت: "شكراً لك؛ لكنني أفضل الشاي".

قالت بلانش: "آه، ستودين شم رائحتها على الأقل". فقفزت واحتفت ثم عادت بسرعة، وهي تحمل صينية صغيرة وضعَت عليها علبة صفيح زرقاء لامعة ووعاء زجاجي غير عادي.

قالت الليدي إنجرام لابتها الكبرى: "أين أختك؟".

أجبت بلانش: "علقت رأسها في خزانة ما، وما زالت تبحث عن ثمر الورد ذاك. لا أعلم كيف لا تعرف مكانه. لا يهم يا أمي، سأقدم لك القهوة بدلاً من ذلك. أنا واثقة من أنها ستساعدك".

رفعت بلانش غطاء العلبة الصفيح؛ فانبعشت رائحة قوية باتجاهنا. ثم قالت: "آه! الرائحة قوية جداً!".

ثم مررت العلبة المفتوحة إلى الليدي غرينجر، التي سلمتها لي بسرعة. شممت رائحة المحتويات؛ رغم أنني لم أتلق دعوة لذلك، ووجدتها زكية الرائحة. ثم مررتها إلى لوسي؛ فأخذت صديقتي نفسا عميقا فوق العلبة ثم سلمتها إلى الماركiza كونينغهام.

قالت الماركiza، وهي تبتسم إعراياً عن استحسانها وهي تعيد العلبة إلى بلانش: "يعشق جلاله الملك وأنا منتجات فورتنام. سلال التزهات لديهم رائعة".

استخدمت بلانش ملعة صغيرة لکشط قاع العلبة. وتمكنت من إخراج بعض ملاعق من مسحوق ناعم، ثم سكبت هذه الملاعق بعناية في كيس من القماش ووضعته في وعاء زجاجي أستطيع الآن أن أرى أنه في الواقع كرتان زجاجيتان مثبتتان بعضهما فوق بعض. وأخيراً، أضافت الماء الساخن على المسحوق، وأحكمت إغلاق الغطاء.

تململت الليدي إنجرام في كرسيها، وتحركت يميناً ويساراً، وأجفلت خلال ذلك. ثم قالت: "تلك الفتاة. لماذا تستغرق ماري وقتا طويلا؟ آه، ساقى. الألم لا يطاق".

قالت بلانش: "ماما، أتحدى أن هذه القهوة ستفيدهك أكثر من ثمر الورد السخيف ذاك. هيا، لتشارك هذا القدر. ليدي برايتون، من فضلك أعطي هذا لأمي".

قالت الليدي الأرملة وهي تبتسم لطفلتها: "يا وردتي، بلانش الحبيبة. لقد أنعم الله عليّ بابنة رائعة، نموذج للأنوثة الشابة. بالطبع، يمكن تتبع سلالة عائلتي حتى مائة عام، وتظهر التربية الجيدة دائماً، أليس كذلك؟ يستطيع المرء أن يقول ذلك".

تبادلنا أنا ولوسي نظرات سريعة من تحت رموشنا. ظهرت ابتسامة على شفتيها؛ لكنني لم أجرب على التحديق في صديقتي لوقت طويلاً لكي لا نظهر استهزاءنا. إذا كانت أحاديث الليلة السابقة مثلاً على "التربية الجيدة"، فهذا يعني أنهن يحتاجن إلى دماء جديدة. لكن لكتبت رغبتي في الضحك على تصريحها المثير للسخرية. أضفت السكر إلى الشاي، مثلما فعلت الماركيزة، بينما تناولت الليدي غرينجر قهوتها السادة مع الكريمة.

لبضع دقائق، أخذت كل واحدة منا تستمتع بمشروبها الساخن.

أخذت الليدي إنجرام رشفة ثم قالت: "آه، هذا لذيذ. ومنعش جداً"، ثم وضعت الفنجان على ذراع كرسيها، وأردفت: "بلانش، أنت دائماً تهتمين بي جيداً... آه!".

تركت الليدي إنجرام مقبض الفنجان؛ فسقط على السجادة وارتدى مرتين قبل أن يتدرج تحت كرسيها. ثم أمام أعيننا المذهولة، سقطت الأرملة الليدي إنجرام على وجهها على الأرض.

الفصل ٢١

صرخت بلانش؛ لكنها ظلت ملتصقة بمقعدها؛ بينما سارعت لوسي على الفور لمساعدة السيدة، وانضممت إليها على السجادة. قلبنا الأرملة على جانبها معاً. ربت لوسي على وجه المرأة لكي توقظها وهي تقول: "ليدي إنجرام؟ سيدتي؟ هل تسمعيني؟".

جذبت الليدي غرينجر حبل الجرس بقوة وهي تصيح: "ستانتون! تعال بسرعة!".

صاحت بلانش: "ماما! ماما!".

قالت لوسي وهي تصفع المرأة بقوة أكبر: "هيا". وأثناء هذا الصخب، خرجت ماغز من تحت كرسي الليدي غرينجر ولعلقت القهوة المسكوبة.

قالت مضيفتنا وهي تجذب كلبتها من طوقها: "لا، لا!" وأعادت الكلبة مكانها تحت كرسيها ووضعت منديلها على بقعة القهوة.

سألت لوسى: "أوليفيا، هل لديك نشادر؟".

لكن انتبه الليدي غرينجر تشتت عند ظهور ستانتون أمام الباب وقالت: "أحضر طبيباً! أسرع!".

أخذت الماركيرة تنقب في حقيبتها وأخرجت زجاجة بلورية صغيرة بزخارف ذهبية، وقالت وهي تعطيها إلى لوسى: "ها هي!". وحالما فتحتها لوسى، دفعتنا الرائحة الكريهة جميعاً إلى التهوع، جماعتنا باستثناء الليدي إنجرام. ومن خلال عيوننا الدامعة، رأيت لوسى وهي تحرك الزجاجة تحت أنف المرأة.

لكن لم تستجب الأرملة. ولم تطرف عينها أو تسعل حتى.

همست لوسى في أذني وهي تحرك زجاجة النشادر تحت أنف المرأة: "ليس هناك ما نستطيع فعله. لقد فارقت الحياة. إنها لا تستجيب على الإطلاق. إنني أحاول كسب الوقت حتى يصل الطبيب فحسب. أمسكي منديلاً وحركيه كالمرودة لكي لا يلاحظ الجميع".

أومأت لها وفعلت مثلما قالت؛ لكنني لم أستطع منع نفسي من ملاحظة أن عيني الليدي إنجرام فقدتا بريقهما، وأن الكهرباء التي تحيط بالكائنات الحية سرعان ما تبددت. فغرت الأرملة فاها وتحجرت نظراتها.

تمتمت الليدي كونينغهام وهي تروح عن نفسها: "يا عزيزتي، يا عزيزتي".

في غضون ذلك، يبدو أن بلانش أدركت أن الأمر ليس إغماءة صغيرة فحسب؛ فنزلت على ركبتيها ودفعتي ولوسي جانباً، وقالت: "ماما! تحدثي معي! هل يؤلمك قلبك؟ تحدثي". وعندما لم تسمع ردّاً، التفت ودفعتي بقوة وقالت: "اذهبي بعيداً. لا تلمسينها".

ففعلت مثلما قالت.

صاحت بلانش: "ماري؟ أين اختي؟ ماري!".

دخلت الآنسة ماري إنجرام، وهي تحمل حقيبة صغيرة من المسلمين. كانت خطواتها سريعة لكن مرتعشة وكأنها تمشي على قشر البيض ووجهها أبيض كالثلج. نظرت حولي وهي تحدق في الأرض.

صاحت ماري: "ماما! ماما!", وأوقدت الحقيقة أرضاً فارتد ثمر الورد البرتقالي والأصفر على السجادة. تجاهلت ماري وجرت إلى جانب أمها وأمسكت يدها وقالت: "لماذا هي باردة؟ كيف يحدث هذا؟ لقد ذهبت لإحضار ثمر الورد فحسب!".

قالت بلانش بقسوة: "نعم، وأخذت وقتاً طويلاً. كانت تتألم، والآن انظري ماذا فعلت؟ لم يتحمل قلبها".

تاوهت ماري، وبدأت على الفور تمطر وجه أمها بالقبلات وهي تصيح وتبكي: "لا، ماما! لا تتركيني! لا! أرجوك، لا!".

جلست بلاش وغطت وجهها وبكت في يديها. وتكونت
أختها بجوار أمهما.

تهدت الماركيزة وأخذت تهز رأسها.

ثم جاء السيد ويفرلي إلى باب غرفة الرسم وقال: "ماذا
يحدث هنا؟ لقد سمعت صراخاً". أخبرته نظرة واحدة بما
يحتاج إلى معرفته؛ فجلس القرفصاء ووضع أصابعه على
عنق الأرملة، ولم يتخل عن عصاه. ثم وضع أذنه على فمها
 واستمع. وفي النهاية، نظر إلى وعرفت ما يفكر فيه.

"لا فائدة. إنها ميتة".

الفصل ٢٢

قال ويفرلي وأصابعه تغلق عيني الأرملة الليدي إنجرام الخاليتين من الحياة: "إنها بين يدي الله. تعازي الحرارة!". حدقنا جميعاً في الجسد الممدد على الأرض. أياً كانت أخطاء الليدي سيلفانا، فإنها كانت تغدق حبها على أطفالها، حسناً على الأقل على ابنتها بلانش وابنها اللورد إنجرام. كانت ماري المسكينة تأتي في المرتبة الثانية؛ لكنني أتذكر شعور الليدي بالفخر منذ ثلاث سنوات عندما ظهروا في ثورنفيلد هول في إحدى الحفلات في نهاية الأسبوع. ليس هناك أم تراعي أطفالها مثلما كانت تفعل.

والآن، ماتت. يا له من أمر غريب أن تحول امرأة عنيدة تمتلئ بالنشاط والحيوية إلى الجمود والسكون بسرعة! يزحف الموت بينما كلص وسرق منها شعلة الحياة.

ماتت والدتي وأنا في سن صغيرة جدًا، ولا أتذكرها كثيراً. إنها انطباع أكثر من كونها شخصاً. ورغم ذلك، وبصفتي أمّا الآن، أشعر بالألم الذي يسببه الأمر، عندما أفكر في ترك نيد.

شعرت بالغصة في حلقي، وضغطت على البقعة بين عيني لأكتم دموعي.

في أنفاسها الأخيرة، هل أدركت السيدة إنجرام أنها قد حُرمت من فرصة أن تقول وداعاً؟

هزّت رأسي لأبعد عنه هذه الأفكار. ليس هذا الوقت المناسب أو المكان المناسب للاستسلام للحزن. هناك الكثير من الأمور التي يجب فعلها. ستبقينا تبعات الموت مشغولين جمِيعاً، وسنمضي قدماً، حتى نعترف بحقيقة الخسارة.

قال ستانتون عندما ظهر في المدخل: "لقد أرسلت خادمًا إلى السيد ليرنر". ومرر يده المرتعشة فوق سترته بحكم العادة، لأن سترته كانت تقع على كتفيه العريضين بشكل مثالي. حدق في المرأة على الأرض؛ لكنه أبقى اهتمامه الحقيقي على سيدته.

قال ستانتون: "بالنيابة عن جميع العاملين بالمنزل، أشارككم أعمق مشاعر التعاطف، ليدي غرينجر، وبالطبع السيدات الشابات. سأجهز المنزل للحداد".

قالت الليدي غرينجر بصوت خشن من التأثر: "شكراً لك ستانتون". ووضعت منديلها على عينيها، وقالت: "لكن في الوقت الحالي، انتظر هنا من فضلك. قد نحتاج إليك".

قال: "كما تشاءين يا سيدتي". وظل واقفاً بجانب الباب، وعيناه تجولان في الردهة لمنحنا الخصوصية.

سؤال ويفرلي: "هل يمكنك إحضار ملأة لنا؟".

بدا ستانتون مذهولاً. من الواضح أنه لم يفكر في ذلك، ويمكنتني القول من خلال اللون الأحمر الذي انتشر على وجهه إنه انزعج من سهوه عن هذا. قال: "بالتأكيد. على الفور يا سيدي".

كانت فتاتا إنجرام تبكيان بهدوء الآن. وغرقت كل منها في كرسي، بعيداً عن بعضهما بعضاً. نظرت الليدي غرينجر إلى ويفرلي، ثم إلى ستانتون وهو يغادر، وبدت في حيرة، وكأنها تسأل نفسها: كيف حدث هذا؟

قالت الماركيزة فجأة: "ويفرلي؟ أريد العودة للمنزل". ثم أضافت متأنراً: "أقدم لكم جميعاً تعازي الحارة. سأرحل الآن".

انحنى ويفرلي بعمق وتبع إصبعه طرف عصاه السوداء الذي نقش عليه شعار الملك بالذهب، وقال: "كنت أود أن أراففك يا سيدتي؛ لكنني لا أستطيع. واجبي تجاه التاج. لا أستطيع الذهاب حتى... حتى يتم الاعتناء بأشياء معينة. يجب أن يُرفع تقرير إلى المأمور. وبما أنني هنا، سيكون من الأسهل...". وألقى نظرة خاطفة على فتاتي إنجرام الباكيتين وأردف: "...إذا قمت بذلك بنفسي... مجاملة للعائلة".

نظرت إليه الماركيزة بغضب وقالت: "إذا توجب عليك. هل أنت واثق؟ حسناً، استمر. على الأقل حتى يتولى شخص آخر زمام الأمور".

قال ويفرلي دون أدنى أثر للسخرية: "كالعادة يا سيدتي، تضعين مصلحة الملك نصب عينيك". ثم أخرج دفتراً مجعداً من الجيب الخلفي، وأردف: "هل يمكننا أن نبدأ بالاسم الكامل للسيدة؟".

قالت الليدي غرينجر: "الليدي سيلفانا إنجرام، زوجة الراحل البارون إنجرام من إنجرام بارك". كانت كلماتها مصحوبة بالتنهد.

فجأة شعرت بأسف شديد على صديقة لوسي. لقد رتبت هذه الزيارة مجاملة للوسي، في محاولة لصنع السلام، وانظروا ما حدث! كان من المفترض أن تكون الزيارة غير المتوقعة من الليدي كونينغهام انتصاراً لها أيضاً، وبالتالي لم يكن لدى الليدي غرينجر أي سبب للشك في دوافع الماركيزة.

لكن الآن، سيحمل هذا المكان الجميل، هذه الغرفة المضياف، إلى الأبد بصمة هذا الحدث المؤسو.

أجابت الليدي غرينجر عن أسئلة ويفرلي بشكل متقطع. وشرحـت للضابط أن أخت زوجها عانت لفترة طويلة من قلب ضعيف. قالت: "عالجها السيد كارتـر والسيد ليرنـر في المـنزل، في إنجرام بارك. لكن في الآونة الأخيرة، كان ألمـها العصبي هو الذي يزعـجها. لذلك وصفـ السيد لـيرنـر ثـمر الورـد وـترك كيسـاً منه لاستخدامـه. لقد أرسـلت مـاري لإـحضارـه حتى تـتمكن سـيلفـانا من نـقـعـها معـ الشـايـ".

قالت ماري: "بذلت قصارى جهدي. حاولت أن أعن
عليها! لكنها نُقلت من مكانها!".

قالت بلانش بنبرة فظة: "إنها مسئوليتك أيتها المهملة".

قالت الليدي غرينجر وقد بدت مرهقة للغاية: "بلانش، من
فضلك، ليس الآن. أيتها الفتاتان، أشار ككما حزنكم. أنا أيضاً
مفطورة القلب! لكن الأوقات العصيبة تكشف معدن الإنسان؛
لذلك يجب أن نواصل، كما أرادت والدتكما، وأن نعامل
بعضنا بعضاً بلطف".

تراجعت بلانش للخلف قليلاً، كأنها صُفت؛ لكن ارتسم
العبوس على وجهها.

قالت الليدي غرينجر: "ماري، يعلم الجميع أنك بذلت
قصاري جهدك. ليس خطأك أن قلب والدتك كان ضعيفاً.
بدت في حالة جيدة تماماً، باستثناء الألم بالطبع، قبل...؟؛ لكن
توقفت الليدي غرينجر عن الحديث فجأة.

قال ستانتون وهو يحمل ملاءة بيضاء: "لقد وصلت عربة
للتو. أعتقد أن السيد ليرنر قد أتى". ثم قام هو والسيد ويفرلي
بفتح الملاءة، وبسطها، ووضعها برفق فوق جثة الليدي إنجرام.

بدأت ماري وبلانش تبكيان بصوت أعلى. لمست الليدي
غرينجر عينيها مراراً وتكراراً بمنديلها المصنوع من الكتان،
لكن فاتتها بعض الدموع التي تقاطرت على وجهها، ونزلت
على ذقنها.

قال شاب ظهر في المدخل وهو يحمل حقيبة ممزقة ومتضخمة: "ماذا حدث؟ من يتآلم؟". أوقف تقدمه لأن ستانتون والسيد ويفرلي تراجعا إلى العتبة، وسدا طريقه. وحالما نظرت جيداً إلى الوارد الجديد، طارت يدي إلى فمي من المفاجأة.

كان السيد ليرنر، الطبيب الشاب الذي أوصى به السيد كارتر لإدوارد، هو نفسه الرجل الذي شاهدته يتجادل مع ماري إنجرام في هايد بارك هذا الصباح.

يمكنني القول من خلال التغيير الذي اعتبرى وجهه إنه تعرف علي؛ لكن يشير الارتكاك الذي حدث بعد ذلك إلى أنه لا يستطيع أن يتذكر بالضبط لماذا بذلت مألوفة له.

ورغم الصفععة التي أعطتها ماري للطبيب في وقت سابق، إلا أنها لم تستطع إخفاء إعجابها به. والآن بدأت أعرف ما حدث. دُعي السيد ليرنر لزيارة السيدة إنجرام، وترك لها ثمرة الورد من أجل ألمها، وتبعته ماري إلى هايد بارك. لا بد أنه كان في طريقه إلى بودل للقاء إدوارد والسيد دوغلاس عندما تربصت به الآنسة ماري.

قال ويفرلي: "سيد ليرنر، على ما أعتقد؟ أنا فينياس ويفرلي من بوستريت".

مد الشرطي يده ليصافحه وقال: "تصادف أنني كنت هنا بصفتي مرافقاً للماركيزة كونينغهام، صديقة عزيزة لصاحب

السمو الملكي. أخشى أنها إحدى مرضاك، الليدي إنجرام. أعتقد أن قلب هذه المرأة الضعيف لم يستطع الاستمرار". بعد هذا قاد السيد ويفرلي الشاب إلى الجسد؛ لكنه تابع حديثه قائلاً: "أنت تعرف، بالطبع، الليدي غرينجر؟ وبناتها عائلة إنجرام؟ لقد علمت أنك كنت هنا من قبل؟".

أومأ السيد ليبرنر إيماءة صغيرة.

أشحت بنظري بعيداً، عندما رکع السيد ليبرنر بجانب الشكل الجامد على السجادة؛ لكنني سمعت حفيف الملاعة وهو يطويها مرة أخرى. لاحظت من طرف عيني أنه يتحرك بسرعة، ويضغط بأطراف أصابعه هنا وهناك. منح الإجراء برمته الأرملة نقطة ضعف لم تكن لديها في الحياة. يسلينا الموت شخصيتنا. لا يُمنح الاحتشام والحياة للجثة، التي كانت ذات يوم إنساناً ينبض بالحياة وسط البشر. بسرعة، فحص الطبيب نبضات قلبها من رقبتها، وأمسك بمرأة أسفل أنفها، واستمع إلى صدرها. ثم جلس واعترف بالهزيمة. قال للجميع وليس لأحد على وجه الخصوص: "أتقدم بأحر التعازي. كانت ضربات قلبها غير منتظمة دائمًا. أخشى أنه توقف عن النبض في النهاية".

واصلت بلاش بكاءها الناعم؛ لكن ماري صرخت بصوت مرتفع. ألقى السيد ليبرنر نظرة على الأخت الصغرى؛ لكنه ظل بعيداً عنها.

قال الطبيب: "سأبقى هنا حتى يصل متعهد دفن الموتى؛ لكنني أقترح أن تنتقلوا جميعاً إلى غرفة أخرى". كانت طريقة عملية وحازمة.

قال السيد ويفرلي: "ليدي غرينجر، هل تفضلين بإرشادنا؟".

فقالت: "نعم، نعم بالطبع". وبعد أن مسحت وجهها، وقفت ببطء، وهي تمسك كرسيها لتحقيق التوازن. لقد سلبتها الأحداث الأخيرة حيويتها، وبدت ضائعة قليلاً، لأنها استيقظت فجأة في منزل شخص آخر. استغرق الأمر منها دقيقة لتلملم شتات نفسها، فنهضت أنا ولوسي، وأوقفت الليدي كونينغهام عكازها ورفعت نفسها. تركت فتاتا إنجرام أماكنهما ووقفتا بإرهاق؛ لكنهما واصلتا البكاء. كنا جميعاً مستعدين للمغادرة، عندما نظرت الليدي غرينجر حول قدميها وقالت: "الكلبة. كلبتي. أين ماغز؟".

قالت لوسي: "لا بد أنها مختبئة تحت كرسيك. ربما تكون خائفة، يا لها من مسكينة! الكثير من الضجة".

أتى ستانتون وركع تحت كرسي الليدي غرينجر وقال: "سأجلبها، ليدي غرينجر. تعالى. هنا، ماغز". وعندما لم تجبه، بحث في جيبيه عن طعام لها وقال: "بسكويت؟".
لكن الكلبة لم تطعه.

قال ستانتون: "أستطيع رؤيتها؛ لكنها عنيدة. تتجاهلني".
ومد يده تحت الكرسي وشد الكلبة... ثم توقف فجأة وقال:
"يا إلهي!".

أمسكت السيدة غرينجر بذراع الكرسي، وانحنىت لمشاهدة
ما يحدث وقالت: "ما هذا؟ آه، ستانتون، أمسك بها فحسب".

جلس ستانتون وهز رأسه وقال: "سيدتي، أنا...". وبيطء
شديد دفع كبير الخدم كلتا ذراعيه تحت كرسي الليدي
غرينجر. وبينما كان يزحف للخلف، تبعته كتلة من الفراء
الأبيض الحريري في الاتجاه نفسه. لكن كان هناك شيء خطأ،
شيء ما غير صحيح.

لم تتحرك الكلبة.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٣

حدقت الليدي غرينجر في الكلبة بين ذراعي كبير الخدم. وبينما يرفع الرجل الكلبة نحو سيدته، سقط رأس الكلبة للوراء. شاهدنا جميعاً في فرع فمها المفتوح ولسانها الوردي الذي تدلّى جانبًا.

قالت الليدي غرينجر متسائلة كأنها تحاول أن تفهم ما يحدث: "ماغز. ما خطبك، يا ماغز؟ آه، آه!", ووّقعت في كرسيها.

وقف ستانتون وهو يحمل الجسد الرخو للكلبة. كان الذعر يرتسّم على وجه كبير الخدم وهو يقول: "لقد... ماتت".

تمّت ويفري و هو يخطو من فوق المرأة الميّة ليفحص الكلبة عن قرب: "هذا يفسد كل شيء".

بدت الليدي غرينجر كطفلة وهي تقول لخدمتها: "من فضلك، هل تسمح لي... بحملها؟". لم ينطق أحد، عندما نقل ستانتون الكلبة إلى ذراعيها. انفجر الحزن داخل الليدي

غرينجر، وكان حزنها على كلبها أضعاف أضعف حزنها على أخت زوجها. وتأوهت بصوت أتى من أعماق قلبها.

قالت الليدي غرينجر: "عزيزي، حبيبتي الصغيرة ما أغز! صديقتي. كيف تتركيني؟" أسرعت لوسي إلى صديقتها وعانتها بقوة؛ فالتفتت إلى لوسي وقالت: "هناك خطب ما. في الأول سيلفانا والآن ما أغز. ماذا يحدث؟ هل تعرفين؟".

وَقَعَتِ الْمَصَابُ الْوَاحِدَةُ تَلَوِّ الْأُخْرَى عَلَى رَأْسِ الْلِّيْدِيِّ غَرِينِجَرَ، وَجَاهَدَ عَقْلُهَا لِفَهْمِ مَا يَحْدُثُ. كَانَتْ عَيْنَاهَا خَاوِيْتَيْنِ وَوَجْهُهَا مَتَهْدِلًا وَجَسْدُهَا يَتَحرَّكُ كَالْآلَةِ.

أتت ليлиيان وخدمة أخرى إلى الباب. ووقفت الائتنان على العتبة بعيون متسبة وهما تختلسان النظر.

أخبرتني نظرة سريعة على الماركيزة بأنها فوجئت بهذا التحول في الأحداث. ولمحت في عينيها تألفاً وهي تسأله عما يعنيه هذا وكيف تستطيع أن تستغل هذا الموقف لمصلحتها.

قال السيد ليرنر: "ليحضر لي أحد كوبًا من الماء".

مد الشاب يده نحو حقيبة الفوضوية وأخذ يقلب بين العديد من الأوراق. وبعد البحث، أخرج زجاجة بنية صغيرة. وعندما أتى الماء، أضاف إليه الطبيب قطرات قليلة من اللودانوم. وبحرص شديد وضع الكوب على شفتي الليدي غرينجر وهو يقول: "اشربي هذا. هيا. جيد. لا بأس". ثم وضع الكوب جانباً

وقال ستانتون: "يجب أن نأخذها إلى غرفة نومها لترقد على سريرها. يجب أن تبقى هادئة. وحالما تصبح هناك، أستطيع الاعتناء بها في خصوصية".

اقرب ويفرلي من مضيفنا، وكان وجوده مفيداً.

قال ستانتون: "سيدتي؟" ورفع ذراعه إلى سيدته. ارتعشت الليدي غرينجر وهي تقف ولا تزال تمسك بالكلبة؛ لكن عندما بدا أنها ستنهار، مد ستانتون وويفرلي أيديهما وراءها، وصنعا ما يشبه كرسياً بأذرعهما. ويبدو أنها لم تلاحظ أنهما يحملانها. وعندما تحرك الرجالان، قبضت على الكلبة ذات الشعر الأبيض الناعم بقوة أكبر وقربتها من صدرها أكثر. وتبعتهم خادمتها.

التفت السيد ليرنر إلى بقيتها وقال: "سيدة؟ أقترح أن تذهبن إلى المكتبة".

قادت لوسي الطريق. ووقفت بلاش في متصف الردهة وهي تلف ذراعيها حول خصرها وتقول متذمرة: "أشعر بالدوار. أعتقد أنني...".

لكن أمسكها السيد ليرنر قبل أن تتشنى ركباتها.

نظرت ماري إلى أختها بحدة قبل أن تبعهم إلى المكتبة. وانتظرت بجانب الماركيزة التي حدقت بي بطريقة مزعجة وقالت: "أحضرني ويفرلي. أخبريه بأنني رأيت ما يكفي. يجب أن نغادر. الآن!".

قال السيد ويفرلي عندما عاد إلى غرفة الرسم: "بالطبع،
ليدي كونينغهام. لكن يجب أن أتحقق من سلامتك أولاً.
الليدي إنجرام ميتة. والآنسة إنجرام كادت تنهار الآن.
والليدي غرينجر غير قادرة على التصرف، وكلبتها ماتت
أيضاً. ألا ترين؟ لا أستطيع إعادتك إلى كارلتون هاوس إلا
بعد أن أعرف ما يحدث هنا. لا أستطيع المخاطرة، ليس بك
أو بسمو الملك".

لم يعجبها لأمر؛ لكنها لم تستطع أن تجادله، فاستندت
إلى ذراع ويفرلي وهمست في أذنه، ثم مشت بخطوات ثقيلة
إلى المكتبة. حالما وصلت إلى هناك، ساعدت لوسني السيد
ويفرلي لجعل الماركيزة تشعر بالارتياح، وأحضرت لها
الوسائل ووضعت لها مسند القدمين. ثم التفت إلى السيد
ويفرلي وقال: "سيدة روتشيستر؟ هلا رافقتي إلى غرفة الليدي
غرينجر؟ أعتقد أنه من غير الملائم أن أذهب بمفردي".

أومأت موافقة. كان تسويغ ويفرلي غير منطقي بالطبع لأن
الليدي غرينجر في رعاية وصيفتها؛ لكنه تحدث بجدية جعلت
الليدي كونينغهام تصدقه. أعتقد أنها طالما تحظى بالتدليل،
ستتعاون معه.

نهضت وتبع الرجل على عجل في الردهة.

استجابت الوصيفة لطرقنا على الباب بسرعة. كانت الليدي
غرينجر تستريح تحت الأغطية بعينين نصف مغمضتين. ورغم

ذلك، لم تترافق قبضتها عن ماغز. في الحقيقة، كانت تلف ذراعيها حول الكلبة بقوة، مثل طفل يحمل لعبته المفضلة.

سأل ويفرلي الوصيفة: "ما اسمك؟".

أجابت: "دورسي يا سيدى. دورسي إيفرز"، وهي تنظر إلى قدميها ووجهها لأأسفل.

لفت شيء انتباه ويفرلي فأمال عنقه لينظر إليها جيداً. كانت هذه أول مرة منذ وصولنا أرى فيها الوصيفة عن قرب، وعندما تابعت نظراته، رأيت ما أثار اهتمامه.

قال ويفرلي: "وجهك، ماذا حدث له؟".

ظلت دورسي تنظر إلى الأرض وقالت: "اللidiي إنجرام ضربتني".

فسألتها: "لماذا؟ ما الذي أغضبها؟".

أجابت: "لا أستطيع إرضاعها يا سيدى. حاولت؛ لكنى لم أستطع. ليتغمدها الله برحمته".

هز رأسه وقال: "نعم، حسناً. أرجوك ساعدينى. أريد أن أرى الكلب. لا أريد أن آخذه".

قالت دورسي مصححة: "كلبة وليس كلباً".

فقال: "حسناً. لا أريد أن أزعج اللidiي".

فقالت: "سأبذل قصارى جهدي"، وانضمت إليه بجانب السرير. تحدثت بصوت هادئ مع الليدي غرينجر، وأخذت تخفف عن المرأة شبه الفاقدة للوعي، بينما انحنى السيد ويفرلي بالقرب من فم الكلبة. شاهدته يفتح فم الكلبة وينظر إلى الله ثم وضع أنفه بالقرب من فمها وشمها.

قال: "هذا كل ما أريد. شكرًا لك". ثم انحنى انحاء صغيرة للوصيفة قبل أن يشير بذقنه لأتبعه إلى الردهة.

مشينا إلى بقعة على الطرف الآخر في أبعد مكان ممكن عن المكتبة، لكي نستطيع أن نتحدث على انفراد وقال: "ماذا حدث باعتقادك سيدة روتشيسنتر؟".

"سيدي؟".

قال: "أعلم أنك دقيقة الملاحظة وذات تفكير ثاقب. أطلب منك أن تخبريني برأيك".

قلت: "أولاً، سيد ويفرلي، أرجوك أخبرني: هل تنبئ رائحة القهوة من الكلبة؟ لقد رأيتها وهي تلعق القهوة التي وقعت من كوب الليدي إنجرام؛ لكن الليدي غرينجر وبختها؛ لذلك لا أعرف ما إذا كانت الكلبة قد تناولت أي شيء منها أم لا".

فقال: "تنبئ رائحة القهوة من فمها. ويمكنك تخمين ما أسعى وراءه: شخص ما سمي الليدي إنجرام".

الفصل ٢٤

طار عقلي من هذا الخبر. تسممت؟ هذا يعني أن شخصاً ما في هذا المنزل قاتل. لا أستطيع تصور مثل هذا الأمر؛ رغم ما بذلته من محاولات. لوسي؟ ليدي كونينغهام؟ ماري؟ بلانش؟ ليدي غرينجر؟ لا وألف لا. لا بد أن هناك تفسيراً آخر. قلت: "ألا يعقل أن تكون قد وصلت إلى نهاية حياتها؟ وأن قلبها قد أصابه الإجهاد؟".

قال السيد ويفرلي: "لكن الكلبة...".

سألته: "ماذا تعلم عن السموم؟" كنت قد تعلمت الاستدلال المنطقي مؤخراً، فن حل الألغاز باستخدام المنطق؛ لكن يعمل السيد ويفرلي ضابطاً لإنفاذ للقانون منذ فترة طويلة.

قال السيد ويفرلي: "ليس كثيراً. آه، لدينا حالة غريبة هنا، ويوجد رغوة على فم الكلبة وأشياء غير متوقعة؛ لكن...".

هززت رأسي وقلت: "ليس الأمر كذلك. وقعت اليدى إنجرام عن كرسيها. كنت هناك طوال الوقت. ولم أر أي شيء

يثير الريبة. لقد أكلنا جمِيعاً من الصينية نفسها. لكنني أعتقد أن الليدي إنجرام والكلبة أكلتا من البسكويت نفسه أو المعجنات نفسها".

في اتفاق صامت، ذهبنا إلى غرفة الرسم حيث انحني الطبيب فوق الجثة ليضع ذراعي الليدي إنجرام فوق صدرها. لم تكن لدى أي رغبة في النظر إلى ما يفعله السيد ليرنر؛ لذلك أشرت إلى فنجان قهوة الابنة الكبرى للidisي إنجرام الذي كان لا يزال قابعاً فوق المائدة وقلت: "انظر سيد ويفرلي. لم يتبق سوى القليل في قاع الفنجان. لو كان فيه سم، لماتت الآنسة إنجرام أيضاً. لو كانت القهوة مسمومة، فكيف يفسر المرء بقاء الآنسة إنجرام على قيد الحياة؟".

"هممم؟" وضع السيد ويفرلي أصبع الإبهام في صدیریته وأخذ يفكر بعمق.

قلت: "شربت الليدي إنجرام وبلانش إنجرام القهوة من القدر نفسها. وإذا تسممت الأرملة، فلماذا لم تعان الابنة من آثار التسمم أيضاً؟".

قال ويفرلي: "أخبريني بما حدث بالضبط؟".

شرعت في سرد أحداث الظهيرة التي أدت إلى هذه اللحظة، وأنهيت تلخيصي بالقول: "يمكنك القول إن الحدفين وقعَا بشكل متزامن: وفاة الليدي إنجرام وموت الكلبة".

قال: "سأضع وجهة نظرك في الحسبان؛ لكن حتى أجري المزيد من التحقيقات، يجب ألا أتسرع في الحكم. هيا بنا نرجع إلى الآخرين". وانطلق إلى المكتبة؛ فسرت وراءه.

جلست كل واحدة من الأختين إنجرام في كرسي منفصل. وكانتا تبكيان في هدوء، وجلست لوسي خلف مكتب الليدي غرينجر وهي تحدق خارج النافذة، مثل الليدي كونينغهام التي جلست في كرسي كبير مغطى بسجاد مزخرف.

سأل السيد ويفرلي باهتمام كبير ورأسه يميل نحو بلاش: "آنسة إنجرام، كيف حالك؟ أعني كيف حال صحتك بشكل عام؟".

قالت وهي تجفف وجهها: "أشعر ببعض التوعك. ويدور رأسي عندما أقف". ثم صمتت قليلاً وضاقت عيناها ثم أردفت: "لماذا؟".

دار السيد ويفرلي على عقبيه وغارد الغرفة. أخبرتنا الأصوات الخافتة بأنه يتحدث مع السيد ليرنر. وعندما عاد الاثنين إلى الغرفة معاً بحث الطبيب الشاب في حقيقته قبل أن يخرج ظرفاً صغيراً. رن الجرس ليأتي خادمُ، وعندما ظهرت ليليان، طلب إبريقاً كبيراً من الماء وعددًا كافياً من الأكواب من أجل جميع السيدات.

وقال ليليان: "أحتاج الكثير من الماء، رجاءً، وخبزاً جافاً أيضاً. ضعي الخبز على النار حتى يكاد يحترق". ثم انتقل

الطيب من امرأة لأخرى، ووزع ما يشبه قطعاً صغيرة من الفحم الذي يشبه ما يوجد في الموقد بعد انطفاء النار.

قال الطيب: "ابتلعن هذه رجاءً مع كوب كامل من الماء. واشربن كوبًا آخر ممتلئًا حالما تستطيعون. وأريد من كل واحدة منكن أن تأكل قطعة أو اثنتين من الخبز، وتتناول أكبر قدر ممكن من الماء طوال اليوم".

حدقت الليدي كونينغهام في القطع السوداء في يدها وقالت: "لماذا؟".

قال السيد ويفرلي: "إجراء احترازي يا سيدتي".

فقالت: "من أجل ماذا؟ يكفي. أريد الذهاب للمنزل. أنا متعبة. سيغضب الملك منك، ويفرلي، عندما يعلم أنك لم تُطعني".

قال ويفرلي: "كم أود أن أفعل ذلك يا سيدتي. لكن، يجب أن أتحدث إليكن جمیعاً". وانتظر حتى أولته فتاتا إنجرام انتباهما وأردف: "يؤسفني أن أقول هذا؛ لكنني لدى سبب يدفعني لاعتقاد أن الليدي إنجرام ماتت مسمومة".

صرخت ماري: "ماذا؟ مسمومة! مسمومة؟ ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟ ماذا؟".

فغرت لوسي فاها وهي تقول: "ماذا؟".

قالت بلانش وهي تحدق في السيد ويفرلي: "هل تقول إن شخصاً ما قتل أمي؟".

فأجاب: "هذا محتمل. لا أستطيع أن أقول أكثر من هذا".

غرقت بلانش في مقعدها. ولمع العرق على جبهتها. وأمسكت بذراعي كرسيها بقوة. ثم اهتزت في كرسيها قليلاً وقالت: "إذاً ربما أكون قد تسممت أيضاً لأنني لاأشعر بأنني بخير".

التفتت ماري إلى أختها وقالت: "لا تكوني سخيفة، بلانش. لقد كنت تشعرين بالتوقع طوال الأسبوع. إنها لعبة تمارسينها. لا شيء آخر".

هزت بلانش رأسها بقوة اعترافاً على ذلك وقالت: "لكني مرضت مؤخراً. تعرفين هذا".

سأل ويفرلي السيد ليرنر بصوت منخفض: "هل من المحتمل أن يستفحـل الأمر؟".

زم الشاب شفتيه وأخذ يفكر؛ لكنه لم يقل شيئاً.

مسحت الماركيزة جبهتها بيد مرتعشة وقالت: "ليست الفتاة الوحيدة التي تشعر بأنها ليست بخير. آه يا إلهي! أنا واثقة من أنني الهدف المقصود. ويفرلي، أنت تعرف كيف يغار الناس من صداقتي لجلالة الملك. ولهذا السبب يجب أن تأخذني إلى المنزل على الفور. أريد أن أبتعد عن هنا".

قال السيد ويفرلي: "نعم، ليدي كونينغهام. لقد شارفت على الانتهاء هنا. حالما يصل شرطي يمكننا الذهاب".

أعلم أن الليدي كانت تبدو بخير تماماً قبل أن تسمع تحليل ويفرلي. علاوة على ذلك، نظراً للكمية الكبيرة التي تناولتها من الحلوى والشاي، من غير المحتمل أن يكون طعامنا مسموماً. ولو كان الأمر كذلك، وكانت الماركيزة أول المصابين. لا، أنا متيقنة من أن السم كان في القهوة. هذا هو التفسير الوحيد لوفاة الليدي إنجرام والكلبة.

قالت ماري: "صامويل، هل تتفق معه في الرأي؟ أن أمينا... ماتت مسمومة؟". خلال انزعاجها، خاطبت ماري إنجرام الطبيب الشاب باسمه الأول؛ لكن يبدو أنه لم يلاحظ أحد هذا التصرف غير اللائق سواعي.

قال الشاب بيطرء: "أعتقد أنه محتمل؛ لكن هذا سابق لأوانه".

تدخل ويفرلي قائلاً: "ليدي كونينغهام، إذا استطعت سرد ما حدث، فربما أستطيع إرسالك إلى كارلتون هاووس".

قالت: "نعم، بالطبع. أريد الرحيل بشدة".

ثم أدركت أن الأمر لا يقتصر على مأساة حلت بعائلة إنجرام وخسارة أصابت الليدي غرينجر فحسب، بل إنه ضربة قاسمة لجميع الحاضرين في نظر المجتمع. فعندما تنتشر

الأخبار بأن شخصاً ما مات مسموماً في أحد اللقاءات الذي حضرته الليدي كونينغهام واستضافته الليدي غرينجر، ستصبح مضيقتنا شخصية منبودة في الطبقة الراقية. وستعاني سمعة لوسي -وسمعتي أيضاً- الأمرتين، لا سيما أن الأعمال الأخيرة المعروفة للمرأة الميتة كانت إهانتنا على الملا. كانت هذه الزيارة لتخفيف وطأة مشكلاتنا، والآن ازداد الموقف سوءاً، بل أصبح أسوأ بكثير.

بدأت الماركيزة تتحدث، فقررت أن أركز على كلماتها: "اجتمعنا لتناول الشاي. نحن السيدات فقط. وكانت الليدي إنجرام تتناول الشاي، عندما أوقعت الكوب على الأرض".

ليس بالضبط على ما أتذكر.

أكملت الليدي كونينغهام إفادتها قائلة: "وبعد أن ماتت الليدي إنجرام، عُثر على الكلبة المسكينة للبيدي غرينجر تحت كرسيها ميتة".

أخرج ويفرلي الغليون المصنوع من خشب الورد من جيبي الخلفي وهو يقول: "آه، لكن ما تسلسل الأحداث؟"، وصمت قليلاً ليتعين الغليون؛ لكنه لم يشعله، بل أخذ يلوك جذع الغليون. فملأت رائحة تبغ الكرز الغنية المكتبة الصغيرة المزدحمة.

قالت لوسي: "كنا نتناول الشاي ونأكل، عندما اشتد الألم العصبي لدى الأرملة".

سؤال ويفرلي: "ماذا أكلت كل واحدة منكن؟ آنسة إنجرام، هلا أجبت أو لا؟".

رفعت بلاش ذقnya وقالت: "كعكة واحدة. نصف واحدة. كانت معدتي مضطربة مؤخراً".

قالت ماري: "تناولت كعكة مع مربي التوت وقطعة من خبز السكونز مع الكريمة المتاخرة".

أغلقت لوسي عينيها وقالت: "بسكويتاً مع الزنجبيل المسكر وقطعة من خبز السكونز مع الكريمة المتاخرة ومربي الفراولة وكعكة". واحمر وجهها خجلاً وهي تردف: "لم أتناول الإفطار هذا الصباح".

قالت الليدي كونينغهام: "كعكة واحدة".

حمدًا لله، لم يضحك أحد على هذا الكذب الصريح. حسبما أتذكر، أكلت تلك المرأة اثنتين على الأقل، إن لم يكن ثلاثة، وقطعتين من خبز السكونز بالإضافة إلى عدد من البسكويت.

أفتُ بأنني تناولت كعكة واحدة ومربي التوت.

سؤال ويفرلي: "والمشروبات؟" ذكرنا أنها جمِيعاً تناولنا الشاي حتى اشتد الألم على الليدي إنجرام. وعندها، غادرت ماري لإحضار ثمر الورد.

وبختها بلانش قائلة: "لماذا تأخرت هكذا؟".

احمر وجه الفتاة وقالت: "اعتقدت أن ثمر الورد في غرفة ماما؛ لكنه لم يكن هناك. بحثت عنه هناك قبل أن أبحث في المطبخ".

سأل ويفرلي: "وأين وجدته؟".

أجابت ماري: "تحت منشفة الشاي في المطبخ. لا بد أنني وضعته في غير مكانه".

فقالت بلانش: "هذا لا يفاجئني يا ماري... لا يفاجئني مطلقاً. أنت تشردين كثيراً. بالطبع، من المحتمل أيضاً أن واحداً أو أكثر من العاملين لدى العمدة أخذ ثمر الورد. الخدم يفعلون ذلك، كما تعلمون. كانت أمي متضايقه من وصيفة الليدي غرينجر. ربما أخذت ثمر الورد نكاية فينا".

لم يرد ويفرلي على هذا الكلام. فانهمرت الدموع على وجه ماري.

سأل ويفرلي بلانش: "أثناء ذلك، هل تناولت الليدي إنجرام شيئاً آخر؟".

أجابت بلانش: "القهوة. أعددتها لأمي ولنفسى. لدى علبة اشتريتها من فورتنام وميسون". كان صوتها خشناً من البكاء؛ ورغم تاريخنا معاً، إلا أنني شعرت بالتعاطف معها. فرغم سوء الموقف، إلا أن الأيام القادمة ستكون أكثر سوءاً. نحن لا

نخسر الناس مرة واحدة، بل شيئاً فشيئاً مع مرور الأيام، عندما نشتق إليهم ونتذكر مرة أخرى كيف كانوا يتصرفون.

سأل ويفرلي: "ما مقدار ما شربته أملك؟".

أجابت لوسي: "فنجان واحد فقط. وعندما وقعت الأرملة الليدي إنجرام، سقط الفنجان، وتدرج على السجادة. وعندئذ لعقت ماغز بعضه قبل أن توقفها الليدي غرينجر".

سأل الضابط: "ثم ماذا فعلت الكلبة؟".

قالت لوسي: "اختفت. زحفت تحت كرسي الليدي غرينجر".

أخذ ويفرلي يلوك جذع غليونه وهو يفكر، ثم قال: "أعلم أن هذا سيكون مزعجاً؛ لكن إن كنت تذكرين، هل لاحظت أي واحدة منكن أي تغير في الليدي إنجرام قبل أن تقع؟ هل ذكرت عدم الارتياح؟ صعوبة في التنفس؟ خفقان القلب؟".

قالت بلانش: "لم تذكر سوى الألم العصبي". وارتسم العبوس على وجهها وهي تردد: "أعتقد أنك مخطئ يا سيدي. ماتت أمنا بسبب الضغط الذي تعرض له قلبها، والذي ضاعفه عرق النساء الذي تعاني منه منذ وقت طويل. ولو كانت أختي قد أحضرت ثمرة الورد على الفور، مثلما طلبت ماما، لما تسبب الألم في إضعاف قلبها هكذا، ولظللت حية اليوم".

الفصل ٢٥

بعد ذلك بوقت قصير، صرنا ويفولي وذهب مع الماركiza. وحالما اطمأنت لوسي على الليدي غرينجر، غادرنا نحن أيضاً. سألتها، عندما أصبحنا في العربة: "كيف حالها؟".

أجابت: "نائمة. كانت الكلبة عالمها بأكمله. أعلم أن هذا قد يبدو سخيفاً؛ لكن كانت ماغز تمنح أوليفيا كل الحب الذي حرمتها منه زوجها. كانت الكلبة سعيدة دائماً ومحمسة دائماً لرؤيه سيدتها عندما تعود إلى المنزل وحساسة للغاية تجاه الحالة المزاجية لسيدة. ورغم أنني آسف على فتاني إنجرام، إلا أنني لا أعرفهما جيداً؛ لكنني أعرف ما ستعنيه الوفاة المأسوية لماغز المسكينة لأوليفيا، لا سيما في أعقاب وفاة أخت زوجها".

قلت: "أشعر بالأسى الشديد نحوها". نظرت إلى صفت المنازل التي نمر عليها ثم أردفت: "يا له من أمر مثير للفضول! أصبح ازدراء الليدي إنجرام آخر شيء نقلق بشأنه".

قالت لوسي بضحكه مريرة: "آه نعم. هل يحتمل أن تكون الليدي إنجرام قد ماتت مسمومة؟".

أجبتها: "لقد فكرت في الأمر مراراً وتكراراً ولا يوجد أي تفسير آخر. حدثت وفاتها فجأة... ومع وفاة ماغز المسكينة في الوقت نفسه، لا بد أن الأمر كذلك".

قالت لوسي: "لكن لماذا لم تمت بلاش أيضاً إن كانت القهوة مسمومة؟ هل يحتمل أن يكون السم في الكريمة؟ أنا لا أتناوله مع الشاي، هل تتناولينه؟".

أجبتها: "لا. لقد كبرت دونه لأنهم كانوا وضيعين للغاية في مؤسسة لودود، ولا يسمحون لنا بمثل هذه الرفاهية. هل وأضافت الليدي غرينجر الكريمة إلى شايها؟".

قالت لوسي: "نعم. لقد فعلت ذلك. إذًا، ليست الكريمة أيضًا. هل يحتمل أن يكون في السكر؟".

أجبت: "كلنا تقريبًا تناولنا السكر. ووضعت الماركيزة أكوابًا من السكر في شايها. وبناءً على ذلك، كانت ستكون أول من يصاب، إن كان السكر هو المتهم".

قالت لوسي: "لكن، لا أعتقد أن السموم تؤثر على الضحية على الفور. أتذكر أن أوغى أخبرني بأن رجالاً في فرقته تناولوا العشاء مع امرأة فاتنة دست عشبًا في شايهم. وعاد الرجال إلى ثكناتهم بصحة جيدة في الظاهر؛ لكن بعد يومين مرضوا وماتوا".

قلت: "لكن كيف تفسرين وفاة ماغز؟ أعني وفاة الكلبة كشفت اللعبة؛ وبخلاف ذلك، كان من المؤكد أننا سنستنتاج أن قلب الليدي إنجرام قد توقف أخيراً. هذا يحدث في العادة".

قالت لوسي: "في العادة. لكنك محققة. شخص ما دس السم لليدي إنجرام وإلا لم تكن ماغز لتموت على الفور بعد لعق القهوة".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٦

حالما عدنا إلى ٢٤ ميدان غروفينور، أرسلت لوسي خبراً إلى نادي بودل، وطلبت أن يعود بروس وإدوارد على الفور. سمعت إميليا بوصولنا؛ فنزلت السلالم وهي تحمل صغيري العزيز حتى أقبله وألقي عليه التحية وقالت: "أليس هذا وقتاً لطيفاً، سيدة روتشرستير؟ أعتقد أن الهواء المنعش اليوم فتح شهيته للطعام. أترى؟ ها هي ماما".

مد نيد يده إلي، فاحتضنته بقوة، وحككت ذقني في شعره الحريري واستمتعت بالحب الذي يشع من وجهه.

أمام الآخرين، تخطبني إميليا: "السيدة روتشرستير" كما يليق بي؛ لكن عندما تحدثعني إلى نيد تقول: "ماما". في أي منزل يتبع أعراف وتقاليد المجتمع، لن يُسمح بهذا؛ لكنني أكره أن أنتقد الفتاة. لم أختار إ Emilie بسبب الانضباط المتشدد. لا، لقد اخترت لها لقلبها الطيب وخبرتها الكبيرة مع الأطفال الصغار وبشاشة وجهها. وتعوض طريقتها المحبة في تقبيل ابني أي نقص لديها في فهم توقعات المجتمع.

في الأعلى، ساعدتني بولي في تغيير ملابسي وهي تقول بابتسامة متحفظة متهدّثة عن أديل: "السيدة الصغيرة تساعد الطاهية في المطبخ".

فقلت: "آها؟ هل تسيء التصرف؟".

فأجابت: "يا إلهي، لا! الطاهية لديها أطفال. إنها تحب الأطفال. آخر مرة رأيتهما، كانت فتاتك تنشر السكر فوق البسكويت".

سألتها: "هل نزل أي من السكر على هدفه؟".

انفجرت بولي ضاحكة وقال: "البعض. البعض فحسب".

حالما غيرت ملابسي، ذهبت للبحث عن مضيفتي. كانت لوسي تذرع المكتبة جيئه وذهاباً، وهي عبارة عن ملاذ بألوان من خشب الجوز يمتليء بالكتب ذات الأغلفة الجلدية. تدل الشقوق على امتداد الواجهات الخلفية للكتب والمسافات غير المتساوية على الرفوف التي تمتد من الأرضية إلى السقف، على أن هذه الكتب ليست للزينة بل أصدقاء قدامى تتحدث معهم لوسي بانتظام. ومقابل الحائط الشمالي الغربي، تحت لوحة ضخمة، "حطام سفينة المينوتور" للرسام تيرنر، يوجد مكتب جميل مصقول من خشب الصنوبر تكتب عليه لوسي رسائلها. وبينما تستخدم معظم السيدات قطعة من الأثاث أصغر بكثير من طاولة صغيرة بدرج واحد، اشتريت لوسي قطعة كبيرة بدرج في الوسط يحيطه ثلاثة أدراج في كل جانب.

تنهدت لوسي وقالت وهي تحدق في صف وراء الآخر من الكتب على الرفوف التي تمتد حتى السقف: "ليس لدى شيء هنا عن السموم. حسبما أعتقد على الأقل. هل تساعديني في البحث؟".

و قبل أن نسحب السلم الخشبي، أخبرنا طرق سريع على الباب أن أخيها وصل مع زوجي.

وبينما يقبلني إدوارد على خدي، سأله السيد دوغلاس: "أختاب؟ ما المصيبة التي تتطلب حضورنا الفوري؟ كنت أنا وإدوارد في خضم مناقشة حامية حول المساوى التي تعتبرى نظامنا القضائي. وكدنا نفوز بالنقاش أيضاً، عندما أقنعنا اللورد نوتينغهام بأن الحكم بالإعدام لسرقة نصف بنس مثل القتل لأمر سخيف".

قالت لوسي: "اللiddy إنجرام ماتت".

فرع كلا الرجلين عندما صدمتهما لوسي بالأمر دون تمهيد. سأله إدوارد وهو يمد يده وراءه ليتحقق من أنه قريب من الكرسي قبل أن يجلس: "كيف ماتت؟".

أجبت: "ربما ماتت مسمومة".

قال دوغلاس: "هذه مفاجأة غير متوقعة بالمرة". وغاص في كرسي كبير مكسو بالجلد العنابي اللون وقربه من المدفأة.

قلت: "كان السيد ويفرلي هناك برفقة الليدي كونينغهام التي أتت للزيارة أيضاً، وقاموا باستدعاء طبيب بعد الواقعة. في الحقيقة، استدعوا السيد ليرنر الشاب الذي تحدثت عنه".

قال إدوارد متأملاً: "حقاً؟ حسناً، من المؤكد أن ليرنر شهد يوماً حافلاً". أمسكت نفسي، وقررت أن أنتظر لأنباءه على انفراد عن المشاجرة التي رأيتها في الحديقة بين السيد ليرنر وماري إنجرام.

قال دوغلاس وهو يفرك يديه فوق الفحم: "هل كلا الرجلين مقتنع بهذا؟ من الصعب تتبع السم في ظل أفضل الظروف".

نهدت لوسي وقالت: "باعتراف الجميع، ليس هذا قراراً نهائياً؛ لكن يحمل كلاهما شكوكاً كبيرة. لعقت كلبة الليدي غرينجر بعض القهوة نفسها، التي شربتها الليدي إنجرام، وماتت أيضاً".

قال إدوارد: "يمكنني القول إن هذه إشارة واضحة لأي ضابط. لا عجب أن ويفرلي يشك في الأمر".

قال السيد دوغلاس وهو يقلب الفحم في المدفأة بقضيب إذكاء النار: "لكنهم لن يتصرفوا على هذا الأساس. إلا إذا شكوا أن المتهم واحد من الخدم. لم تشنق سيدة من الطبقة الراقية في لندن منذ سنوات طويلة. في الحقيقة، إذا نسب ويفرلي الجريمة إلى الليدي غرينجر أو إحدى فتاتي إنجرام، فسوف

يواجه مشقة بالغة بالفعل. لا، سوف يعوق مركز الشرطة أي تحقيق فعلي لأن سيدتي إنجرام بنتا بارون. يمكنني القول إن شخصاً ما أفلت من عقوبة القتل". ولتأكيد مقصده، نفض عن يديه تراب الفحم.

قال إدوارد: "أتعاطف مع فتاتي إنجرام؛ لكننيأشعر بالارتياح أيضاً. على الأقل لن تتجول الليدي إنجرام في أرجاء المدينة لتلطم باسم جين وتشير الشكوك حولك يا لوسي. سيدتي، زرت أنا وبروس منزل غرينجر قبل أن تصلا، وفي طريقنا لمقابلة السيد ليerner، خططت لتقديم اعتذار صادق للأنسة إنجرام عن أي خطأ بدر مني".

قلت: "سمعت ذلك. أعطتنا الليدي غرينجر انطباعاً بأن الأنسة إنجرام لم تستقبلك بلطف".

قال: "لا، على الإطلاق. وقفت هناك والقبعة بيدي وهي تكيل لي الاتهامات وتصفيني بكل كلمة سيئة وردت في القواميس. وعندما صمت للتقط أنفاسها، اقترحت أن أتحدث لوالدتها لأعتذر لها. انضممت إليها الليدي إنجرام؛ لكن لم يكن رد فعلها أفضل من ابتها".

قالت لوسي بابتسامة متكلفة: "ها! أستطيع تصور تسويفهما لهذا التصرف. تعهدت الأم والابنة لأوليفيا أن تعاملنا - أنا وجين - بطريقة مهذبة؛ لكن لم توافق أي منهما على فعل ذلك مع إدوارد".

قال السيد دوغلاس: "لم يكن التهذيب جزءاً من الخطة يا أختي العزيزة. ثقي بي. استغلت عائلة إنجرام الزيارة لسلخ إدوارد حياً. وكان يمكن أن تجرح كلماتها إدوارد، لو لا أنه رجل يتمتع بالهدوء ورباطة الجأش".

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه إدوارد؛ فذكرني بالشاب الذي كان عليه في السابق، ومنعني لمحه عن ابنتنا عندما سيكبر. قال إدوارد: "كان بروس ينتظرنـي في المدخل، وبعد أن نزل معي ستانتون السالم، وجدت صديقـي على الأرض من شدة الضحك. لم يستطع ستانتون أن يمسـك نفسه إلا بصعوبة، وسرعان ما اضطررـنا إلى الابتعاد خشية أن تصـل ضـحـكتـانا العالية إلى مسامـع السيدات اللـاتـي ما زـلنـ يـغـلـينـ غـضـباـ".

ثم صمت قليلاً، ثم قال: "والآن بعد أن ماتت. الأم على الأقل. إذا ظن أحد هنا أنـني أـشعرـ بالـأسـىـ عـلـىـ هـذـاـ التـحـولـ فـيـ الأـحـدـاثـ، فـيـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـعـيـدـ التـفـكـيرـ مـرـةـ أـخـرىـ. سـبـبـتـ هـذـهـ المـرـأـةـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـذـىـ عـلـىـ مـرـ السـنـينـ؛ لـكـنـيـ اـخـتـرـتـ تـجـاهـلـ مشـكـلاتـهاـ المـفـتـعلـةـ حـفـاظـاـ عـلـىـ رـاحـةـ الـجـيـرانـ. عـلـاوـةـ عـلـىـ ذـلـكـ، كـانـتـ اـبـنـتهاـ بـلـانـشـ تـفـعـلـ كـلـ شـيـءـ حـتـىـ الـأـشـيـاءـ التـيـ لـمـ تـحرـضـهـاـ عـلـيـهـاـ الـأـرـمـلـةـ. وـدـونـ وـسـوـسـةـ الـأـمـ، رـبـماـ تـزـوـجـ بـلـانـشـ وـتـطـيـعـ زـوـجـهـاـ عـلـىـ نـحـوـ أـفـضلـ".

قال دوغلاس: "قد يكون هذا صعباً. يقول الناس في نادي بودل إن عائلة إنجرام تحرق بشدة إلى المزيد من الأموال".

ازدرد إدوارد ريقه وقال: "عندما توفي البارون إنجرام، ترك ملكاً موقوفاً. وظل اللورد الشاب إنجرام في إنجرام بارك. أعتقد أنه يحاول أن يكون مضيقاً جيداً؛ لكن الديون التي تحملها الملكية باهظة، ويرجع أحد أسباب هذا إلى افتراض الكثير من المال من أجل ظهور بلانش في المناسبات الرسمية والاجتماعية في موسمها (فترة يخصصها المجتمع الراقي للفتيات والفتيان الذين بلغوا بداية الشباب وأصبحوا مستعدين للتعرف والزواج). ولا تزال بلانش تنفق المال كل موسم".

قالت لوسي: "والآن بعد أن توفيت أمهم، إذا ماتت الليدي غرينجر، فسيصبح أبناء إنجرام الثلاثة ورثتها، في الوقت الذي قدمت لهم فيه المساعدة حتى تتزوج الفتاتان. بالطبع، لم يتوقع أحد أن تظل بلانش عزباء لمدة عشر سنوات بعد ظهورها الأول".

قال السيد دوغلاس: "لقد مر وقت طويل؛ لذا بدأ الناس يتحدثون. وبينما كنا في النادي، علمت أنا وإدوارد أن عائلة إنجرام نجحت في كسب بعض التعاطف مع أفعالهن المشينة البارحة. أعتقد أنهن ازدرن جين بطريقة لادعاء أخلاقهن العالية؛ لكنهن سعدن أيضاً بفرصة معاقبة إدوارد على خداعهم بشأن ثروته. أنت اللعبة بثمارها لأن المتفرجين تسأعلوا عما فعلته جين ل تستحق مثل هذا التوبيخ. لحسن الحظ، استطعت أنا وإدوارد تصحيح الكثير من معلوماتهم المغلوطة".

قال إدوارد: "ساعدت الاستراحة في مقصورة الملك على تبديد الكثير من تفسيرهم للأحداث". ومديده في إشارة لكي أقرب منه.

سألت: "لكن، أليست هذه مخاطرة؟ أعني لعائلة إنجرام. من المؤكد أن هناك أشخاصاً يعرفون لوسي مثلنا. وسوف يرفضون التشهير بها".

قال السيد دوغلاس: "حتى لو حدث ذلك، أنت هدف سهل سيدة روتشيستر. ليس لديك رعاة هنا في لندن باستثنائنا. أنت ضعيفة لكونك وافدة جديدة. علاوة على ذلك، لقد حظين بعنصر المفاجأة. في ميدان المعركة، لاحظت أن الهجوم المباشر غالباً ما يربك العدو ويفرق صفوفه، ونتيجة لذلك يخسر العدو المعركة. أعتقد أن هذا بالضبط ما كنَّ يرجون تحقيقه البارحة".

ضحك إدوارد وقال: "وهذا يثبت ضاللة ما يعرفنه عنك. تخيلي! يعتقدن أنهن سيجبرنك على التراجع والهروب إلى منزلك وعدم الظهور أمام الناس مرة أخرى".

قلت: "لا أنوي العودة إلى المنزل إلا بعد ما أستعد لذلك".

وقفت لوسي وذهبت إلى مكتبه، ثم أخرجت مجموعة من الخطابات من تحت صندوق يحوي رملاً لتنشيف الحبر، وقالت: "لديّ هنا رسائل من أوليفيا غرينجر تؤكد أن عائلة

إنجرام وعدتها بأنهم سيحسنون التصرف. يا لها من خيانة! يا
له من خداع!".

و قبل أن أجيب، أعلن هيغينز عن وصول السيد ويفرلي
الذي اندفع إلى الغرفة وقال: "سيدة روتسيستر، أنا في حاجة
ماسة للتحدث إليك".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٧

قال إدوارد وهو يعتدل في جلسته: "ما الأمر الذي يقلقك بشأن زوجتي لهذه الدرجة سيد ويفرلي؟".

قال ويفرلي: "أفضل أن أتحدث أنا وهي على انفراد أيها المجل روتشرست. إن الأمر في غاية الأهمية". وعدل صديريته وشد قامته. أستطيع أن أرى حبات العرق تتلاألأ على جبهة الرجل.

قلت: "أنا لا أخفي أسراراً على زوجي أو أصدقائي. علاوة على ذلك، إن كان الأمر الذي تشير إليه مثيراً للقلق، فإن هذا يدعو إلى أن يسمعه زوجي ومصيقتي أيضاً. وبالنسبة للسيد دوغلاس، أنت تعلم أنه حليف أريب. لذلك، أرجو أن تكمل".

وضع السيد روتشرست يده على يدي وأمسك أصابعي بقوة وقال: "يا لروعتك يا جين! بحق الآلهة، لطالما شركت أنك تمتلكين قلب المحاربة بوديكا (ملكة على قبيلة إيكيني الكلتية البريطانية قادت انتفاضة ضد قوات الإمبراطورية الرومانية

في عام ٦٠ أو ٦١ ميلادي، وتوفيت بعد فترة قصيرة من فشل ثورتها. تُعتبر بطلة شعبية في بريطانيا)، وها أنت تثبيت الأمر".

قلت: "ليس هناك خيار آخر زوجي العزيز. أنا لست جبانة. لن أهرب مثل كلب مذعور. لذا، أخبرني يا سيد ويفرلي، ما الذي أتيت لقوله؟".

عدل ويفرلي نظارته وأخذ نفساً عميقاً ثم قال: "هل أستطيع أن أطلب مشروبًا، سيدة برايتون؟".

أجبت لوسي: "بالتأكيد. أعتقد أننا جميعاً نستطيع أن نتناول شيئاً أقوى من الشاي". وصبت لنا كؤوساً من ال威سكي. أخذ ويفرلي كأسه وتجرعه مرة واحدة وقال: "شكراً يا سيدتي. إنه ممتاز. من معمل تقطير أوشتوشان في اسكتلندا، كما أعتقد؟ أو مات لوسي؟ فقال: "نعم، كما اعتقدت. ليس هناك أثر لنبات الخث. إنه جميل وحلو".

لم أتناول ال威سكي من قبل. وفكرت في تركه؛ لكنني اخترت أن أرتشفه بيضاء، بينما تصب لوسي كأساً أخرى لويفرلي. قبل أن ألتقي بلوسي، لم أتناول مطلقاً سوى النبيذ مع أي وجة. لكن من آن لآخر، يبدو من الضروري تناول مشروبات أقوى ذات خصائص علاجية. ومن المؤكد أن هذا أحد هذه الأوقات. ويبدو أن مجتمعتنا كلها تدرس السائل الكهرمانى اللون وتبحث عن إجابات أو إشارات لتوجيه دفة الحديث.

قال ويفرلي: "تعرفون جميعاً بأمر الخطاب الذي تحفظ به جين؟ وأن هناك من يتوقعون للحصول عليه؟" أو ماناً جميعاً؟ فأردف ويفرلي: "ورغم أنني مكلف بمهمة حماية الليدي إليزابيث، ماركيزه كونيغهام، إلا أنني في الحقيقة أصب كل انتباхи عليها لأنها تستطيع أن تفعل الكثير من الأذى. لقدرأيت كيف تقدم للملك اللودانوم والمشروبات الكحولية. وهو عاجز عن إخفاء الأسرار عليها. وعندما لا تراقب الماركيزه الملك كالصقر، لا تغفل عين زوجها عن الضحية. يعرف المأمور جيداً أنها تقبل الرشاوى وتساعد الذين يجدون طريقة لمكافأتها فقط. إنها تريد أن يكون لها نفوذ على الملك. في الآونة الأخيرة، اقترحت أن يجعل زوجها جزءاً من المجلس الاستشاري للملك، وابنها المسئول عن الثياب الملكية والسائس الأول في الإصطبلات الملكية. ألا ترون؟ لن يفلت جلالته من تأثيرهم مطلقاً. سيصبح زوجها وابنها أقوى الرجال في العالم".

قال السيد دوغلاس وهو يكرز الفحم فاندلعت عاصفة من الشر: "حسناً، يبدو أن الليدي كونيغهام ستحصل على مبتغاها".

قطب ويفرلي حاجبيه وقال: "ليس بالضبط. يعطيها الملك كل العلامات التي تشير إلى أنه يرفض اتباع رغباتها".

قال إدوارد بهدوء: "لذلك تريد هذا الخطاب لتهدهد بماضيه؟ وسوف تفعل كل ما بوسعها للحصول عليه. إذاً،

عزيزتي، أعطي الخطاب إلى كونينغهام. ولتحمل الملك مسئولية ما فعله. ليشتري أو يكذب أو يقاتل ليخرج من هذا المأزق، ويتركك وشأنك. يمكننا العودة إلى فيرندين. نستطيع العيش هناك في هدوء حتى تنجلبي الأزمة".

قال ويفرلي: "لิต الأمر بتلك السهولة. خلاصة القول، يضع الملك أفعى سامة بالقرب من قلبه، وهذا هو السبب الحقيقي لتکلیفی بالبقاء بجانبها". ثم وضع كأسه ونظر إليه مليئاً؛ فتحرکت لوسی لمائه مرة أخرى؛ لكنه أشار إليها إلا تفعل ذلك، وقال: "عندما عدنا اليوم من منزل الليدي غرينجر، أخبرتني المارکیزة بأنها متعبة وأنها تريد الاختلاء بنفسها. لكن ساورتني الشکوك، واتباع الشکوك جزء من نجاحي. وكما سيخبركم السيد دوغلاس، الرجل الذي يواجه المخاطر يتعلم الاستماع إلى حده. بدلاً من الذهاب، اختبأت خارج غرفتها. وكما اعتقدت، لم تنو المارکیزة الاستراحة. لا، بعد خمس دقائق، مشت في الردهة. فتبعتها إلى حديقة سانت جيمس. كنت أسأله عن سبب إصرارها على مغادرة منزل الليدي غرينجر. عادة أي نوع من الدراما يجذب انتباها. لكن سرعان ما فهمت الأمر... كانت حریصۃ على المغادرة لأن لديها القاء... لقاءً سریاً. رأيتها هناك في الظلال تتحدث إلى شخص ما".

صاحب إدوارد: "أفضل يا رجل. من كان؟ ماذا يريد؟".

أجاب ويفرلي: "كانت تتحدث إلى دوق كمبرلاند".

رفعت لوسي يدها إلى فمها وقالت: "آه! أخو الملك؟ ماذا قد يكون سبب لقائهما؟".

قال السيد دوغلاس: "هذا اللقاء مع دوق كمبرلاند نذير شؤم". وأخذ زجاجة الخمر من أخيه، وصب لنفسه كأساً آخرى وأردف: "ويفرلي... أنا وأنت نعلم الأمور التي يستطيع القيام بها، وبينما يبدى دوق يورك، الأخ الآخر للملك، إعجابه بالسيدة فيتزهيربرت، وصرح علانية بأنه يعدها صديقة عزيزة، إلا أن أخيه إرنست أوغسطس، دوق كمبرلاند، مدافع قوى عن العقيدة ومعارض شرس للكاثوليكية".

قال ويفرلي: "هذا صحيح، والسيدة فيتزهيربرت عضوة في الكنيسة الكاثوليكية. وبما أن الملك سيصبح رئيس الكنيسة الإنجيلية بعد تتويجه، فإن ما يحدث في هذا التوقيت يثير قلقى بشدة".

قلت: "إذاً لن يدمر الخطاب الذي أحافظ به حق الملك في اعتلاء العرش فقط...". ثم توقفت عن التحدث.

التقط السيد دوغلاس أفكارى ورأها تنسجم مع استنتاجاته الطبيعية؛ فقال: "سوف يستخدم أيضاً في تأليب الناس ودفعهم إلى التجمهر في الشوارع. حشود بروتستانية. حشود تعتقد أن كارولين تعرضت للاستغلال. حشود ستثور غضباً إذا عرفت أن ملکنا تزوج من أرملة كاثوليكية رومانية قبل عشر سنوات من زواجه بالملكة".

قالت لوسي: "ورغم أن جورج الرابع يمتلك ضباط بوستريت وحراس القصر لحمايته، إلا أن ماريا وحيدة في العالم. علاوة على ذلك، من المقرر أن تعود من برايتون إلى لندن في أي يوم في الوقت الحالي، مثلما تفعل في العادة، مع ميني، ولا تعرف أنها في خطر محقق. ومن المؤكد أنها ستعرضان للخطر، إذا كان دوق كمبرلاند يخطط لكشف أن أخاه جمع بين زوجتين".

قال ويفرلي: "أعتقد أنه سيفعل هذا. وبينما تعتمد الليدي كونينغهام على ذكائها، قد يميل الدوق إلى العنف لتحقيق أغراضه. على الأقل، هذا ما عرفته وسمعته من مصادر موثوقة منها. لذلك أخشى أن تكون الليدي قد أخبرته بأن السيدة روتسيستر تمتلك خطاباً يستطيع استخدامه...".

ودون أن يكمل كلامه، أصبحت مخاوفه واضحة وضوح الشمس. قلت: "أدرك أن الموقف مثير للقلق؛ لكن يجب أن أعترف بأنني لا أفهم سبب خطورته".

قال ويفرلي: "أرجوك سيدة روتسيستر، كنت أرجو إلا يكون الأمر بمثيل هذه الخطورة. لكنني أجده نفسي في هذا الموقف الغريب الذي أحلمي فيه وغدأ من عشيقته".

في وقت ما رأيت لوسي الجرس ليأتي هيغينز؛ لكنني لم ألاحظ هذا، لأنني كنت غارقة في التفكير. شكلت ذكرى كوني بمفردلي -يتيمة ودون شخص يعطف علىي- شخصيتها بطريقة

تجعلني أتعاطف بسرعة مع الأشخاص الذين لا أصدقاء لهم، أو القليلي الحيلة، أو الذين يقاتلون من أجل النجاة رغم أن جميع الاحتمالات ضدهم. أعلم كيف يكون هذا الأمر، وأقسمت على ألا أنساه مطلقاً. في الحقيقة، دعوت الله ألا أنساه حيث بدا لي أن النسيان يمثل الخطوة الأولى نحو إيقاع الضرر نفسه بأبرياء آخرين.

قال هيغينز: "تعد الطاهية ساندوتشات". ثم لاحظ زجاجة الخمر التي تكاد تكون فارغة؛ فقال: "يسريني أن أجلب المزيد من ال威سكي من براميل القبطان".

شكرته لوسي، وبعد دقائق قليلة أتت سادي وهي تحمل صينية عليها ساندوتشات البيض والجرجير إلى جانب قطع من اللحم وشرائح سميكه من الجبن ورغيف خبز ساخن. تناول كل واحد مما شئت من الطعام، وأقر بأنه أحيا فطتي مرة أخرى.

سأل ويفرلي وهو يتناول المزيد من شرائح اللحم: "أين الخطاب؟".

أجبته: "في مكان أمين".

قال إدوارد للضابط: "كيف انحدرت الإمبراطورية البريطانية إلى هذا المستوى؟ أنت تمزح معنا. على الأقل، تبالغ في الأمر. هل أنت هنا في الحقيقة لأخذ الخطاب؟ هل هذا السبب الحقيقي وراء قدومك يا ويفرلي؟".

كنت قد لاحظت مؤخرًا أن إدوارد يزداد فظاظة شيئاً فشيئاً، وأعتقد أن هذا نتيجة طبيعية لشعوره المتزايد بالعجز. رؤيته الضعيفة تدفع العالم إلى التقلص، ومن ثم أصبح زوجي عصبياً. ورغم ذلك، أنا ممتنة له، لأنه سأل ويفرلي عمما يجول بخاطري.

قال ويفرلي: "لا، لا، سيد روتشيسنتر. على النقيض من ذلك تماماً. أعتقد أن زوجتك ستكون أكثر أماناً إذا ظل الخطاب معها. لن يصدقها أحد إذا قالت إنها دمرته. إنه قيم للغاية. وطالما تمتلكه، أو طالما يعتقد الناس أنه بحوزتها، فإنها ستكون قوة يحسب لها ألف حساب".

قال إدوارد: "هل أنت واثق تماماً من أن محتويات الخطاب خطيرة إلى هذا الحد؟ ربما يكون انطباعك قد طغى على محتواه الحقيقي". ثم التفت إلي وقال: "جين، ربما يجب أن تريح للسيد ويفرلي وتدعيه يحكم بنفسه".

وافقته الرأي؛ فأنا أثق بفينياس ويفرلي وآتمنه على معرفة المكان الآمن للخطاب. نظرت إلى لوسي وأومأت.

قالت لوسي: "بروس؟ ساعدني رجاءً". رفع السيد دوغلاس لوحة تيرنر من مكانها على الحائط، اتباعاً لإرشادات أخته. كانت اللوحة تختفي وراءها مكاناً صغيراً في الحائط، فجوة مربعة تقع داخلها خزانة. أخرج بروس الصندوق المعدني ووضعه على الطرف البعيد للمكتب الكبير المصنوع من خشب الصنوبر.

قالت لوسي: "شكراً لك يا أخي. كل ما أحتاج إليه هو المفتاح". ومالت لتفتح الدرج السفلي. وانتظرنا وهي تبحث بيدها دون أن تنظر. ثم قالت موضحة: "هناك حيلة في فتح المكان السري الذي أحتفظ فيه بالمفتاح". سمعنا صوت طقطقة تبعث السرور وأخرجت لوسي مفتاحاً فضياً. وبعد أن فتحت القفل في باب الخزانة، أخرجت حقيبة من القماش الزيتي وأعطتني إياها.

فككت الغطاء الواقي؛ فظهرت ست قطع من ورق سميك بلون العاج تحمل كل واحدة منها الختم الأحمر للتأج. قرأت الرسالة بصوت مرتفع على أصدقائي:

عزيزي بانسي

أفقدك أكثر مما يمكنني قوله. يكاد حبي لك يفطر قلبي. لم أقابل أبداً امرأة مثلك. يا لك من كنز ثمين! عندما سمعت أن معك طفلاً أصابني القلق.

هل سيعاملك زوجك بشكل جيد؟ أرجو ذلك لأنني، كما تعرفين، لا أستطيع التوسط من أجلك في الوقت الحالي. لا سيما أن موقفي مقلق للغاية.

كما سمعت، لقد اعتزلت ذلك المخلوق البغيض الذي يتظاهر بأنه زوجتي. يعلم الله أن زواجنا ما هو إلا خدعة.

ولولا شعوري باليأس التام بسبب ضغوط المدينيين علي من كل جانب، لما وافقت على هذه المسرحية. والدي فقد عقله تماماً، كما تعلمين؛ لذلك لم يكن أمامي خيار سوى المضي قدماً والانصياع لرغباته، من أجل خير أمتنا، والموافقة على تحالف من شأنه أن يساعدني في الحفاظ على حقي في اعتلاء العرش، حتى لو كلفني ذلك روحي الخالدة. يا لي من خادم متواضع لأمتنا! لكن كما أخبرتك من قبل، وكما تعلمين جيداً، أقسمت صادقاً أمام الله وبحضور كاهن أن أحب امرأة أخرى وأكرّمها. امرأة التقيت بها في أيام شبابي قبل أن يلقى والدي حتفه، ولم تؤذ وفاته إلى إعطائي العرش في وقت قريب.

معاً، أنجينا ابنة، فتاة عزيزة، فرحة حياتي. ورغم أن الظروف أجبرتني وأجبرت تلك السيدة على العيش منفصلين، إلا أنها وحدها زوجتي الحقيقة. لذلك كما ترين، بقدر ما أهتم بك، إلا أنني مرتبط بالفعل بأخرى. وإذا لم يكن ذلك صحيحاً، فسوف أستخدم بالتأكيد كل مورد تحت تصرفني لأرتقي بك إلى المكانة التي تستحقينها، وأتكلّل بأمرك.

في الصفحة الأخيرة، نزل إلى الوسط، وكتب بضعة سطور
أخيرة فوق توقيعه:

يا لؤس المسكين الذي يلبس التاج! لا يتخيل أحد طبيعة الأخطار والضغوط التي تهددني من كل جانب. أحلام من

وقتي الذي قضيته في ساحة المعركة! والرعب الذي أعيشه من جديد! وأحياناً أخشى أن أصبح مجنوناً مثل والدي!

جورج

قال السيد دوغلاس: "يا لها من وثيقة استثنائية. اعترافه بأنه كذب تحت القسم عند الزواج من كارولين، يكاد يكون لعيناً مثل الاعتراف بأنه ارتكب الزنى أثناء تلقيه سر الزواج المقدس".

قالت لوسي: "وبعد تتوبيجه، سيصبح هذا الرجل رئيساً للكنيسة الإنجيلية".

لم أرأبأبداً نظرة أكثر عبوساً من تلك التي اعتلت وجه بروس دوغلاس وهو يقول: "أحد أصدقائي، بوتل ويلبراهام، مغرم بالقول: إن (الراديكالية اتخذت شكل حب الملكة). استقبل الناس (تبرئة) كارولين بإطلاق البنادق والمدافع في الشوارع، وصاحب ذلك موجة عامة من الفرحة والهتافات. إن الحكومة تدرك الكارثة التي يتعرض لها النظام الملكي، لأن محامي الملكة، هنري بروغهام، تمكّن من الحصول على وصية كتبها جورج الرابع عندما كان أميراً. وفي هذه الوصية، ذكر ملکناً ماريـا فيتزهيربرـت على أنها زوجته. لقد دُمرت هذه الوصية، أو هذا ما أفترضه، من أجل سلامـة العالم. الناس غاضبون بالفعل من إنفاق الملك المبالغـ فيـهـ، بينما يعاني الكثـيـرون منـ

الفقر والجوع. وستؤدي معرفة أنه ارتكب أيضًا الزنى وجمع بين زوجتين، بينما سيرأس الكنيسة قريباً، إلى تفاقم غضبهم. يخشى الكثيرون أننا على حافة ثورة دموية، مثل جارتنا فرنسا".

قلت: "إذا وجدت الليدي كونينغهام طريقة..."، ثم سكت لأن الأمر بدا مخيفاً للغاية.

قالت لوسي: "إذا وضع دوق كمبرلاند يده على هذه الوثيقة...".

قال ويفرلي: "إذا، بدلاً من السير في وستمنستر أبي بتاج على رأسه، قد يقود الملك جورج الرابع مسيرة إلى المقصلة لكي يُقطع رأسه عن جسده".

تحدث السيد دوغلاس بصوت خافت: "بينما تسير بقية الطبقة الأرستقراطية وراء جلالة الملك!".

الفصل ٢٨

سألت لوسي: "هل من المحتمل أن تكون جين هي التي يفترض بها أن تموت هذه الظهيرة؟ هل كان السم من أجلها لكي تستطيع الليدي كونينغهام الحصول على الخطاب؟" كانت تسند رأسها إلى قبضتها، وتنظر إلى الجمر المحتضر في المدفأة، ثم أردفت: "هل الماركiza شريرة لهذه الدرجة؟".

تنامت إلى مسامعنا أصوات من غرفة الأطفال. فوق رؤوسنا مباشرةً، كانت أديل تلعب مع راغز. عندما كانت لوسي تزورنا، علمَّ ويليامز راغز كيف يرقص على قدمين. واستمتع طفلاً بهذا كثيراً، حيث كانت الفتاة الفرنسية تلبس الكلب شرائط ملونة، ويشاهد نيد الحيوان وهو يرقص مثل دب مروض.

لأخشى الموت. لقد أوضحت لي صديقتي القديمة هيلين بيرنز كيف أواجه خاتمة حياتي بشجاعة. وعلمني فيرندين أن الحياة دورة لا نهاية لها. لكنني أرغب بتربية طفلٍ حتى سن الرشد، ومنحهما بدايةً مناسبة في الحياة، تلك البداية التي يمكنهما العودة إليها مراراً وتكراراً، حتى لو كانت في أذهانهما

فحسب. هل عرضتني تلك الرسالة للخطر حقاً؟ والأسوأ من ذلك، هل عرضت الأشخاص الذين أحبهم للخطر؟

قال السيد دوغلاس: "هذا أمر مشكوك فيه. سيكون من الغباء قتل السيدة روتسيستر قبل معرفة مكان الرسالة". بصفته وكيل تحقيق، غالباً ما يؤدي تركيزه على حل مثل هذه الألغاز إلى نتيجة جيدة.

قال ويفرلي: "ورغم ذلك، حالما علمت أن دوق كمبرلاند متورط في الأمر، خشيت على سلامة السيدة روتسيستر. هناك العديد من الطرق لانتزاع المعلومات من شخص لا يريد البوح بشيء، وكلها طرق كريهة. في هذه الحالة، منطقك سليم، سيد دوغلاس. أتوقع أن تطلب الماركيزة الرسالة من السيدة روتسيستر. ومن الممكن أن تلجأ إلى التهديدات؛ لكنني لا أعرف الشكل الذي قد تتخذه. وأخشى على حياة السيدة فيتزهيربرت، لأن التخلص منها سيجعل كل هذا نقطة خلاف فحسب. بدون السيدة التي تتحدث عنها الرسالة، سيتضاءل تأثير مشكلة الزواج غير القانوني للملك إلى حد كبير".

وبينما كنا نتحدث، تحولت الظلال، وتحركت العوارض المتقطعة للأعمدة بالقرب من قدمي. كانت الشمس تكمل يوم عمل آخر وتتوارى خلف الأشجار. سرت البرودة في الغرفة ببطء، وأصبحت باردة بشكل غير مريح. وكز السيد دوغلاس النار بقضيب إذكاء النار؛ لكن استهلك معظم الفحم حرارته منذ فترة طويلة.

لم يتكلم أي منا لفترة من الوقت... والصمت إناء فارغ يصرخ طلباً للكلمات. لكن قد تخوننا الكلمات، وغالباً ما تفعل هذا. لذا، من الأفضل أن يمسك المرء لسانه، ويترك الآخرين يكتشفون نقاط ضعفهم بدلاً من الاندفاع إلى المعركة.

وقف ويفرلي وقال: "شكراً لك على حسن ضيافتك، سيدة برايتون. أتمنى لكم جميعاً أمسيّة سعيدة".

قالت لوسي: "لا يمكنك الذهاب، سيد ويفرلي، دون أن تخبرنا بموقف تحقيقك في مسألة وفاة السيدة إنجرام".

أدّار يديه الفارغتين إلى أعلى وقال: "أنتم تعرفون كل ما أعرفه. في هذه المرحلة، لا يمكنني إثبات أنها ابتلعت السم حتى؛ لكن أرسل الطبيب لي رسالة الليلة الماضية. يبدو أنه أخذ قدر القهوة إلى عيادته. كان هناك ثفل في القاع، ويعتقد أنه يستطيع استخدام الأساليب العلمية لتحديد ما إذا كان هناك سم فيه أم لا.

سؤال إدوارد: "ثم ماذا؟".

قال ويفرلي: "ثم نفتح تحقيقاً في مقتل السيدة إنجرام".

بعد مغادرة الضابط، قام إدوارد والسيد دوغلاس بتدخين السيجار في غرفة الرسم، بينما ذهبت أنا ولوسي إلى المكتبة. استعرت ورقاً من مضيفتي، وكتبت رسالة سريعة إلى السيدة فيرفاكس، أطلب فيها تقريراً عن حالة جون. كنت أعلم أن

رسالي قد تقابل رسالة منها في البريد؛ لكتني استمررت في الكتابة. وعندما انتهيت، قمت برش رمل التنشيف على الرسالة. وبعد إعادة الرمل إلى الصندوق، قمت بطّي الرسالة، وأضفت ختماً شمعياً، ووضعته على صينية فضية حتى يرسلها هيغينز.

على ضوء الشموع، كان من الصعب رؤية مشاريعنا -الرسم الخاص بي وخياطة لوسي - لذا أشعلت صديقتي العديد من مصابيح الزيت التي تنشر إضاءة مبهجة. واصلت ملء أحرف اسم إيفانز، وأضفت الزهور والنباتات المعترة والأوراق. كان في حجري دليل مصور للحدائق الإنجليزية، وهو أحد الكتب العديدة الجميلة التي اشتراها أوغى ولوسي من مكتبة هاتشاردس في بيکاديللي. أتمنى أن أنهى من صناعة هديتي وتأطيرها قبل وصول الصبي؛ لكن يستغرق العمل الكثير من الوقت والصبر، ومن السهل إفساده إذا ساحت معصمي عبر الحبر الرطب.

في هذه الأثناء، كانت لوسي تقوم بالتصصيب فوق قميص صغير. وفي الساعة الثامنة، أنزلت إميليا الطفلين ليتمكنوا لنا ليلة سعيدة. وبعد الانتهاء من القبلات والعناق، ارتشفت كوبًا من الكاكاو. أوقفت لوسي عملها لكي أراه، وقالت: "أرجو إلا يكون صغيراً جدًا على إيفانز. ساعدتني بولي في تشكيله. لقد قطعناه أكبر بقليل مما قد يناسب نيد. أفضل أن ينمو فيه على ألا يكون مناسباً".

قلت: "أنا واثقة من أنه سيكون جيداً"، فلاحظت دمعة تسيل على خدها وعلى قميصها الأزرق المصنوع من المسلمين؛ فأردفت: "ما هذا؟ هل أنت خائفة يا لوسي؟ هل تريدين مني إبعاد رسالة الملك عن منزلك؟".

قالت: "لم أفكِر في ذلك حتى. كنت أفكِر فيما حَدثَ الْيَوْم لفتاتي إنجرام، وكم هو مُحْزَنٌ أن إيفانز فقد والدته الطبيعية أيضاً".

سألتها: "هل تذكرين أمك؟"، لم نناقش هذا من قبل. تعلم أنني تبَرَّعتُ في سن مبكرة؛ لكنني لم أعرف سوى القليل جداً عن شباب لوسي.

أجبت: "لن أنساها أبداً؛ ماتت عندما كنت في الثالثة عشرة، وكان بروس في الثامنة. بالطبع، لم يبلغ إيفانز تسعه أشهر حتى؛ لذلك لن يكون لديه ذكرى حية عن والدته. ورغم ذلك... أتساءل عما إذا كان سيشعر دائمًا بخسارتها؟ أتخيل أنه سيشعر بذلك. لا يستطيع أحد أن يحل محل والدتك".

قلت: "لكن يا لوسي، سوف يكون معك وستكونين العالم بالنسبة له".

أشاحت بيدها لتعترض على تعليقي، فتدحرجت البكرة الخشبية للخيط من حجرها على الأرض وقالت: "ربما. أتمنى ذلك. سأبذل قصارى جهدي بالتأكيد؛ لكنني خائفة يا جين.

ماذا لو لم أستطع أن أحل محل والدته؟ وبما أن إيفانز ليس طفلي الطبيعي، ماذا لو لم أعرف كيف أعتني به؟".

وضعت قلمي جانباً، وتنهدت وقلت: "انظري حولك. في كل مكان تذهبين إليه، ترين الناس. كلهم لديهم أمهات. يقوم البعض بعمل رائع. ويتعثر آخرون. لكن رغم ذلك، ينجو أطفالهم. إنك تستخدمن عقلك في أمور القلب، والتواافق بينهما سيء. أعرف ذلك على وجه اليقين - ويمكتني قول هذا لأنني كنت مكان إيفانز - كل ما يريده الطفل هو شخص يحبه! شخص يثق بطبيعته الخيرة. هذا كل شيء، بكل يسر ووضوح".

أشرق وجهها وقالت: "أنت محققة، محققة تماماً. أعتقد أنني سخيفة. ثم ابتسمت لي ابتسامة شجاعة، وأرددت: "هذا يذكرني. سأحاول غداً البحث عن مدرس غناء لأديل. من يعلم؟ ربما ننجح في تحويل عصفورنا العزيز إلى عندليب".

الفصل ٢٩

بعد كل هذه الإثارة التي حدثت في هذا اليوم، نسيت تماماً أن أسأل إدوارد كيف جرت المقابلة مع ليرنر. وعندما أصبحنا بمفردنا مرة أخرى، أخذ منا التعب كل مأخذ، فتسدل إلينا النوم بسرعة. وفي الصباح التالي، بعد أن ارتدى إدوارد ملابسه، ونزل إلى الطابق السفلي ليقرأ له هيغينز الجريدة، أتت لوسي لرؤيتها بينما كانت بولي تضفر شعرى. بدت مضيفة رائعة في عباءة صباحية باللون الأرجواني وقبعة كبيرة فوق رأسها. قالت: "هل ستذهبين لرؤية الطبيب هذا الصباح؟".

قلت: "نعم". كان صوتي خافتاً لأنني أفكر فيما يتظمنه. كيف سيتصرف إدوارد، لو أعلن الطبيب أن حالته ميؤوس منها؟

قالت لوسي وهي تضع يدها الحانية على كتفي: "صديقتي العزيزة، ستكون الأمور على ما يرام. سترين. سمعت أن السيد بارميتر، طبيب العيون، عبقرى في مجاله. وبعد خطابك الذي يشارك توصية السيد كارترا، سألت هنا وهناك، وكل من

خاطبتهم يعتقدون أن بارميتر بارع للغاية. تحلّي بالإيمان يا أختاه، وسوف يعطيك الإجابات".

قلت: "وماذا لو كانت الإجابات التي لا نريد سماعها؟".

أجابت لوسى: "إذاً، ستبقين هنا بالطبع. لقد نجوت أنت وإدوارد بالفعل من عاصفة هائلة، عاصفة تحاول إبعادكما بعضكما عن بعض. ورغم أن الإبحار قد يكون صعباً في هذه العاصفة الهوجاء، إلا أنكما ستبحران معًا حتى تصلا إلى بر الأمان، أليس كذلك؟".

قلت: "شكراً. أنت صديقة طيبة يا لوسى".

فقالت: "وأنت كذلك أيضاً".

بعد الإفطار، قبّلت أنا وإدوارد نيد وأديل لتوديعهما وانطلقا إلى موعدنا مع السيد بارميتر، اختصاصي العيون، والسيد ليرنر، تلميذه.

قال إدوارد: "أكّد لي السيد كarter أن هذا الرجل أفضل طبيب في مجاله". وارتعشت عضلة في وجهه.
الكثير من الأمور معلقة على هذه الزيارة.

أنوي التحلّي بالتفاؤل لتطيب نفس إدوارد؛ لكن كانت لديه خطط أخرى. وعندما ضرب ويليامز الخيول بالسوط، قال زوجي: "ربما تسوء الأمور للغاية يا جين. هل فكرت في حياتنا وكيف يمكن أن تتغير، لو قال الرجل إنه لا يوجد أمل؟".

قلت: "الأمل موجود دوماً يا سيدى. نعم، السيد بارميتر خبير؛ لكنه ليس اختصاصي العيون الوحيد في أوروبا. وإذا أشار إلى أنه لا يوجد... لا توجد طريقة للمضي قدماً، فسوف نبحث عن رأي آخر".

قال إدوارد: "وآخر وأخر؟ متى سيتهي هذا يا عزيزتي؟ الآن، استمعي إلي. إذا قال بارميتر إنني سأصاب بالعمى التام، فلا بد أن تخصصي المزيد من وقتك اليومي للاطلاع على الحسابات والدفاتر. ليس لدى أدنى شك في قدرتك وكفاءتك؛ لكن سيطلب الأمر قدرًا معقولًا من الوقت لتعلمِي...".

قاطعته قائلة: "لا، سنعمل معًا. سوف أستمر في القراءة لك، وأدع إرشاداتك تقود جهودي".

تنهد بقوه وقال: "عزيزي جين، أنا أحاول أن أكون واقعياً. ويجب أن تكوني كذلك أيضاً. نعم، بالطبع يمكنك مشاركة المعلومات معي، ونعم بالطبع، سوف أجيبك؛ لكن صراحة، سيأتي وقت تفهمين فيه مسک الدفاتر والتعامل مع الحسابات. أنا أثق بك ثقة تامة. ليس هناك داع لأن تشعري بالاضطرار إلى مراجعتي في كل قرار. ولو فعلت ذلك، لاستنزفت كل وقتك وطاقتكم. ألا تفهمين ما أقول؟ لقد تزوجتك لرجاحة عقلك وسمو نفسك. وأخبرك بأنه لا رغبة لدى للإشراف عليك أو مراجعة قراراتك".

أعلم تماماً ما يحاول القيام به: إنه يجعلني المسئولة عن متزلفنا.

لقد استسلم.

قلت وأنا أعض على نواجذبي: "سنعمل معًا. حتى لو اضطررنا إلى الاستعانة بمحاسب يقدم تقارير لكلينا".

تأفف زوجي بصوت مرتفع، ثم تراجع في كرسيه في العربية وقال: "أنت عنيدة للغاية ولا طاقة لي بالجدال معك، لا سيما اليوم. لكن على الأقل أنصتي إلي. أنا أخبرك بأنني أثق بك ثقة عميماء. ولست مضطرة إلى انتظار موافقتي في أي وقت تتخذين فيه قراراً ترينه مناسباً وحكيمًا. إنني أثق بك وبحسن تقديرك للأمور".

كانت هذه المرة الوحيدة التي أسعدني فيها أنه لا يستطيع رؤيتي، حيث مسحت دموعي في صمت. يريد كل جزء مني أن أناقشه في قراره؛ لكنني أعتقد أن هذا لن يفيينا. يحاول إدوارد أن يجعل حياتي أكثر سهولة. وسيؤدي هذا إلى تحقيق هذا الهدف إلى حد ما. لكنه سيجعلنيأشعر بالمزيد من الانعزال والمزيد من الانفصال، ويجعله يشعر بأنه منبود.

قلت بنبرة مرحة لا تتناسب مع الموقف: "أخبرني عن رأيك في السيد ليرنر".

أجاب إدوارد: "لقد أتعجبني، وأعجب برووس. تفكير ثاقب. جاد. ذكي. يتمتع بالعزم. يحرص على الاطلاع على أحدث ما وصل إليه العلم. يقابل أقرانه بشكل منتظم لتبادل الأفكار حول الأدوية وطرق العلاج. أعتقد أن ليرنر شخص نسيط

يستطيع تحمل مشاق السفر من مزرعة لأخرى. على الأقل، يعتقد بروس أنه يستطيع ذلك انطلاقاً من مظهره. كيف كان في الكارثة التي شهدتها بالأمس؟".

أجبته: "لطيفاً لكن حازماً. كان في موقف عصيب؛ لكنه تصرف بشكل جيد مثلما قد يفعل أي شخص في ظل هذه الظروف. سيدى، لقد رأيته وهو يخبر ماري إنجرام بأنه ليست لديه أي رغبة فيها".

قال إدوارد وهو يحاول أن يكتم ضحكة: "ماذا تقولين؟ هل تقررين أنه رجل مستهتر له علاقات نسائية؟".

قلت: "لا على الإطلاق. أعتقد أن ماري تريد زوجاً بشكل يائس للغاية. ورغم قلة ما رأيته وسمعته - ولا بد أن تدرك أنني كنت أتنصل عليهما بينما كنت أنا ونيد في الحديقة التي تصادف مرورهما فيها - إلا أنها ترجمت اهتمامه المهني إلى شيء شخصي".

قال إدوارد: "قد يسبب هذا مشكلات إن وافقت على إحضاره".

قلت: "ليس إن كان متزوجاً". تمنيت لو كان باستطاعة إدوارد أن يرى اللمعان في عيني.

قال: "يتزوج ماري؟".

قلت ضاحكة: "لا. لقد أشار إلى أنه يهتم بامرأة أخرى تسمى ميريام. ربما إذا حصل على هذه الوظيفة، يطلب يدها للزواج".

قال إدوارد: "لدي زوجة تسمى كيوبيد". وضرب ركبتيه
ورمى رأسه للوراء وانفجر ضاحكاً، ثم أردف: "أحسنت يا
جين. من المؤكد أنني لا أريد الوقوف في طريق زواج سعيد.
سأخبر الرجل بأن الوظيفة له إن أرادها".

يستحق زوجي قبلة على هذا؛ لذا أعطيته واحدة.

الفصل ٣٠

احتار ويليامز في عنوان الجراح، وقال: "لا بد أنه هنا يا سيدي؛ لكن كل ما أراه هو ممر. إنه ليس واسعاً على الإطلاق. نحن على بعد أربعة شوارع جنوب ماريليون، مثلما يفترض أن تكون. ولا بد أن هذا هو المكان المقصود".

قلت: "ربما إن اقتربت من الواجهة، أكتشف مدخلًا، أو أعرف المكان الذي ذهبنا إليه عن طريق الخطأ".

ساعدني ويليامز على النزول من العربة، وبينما كان إدوارد يخرج منها، اقتربت من المبني ذات الواجهات الحجرية. ومثلكما أوضح السائق، بين المبنيين يوجد ممر ضيق يحتاج إلى الكنس بمقشة جيدة. وراء الأوراق الميتة والجرائد القديمة يوجد باب دهن باللون الأبيض في الماضي، والآن تعلوه خطوط رمادية وغبار الفحم. وبجوار ذلك المدخل الفريد غير المضيف توجد لافتة صغيرة كُتب عليها: "بارميتر / الطابق الثالث".

لم يبدُ الأمر مبشرًا على الإطلاق، لا سيما بالنسبة لرجل يفترض أن يكون طبيب عيون مشهورًا؛ لكن ما الخيارات الأخرى المتاحة لنا؟

لا يوجد.

قدت إدوارد عبر السالالم الضيقة. في الأعلى، وجدت لافتة مدهونة كتب عليها كلمتان فقط، "طبيب عيون"، ومعلقة بسلسل صدئة. قادنا سهم مرسوم في الردهة نحو اليمين. طرقت على الباب الوحيد الموجود. ورداً على ذلك، أتى صوت خطوات قادمة عبر الأرضية الخشبية.

سألت عندما فتح الباب: "السيد بارميتر؟".

فقال: "السيد والسيدة روشيسنتر، كما أعتقد؟ كتب السيد كارتر إلى عن حالتك. تفضلا بالدخول. أعتقد أنكما قابلتما السيد ليerner من قبل؟ جيد، جيد، جيد".

كان الرجل الذي رحب بنا بوجه مستدير كالبدر تحتضنه سوالف متضخمة يتخللها شعر أبيض ورمادي. أعتقد أن السيد بارميتر في الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات من عمره. بدت الملابس التي يرتديها غير ملائمة، وأكمام قميصه رثة. لكن جذبت عيناه انتباхи: كانتا رماديتين كالحصى الراطب؛ لكن ناعمتين مثل ريش الحمام، وبيدو أنهاهما تنظران إلي باهتمام كبير. يمكنني القول إن وراءهما يوجد عقل يتحرك بسرعة ورشاقة.

بدت منطقة الترحيب في المكتب متواضعة، حيث يوجد بها ثلاثة كراسٍ بظاهر مقوّى تقف صُفًا مثل الأعمدة الإغريقية. وأخفق اثنان من المناظر الطبيعية المرسومة بشكل سيع بالألوان المائية في تفتح الجدار القذر.

قال الاختصاصي: "غرفة الفحص في هذا الاتجاه. انتبه للعتبة. ارتفع قليلاً، من فضلك". وقد زوجي بيد واحدة على مرفقه. سرت وراءهما، وطرفت عيناي بسرعة في الضوء الساطع. هنا طلّيت الجدران مؤخرًا بطبقة من العجير. تعرض الخزان الممتدة من الأرض إلى السقف ذوات الوجهات الزجاجية مجموعة مذهلة من الأدوات التي يشبه العديد منها الخطافات وأدوات الكروشيه. وعلى رفوف أخرى توجد نماذج للعين البشرية وجمامح حيوانات وكتب بأغلفة متشققة، وأواني زجاجية شفافة تطفو فيها عيون لا تستقر مكانها. أعتقد أن هذا العرض مستفز ومثير للاشمئاز أيضًا.

قاد السيد بارمينتر إدوارد إلى سرير نقال متواضع، مثل السرائر المستخدمة في غرفة المرضى في مؤسسة لورود. وشجع رفيقه على التقدم قائلاً: "سيدة روتشيسنتر؟ اسمحالي بأن أقدم لكم السيد صامويل ليرنر. لقد تحدث بالفعل إلى زوجك بشأن العمل في مقاطعتكم".

قال السيد ليرنر: "في خدمتك، يا سيدتي". وعندما انحنى، تجدد جبينه من الارتباك.

قلت: "لقد التقينا من قبل؛ لكننا لم نتعرف بشكل صحيح. تقابلنا مصادفة في حديقة هايد بارك يوم أمس. لقد استجاب السيد ليرنر لأزمة أمس، عندما توفيت إحدى مرضاه بشكل مفاجئ. وتصادف أني كنت هناك، عندما حدث ذلك".

قال السيد بارمينتر: "يا إلهي، يا إلهي!".

تمكن السيد ليرنر من التحكم في ملامح وجهه المتغيرة؛ لكن ظهر أثر المفاجأة عليه للحظة. مثل زوجي، كانت عيناه بلونبني غامق يبدو كالأسود. وأنفه كبيراً نوعاً ما؛ لكن عظام وجنتيه المرتفعتين وفمه الكبير عوضاً ذلك وصنعا التوازن في وجهه؛ لكن أصبح وجهه مثيراً للقلق بسبب ذكرى لقاءاتنا السابقة.

قال السيد ليرنر: "أتمنى مخلصاً ألا يكون قد تشكل لديك رأي سيء عنني، سيدة روتشيسنتر، نظراً الظروف لقاءاتنا".

سألته: "لماذا سيحدث ذلك؟" انتابني الفضول لمعرفة كيف سيكون رده.

قال: "لأن رفيقي في الحديقة كان... مضطرباً للغاية. ولأنني في وقت لاحق، عندما أتيت إلى الليدي إنجرام، كان قد فات الأوان على مساعدتها". تجدد جبينه من القلق.

دفعتني رغبته في تصحيح أي صفات خاطئة إلى احترامه كثيراً.

قلت: "سيد ليرنر، لم أسمع شيئاً سوى الإطراء عليك.
وأعترف بأنني أشعر بالفضول لمعرفة ما اكتشفته بعد فحصك
بقايا القهوة".

قال الطبيب: "للأسف، لم تكتمل فحوصاتي بعد".

قال السيد بارميتر: "معدرة لأنني قد أبدو وقحاً، أخشى
أن جميع تجاربه يجب أن تنتظر سيدة روتشيسنر. أقدر الفطنة
المهنية للسيد ليرنر كثيراً؛ لذلك أحتاج إلى مساعدته وأنا
أفحض زوجك. هل تعذریننا؟".

قال إدوارد: "لا!". أفرزعنا جمیعاً أمر إدوارد المفاجئ.
"ستبقى جين هنا. أيّاً كان ما ستفعله تستطيع زوجتي رؤيته أو
سماعه".

قال الطبيب: "لكن غالباً ما تصاب النساء بالضعف...".

قاطعه إدوارد قائلاً: "إلا هي. زوجتي هي شريكة حياتي
ولديها قلب محارب. ستبقى معه أو أخرج من هنا".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣١

قال السيد بارميتر: "إذا، سنمضي قدماً. سيدة روتسيستر، تفضل بالجلوس".

جذب اختصاصي العيون مكتباً مطويًا مصنوعاً من خشب القيقب وحزمة من الأوراق وقلمًا، وقال: "لدي تقرير السيد كارترا عن إصابتك؛ لكنني أود أن أرى بنفسي ما نتعامل معه".

وبينما يوجه ليرنر إدوارد ليعود للوراء فوق السرير، لاحظت أن معطف زوجي اتخذ شكلًا غريبيًا، وأن شعره، الذي لم يكن منظماً أو مرتبًا على الإطلاق، سقط فوق جبينه المشوه.

شعرت بغصة في حلقي، وقاومت الرغبة في البكاء. كم يبدو بائساً! تسبب عمى إدوارد في إصابته بضعف يتعارض تماماً مع شخصيته القوية. يشبه الأمر رؤية ثور قوي يجشو على ركبتيه، ورأسه متذلل لأسفل. كل ما يجعله يتصرف باعتداد هو كبرياته، وتلك الكبراء تتراجع ببطء.

عرض السيد بارميتر على إدوارد مجموعة متنوعة من الصور بالأبيض والأسود، التي استطاع إدوارد التعرف على

بعضها؛ لكنه لم يتمكن من تمييز البعض الآخر بوضوح. قال السيد بارميتر: "هل أنت متيقن، سيد روتشيسنر، أن رؤيتك كانت مثالية قبل وقوع الحادث؟ ألم تحدث لك أي مشكلة خاصة عند الشفق وعند شروق الشمس؟".

أثار هذا في داخلي ذكرى لقائنا الأول، عندما لم يلاحظني إدوارد، على ظهر حصان، وهو يسير على طول الممر بالقرب من ثورنفيلد هول عند الشفق. فذكرت هذا لهم.

قال إدوارد: "هذا صحيح يا عزيزتي. اتهمنك بأنك تسرحييني؛ لكن ربما حتى آنذاك، كانت عيناي تضعفان. أتذكر حادثاً آخر من هذا القبيل في صباح أحد الأيام، بينما كنت ذاهباً إلى المحظيرة. أخطأت في تقدير خطوة ووقيعت على ركبتي. عزوت الأمر إلى الحماقة؛ لكنني أتساءل الآن".

سار السيد بارميتر بأطراف أصابعه على طول جفن إدوارد، وقال: "سيد ليرنر؟ ماذا تعتقد؟ المس جبينه وجفنه. أود أن أقارن انطباعك مع انطباعي".

تصرف الطبيب الشاب وفقاً للتعليمات. وعندما انتهى، التفت إلى معلميه، وقال: "أعتقد أن هناك ضغطاً خلف العين. يمكن أن يفسر ذلك أعراضه، ويتناسب مع ما أشعر به بأطراف أصابعه".

قال السيد بارميتر: "بالضبط، بالضبط".

لم أستطع التزام الصمت أكثر من ذلك، فقلت: "هل هناك أي شيء يمكنك القيام به؟".

استدار السيد بارميتر ونظر إلى كأنه نسي أنني هناك.

قال الطبيب: "في واقع الأمر، هناك. ليرنر؟ خذ السيدة روتسيستر إلى المستوصف. أعتقد أن العشب الجديد الذي تلقيناه للتو من آسيا جاهز. تعرفه، العشب؟".

قال الشاب: "نعم يا سيدي. من هذا الاتجاه يا سيدتي".

مشينا معًا في ممر معتم يؤدي إلى غرفة صغيرة تحتوي على رفوف بجوار الحائط تمتد من الأرض إلى السقف. كان ضوء الصباح الأصفر الليموني يتدفق من خلال نافذتين، ويتلألأً أثناء ارتداده على واجهات مئات الجرار الزجاجية التي وضعت عليها ملصقات كتب عليها يدوياً أحرف كبيرة تعلن أو لاً الاسم الشائع، وثانياً، باللاتينية، الجنس والنوع.

اتبع ليرنر الأبجدية وهو يحاول تحديد مكان الأدوية. أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لاستجوابه حول لقائه مع ماري إنجرام. قلت: "سيد ليرنر، عندما رأيتكم في الحديقة كنت تتشاجر مع الآنسة ماري. يبدو أنها تعتقد أن هناك تفاهمًا بينكم".

استند السيد ليرنر براحتيه إلى الرفوف، وأغمض عينيه وهز رأسه وقال: "لا. إنها متوهمة. رافقت السيد كارتر إلى منزل إنجرام. عملت مساعدًا له في رعاية والدتها. فنظرت الآنسة ماري إلى مساعدتي على نحو لم أقصده على الإطلاق". ثم فتح عينيه واستدار إلي وأردف: "أقسم لك، سيدة روتسيستر، أنني لم أقد الآنسة ماري أبدًا إلى الاعتقاد بأن لدى أي اهتمام بها!"

وليس هناك ما يسُوّغ إصرارها على خلاف ذلك مطلقاً. حاولت مرات عديدة أن أقول لها إنها مخطئة لكنها ترفض الاستماع. لماذا أخدعها؟ ما الميزة في الأمر؟ ليس هناك مستقبل له. أقول لك بصراحة، أنا لا أجدها جذابة على الإطلاق. هذه هي الحقيقة. ولو جعلني هذا أبدو لئيماً، فليكن".

وصمت قليلاً ليعيد ترتيب جرتين ثم التفت إلى مرة أخرى وقال: "سيدة روتسيستر، أقول الحقيقة دائماً، حتى لو كانت غير مريحة. دائماً. وإذا عرض زوجك الوظيفة علي، فسأطلب يد شابة أخرى للزواج. اسمها الآنسة ميرiam غولدشتاين، وستكون إضافة رائعة لنا جميعاً".

كانت نظرته واضحة و مباشرة. وكانت عيناه بمثيل لون الطاولة المصنوعة من خشب الجوز في قاعة الاستقبال لدى لوسي، وتسلل شعره المموج لأسفل فوق أذنيه.

عاد ليرنر ليتبه إلى الجرار. لم أتعرف إلا على بعض الأسماء فقط: الأفستين واللفلف الحار والبابونج والجنجل والناردين والخزامي ولحاء الصفصاف الأبيض والنعمان.

قال السيد ليرنر: "هذا ما يريده السيد بارميتر. كانابيس روديرليس الذي يعرف باسم القنب. ينمو في جميع أنحاء قارة أوروبا. أحد أقرباء عشبة الجنجل. اكتُشفت فوائد العلاجية لأول مرة في الصين. يُستخدم على نطاق واسع الآن في الهند".

قلت: "هل سأقوم بنقעה؟".

قال السيد ليرنر: "هل يدخن زوجك الغليون؟".

أجبت: "يفضل السيجار".

فقال: "سيكون هذا أقوى إذا استخدمه بدلاً من التبغ. يقلل من ضغط العين. يجب أن تساعد النتيجة في تحسين رؤيته. يمكنني القدوم لاحقاً وإخباركم بأفضل طريقة لاستخدامه".

ضعف ركبتي، عندما شعرت بالارتياح. قلت: "حقاً؟ عشب اعтиادي، مثل هذا يمكن أن يساعدك بالفعل؟".

قال السيد ليرنر: "بالطبع، لا توجد علاجات مؤكدة؛ لكننا سمعنا عن فاعلية هذا العلاج مع مرضى آخرين، ولدي كل الأسباب التي تجعلني أعتقد أن السيد روتشيسنر يمكن أن يتحسن. على الأقل قليلاً".

سألته: "ما الوقت الذي تستغرقه رؤية النتائج؟".

أجاب: "هذا غير مؤكد. قد يكون وقتاً قصيراً مثل أسبوع أو عشرة أيام أو طويلاً يصل إلى عدة أشهر. وإذا تم اختياري للعمل في المقاطعة، يمكنني متابعة مستوى تقدمه وتقديم تقرير إلى السيد بارميتر. وسوف نحاول أنا وهو والسيد كارتر الاجتماع مرة واحدة على الأقل شهرياً لمناقشة... الحالات".

حالما عدنا إلى غرفة الفحص، أخذ السيد بارميتر الجرة، ومرر إصبعاً تحت الملصق، وأومأ برأسه، وقال: "نعم، نعم. أبلغ زملائي في الشرق عن نتائج جيدة مع هذا العشب.

سأعتمد على السيد ليرنر في مساعدتكم على تعلم كيفية استخدامه بأقصى تأثير، سيد روتشيسنر".

قال إدوارد: "هل تخبرني بأن نبته اعتيادية تستطيع أن تحسن رؤيتي؟". كان صوته أجمل من الانفعال. فأدركت من مظهره أنه يكبح كل مخاوفه، ويحاول جاهداً أن يبدو أكثر عفوية مما يشعر بالفعل.

قال السيد بارميتر: "أقول إن استخدام هذا باستمرار، يمكن أن يساعد". وأعاد الجرة إلى مرؤوسه، وأردف: "سيد ليرنر؟ قس ما يعادل أسبوعين من الجرعات. يمكننا إعادة النظر في حالتك في غضون أسبوعين، سيد روتشيسنر. وبينما لا أستطيع أن أقدم لك وعوداً، إلا أنني أستطيع أن أمنحك الأمل".

قال إدوارد وهو يتحدث بطريقة تشي بأنه يحبس أنفاسه: "شكراً لك".

نظرت بعيداً عن الرجال، وأنا أضع يدي في جيبي لأخرج منديلاً. أنا أيضاً أود أنأشكر الطبيب؛ لكنني لا أستطيع التحدث. ليس الآن.

هل يمكن أن يرى زوجي مرة أخرى؟ ازدردت ريقني، وأنا أقاوم المشاعر القوية التي اجتاحتني. آه، يا إلهي! لقد استجيبت صلواتنا.

الفصل ٣٢

تلك الظهيرة، ظهر السيد ليرنر على الباب الأمامي لمنزل لوسي. أتى الطبيب الشاب ليريني أنا وإدوارد كيفية استخدام الأعشاب الطبية عن طريق غليون يسمى "لوفات".

قال ليرنر: "ستلاحظان أن وعاء الغليون صغير مقارنة بغيره. الحجم مهم. بالمناسبة، يجب ألا تستخدم هذه الأعشاب تارة والتبع تارة. استخدم هذا الغليون لتناول الجرعات الطبية فقط".

أخرج الطبيب علبة صغيرة من حقيبته وقال: "هل تسمحون لي بأن أطلب بعض العسل من مطبخكم؟ إنه يحمي خشب الغليون من الاحتراق".

أحضرت سادي العسل مباشرة، وشاهدت الطبيب وهو يضع طبقة رقيقة منه داخل وعاء الغليون. أوضح السيد ليرنر مقدار العشب الذي يجب استخدامه، وكيف يجب على إدوارد الاحتفاظ بالدخان في رئتيه لأطول فترة ممكنة، قبل أن يزفر بيطء.

ملأ المكتبة رائحة حلوة غير كريهة، عندما اشتعلت النار في العشب.

قلت: "شكراً جزيلاً لك سيد ليرنر. أعتقد أنه كان باستطاعتنا التعامل مع الأمر، لكنني أقدر كثيراً إشرافك على الأمر".

تحرك الشاب بقلق على الكرسي الكبير المزين، ويداه الكبیرتان تتشابكان وتتفرقان، وكأنه يتوق إلى تدليك أحد أطرافه المتآلمة. تجولت عيناه في أرجاء الغرفة، ولم تجدا مكاناً تستريحان فيه. وارتسم العبوس بيضاء على وجهه وهو يقول: "نعم، كنت في طريق العودة من مقر بوستريت، واعتقدت أنه من الحكمة أن أتوقف... لعدة أسباب.

سألتني السيدة روتشيستر في وقت سابق عن الاختبارات التي كنت أجريها على ثفل القهوة من منزل السيدة غرينجر. لكنني لم أكن قد أكملت اختباراتي. والآن أكملتها".

بدت هذه بداية مثيرة للضجوك؛ لكن لم أستطع معرفة الهدف منها؛ لذلك وضعت بقایا العشب جانباً وجلست بجانب زوجي. أنهى إدوارد الغليون وضعه جانباً. لاحظت أنه بدا مرتاحاً، وتساءلت عما إذا كان هذا المزاج ناتجاً عن العشب أو عن حقيقة أنه أخيراً أصبح لدينا أمل في تحسن حالته. سألته: "ماذا وجدت؟".

أجاب: "يحتوي الثفل بالفعل على نوع من السم. وأبلغت السيد ويفرلي بالنتائج التي توصلت إليها، وعندما فعلت ذلك،

أخبرني بأنه تلقى الليلة الماضية من الآنسة ماري إنجرام رسالة تتهمني فيها بقتل والدتها".

شهقت بقوة. إن هذا منعطف مذهل ومقلق للأحداث.

قال إدوارد: "هذا لا معنى له على الإطلاق. إذا كنت قد فعلت ذلك، فلماذا تعرف بأن اللوم يقع على القهوة؟ كان باستطاعتك أن تدعلي أن السيدة إنجرام ماتت لأسباب طبيعية".

قال: "نعم سيدى، هذا صحيح. لكن رسالتها وصلت قبل أن أقدم تقريري إلى السيد ويفرلي. في الواقع، لست واثقاً من أنها تعلم أنني أخذت القهوة أو أنني خططت لاختبارها".

قلت: "من أفعالها في الحديقة، كان من الواضح أن حب الآنسة ماري لك قد استبد بها؛ ورغم ذلك، تتهمك بالقتل؟ هذه سخافة وقسوة تتجاوزان أي وصف؟".

أو ما الشاب برأسه، واكتسى وجهه بنظرة بائسة لم أر مثلها من قبل، وقال: "بعد ظهر أمس، أرسلت لي رسالة عن طريق ساع تحذرني من أنه يجب أن أعود إلى رشدي، وأعلن حبي لها. (إما الآن وإلا فلا) حسب تعبيرها. ومرة أخرى، اقترحت أنني دفعتها لذلك".

قلت: "مما رأيته في هايد بارك، لقد أعلنت عدم اهتمامك بشكل واضح. وأخبرتها أيضاً بأن عواطفك مع امرأة أخرى". ترك السيد ليرنر مقعده بانفعال، وقال: "أقسم لكم، لم أكن في علاقة مع الآنسة ماري، وليس لي علاقة بوفاة والدتها. لم

أفعل أي شيء سوى التصرف وفقاً لمقتضيات عملي كطبيب يعالج أمها. صدقاني، بدأت أندم على اليوم الذي دعاني فيه السيد كارتر لمساعدته".

التزمنا الصمت، وأخذ كل منا يتأمل الأمر، عندما استقر الشاب في مقعده، سارع إلى إضافة: "بالطبع، لو لم أعمل مع السيد كارتر، ما كنت سألفت انتباحك أبداً، سيد روتشستر. لذلك لا أقصد أن أبدو ناكراً للجميل، وأنا ملتزم تماماً بكوني طبيباً. لم تزعزع الآنسة ماري إيماني بمهنتي".

وصمت قليلاً ثم قال: "لكن في ظل هذه الظروف، سأفهم الأمر إذا لم تعد ترغب في توظيفي في مقاطعتك".

رفع إدوارديه لتبييد مخاوف الشاب، وقال: "لا، سيد ليرنر، ليست هناك حاجة لأن تسحب طلبك. عندما أتخاذ قراري، لن يكون لاتهام الآنسة ماري إنجرام أي تأثير على مداولاتي. إن اتهامها غير منطقي. ليس لديك دافع لقتل والدتها. علاوة على ذلك، لماذا تحمل هذا العناء لإثبات ذنبك؟ بينما أقدر اعترافك بأنني في موقف صعب إذا استمرت في إلقاء اللوم عليك، فإنني لست جباناً. لن أتجاوز أحد المتقدمين المتميزين لمجرد أن الآنسة ماري مهووسة بالحب".

سألت: "ماذا قال السيد ويفرلي؟". لم أستطع أن أتخيل أن يعطي الضابط في بو ستريت اتهام فتاة إنجرام مثل هذا الاهتمام. إنه ذكي للغاية ولا يمكن أن يخدعه هذا.

أجاب السيد ليرنر: "في هذه المرحلة، لا يعتبرني من المشتبه بهم. ورغم ذلك، سيكون هناك تحقيق. لقد أمر الملك بذلك قبل أن أقدم تقريري عن بقايا القهوة. وبما أن الماركiza كانت حاضرة وقت وفاة السيدة إنجرام، فإن جلالته قلق من أن صديقته قد تكون في خطر".

قال إدوارد: "من الطبيعي أن تكون هناك محاولات لاغتيالها، وهي صديقته المقربة".

هززت رأسي وقلت: "لكنه احتمال مستبعد. لم يعلم أحد منا أن الماركiza تخطط للزيارة، والتسميم يتطلب تحطيطاً".

أبقى السيد ليرنر عينيه على السجادة، وشاهدته وهو يزدرد ريقه بقوة. ثم قال: "سيد وسيدة روتشيستر، رغم أنني أقدر دعمكم بشدة، إلا أنه إذا وردت أنباء مفادها إلقاء اللوم علي، فعليكم التفكير في إبعاد نفسكيمماعني. في الواقع، بعد أن أغادر من هنا، أخطط لزيارة ميريام لأنبieraها بالمثل". سأله: "لماذا؟".

قال بهدوء: "لأنني يهودي، وعندما يلام اليهود على جريمة، غالباً ما يُعاقب مجتمعنا بأكمله. إذا أشار التحقيق إلي، فقد تنزلع اضطرابات عامة. وإذا رأى الناس كمفترس وحيد، فسوف تكونون أنتما وميريام في أمان".

لم أفكر كيف قد تعرض الديانة السيد ليرنر لخطر غير عادي، أو كيف يمكن أن يتفاقم الأمر ونتورط فيه. لكن بدأ جمر

الغضب يحترق بداخلي؛ رغم أنني أحاوِل الحفاظ على اتزاني. أي نوع من النساء قد يشير بياضِيَّع الاتهام إلى الرجل نفسه الذي أدعُت أنها تحبه؟ ما الذي دفع الآنسة ماري إلى هذا الغدر؟

سرت قشعريرة في جسدي. لا يبشر اهتمام الملك بوفاة السيدة إنجرام بالخير. سيكون من السهل جدًا على ضباط بوستريت العثور على كبش فداء من أجل إسعاد ملوكنا.

بعد أن عجزت عن الجلوس مكانني، نهضت وسرت إلى النافذة. نظرت إلى الشارع الصاخب، وحاولت تهدئة نفسي. من المؤكد أن السيد ويفرلي لن يسمح بإجهاض العدالة.

لا، ليس السيد ويفرلي من هذه النوعية من الرجال. إنني أثق به. لقد رأيته يتخذ قرارات صعبة، وكان يقف دائمًا إلى جانب العدالة والإنصاف.

قال إدوارد: "يدو لي أن الآنسة ماري إنجرام بذلت جهودًا غير عادية لتسبب لك الأذى أيها الشاب".

لم أُسْطِع أن أمسك لسانِي؛ فقلت: "إنها امرأة حقيرة. لم تكن هناك، سيد روتشيسِتر؛ لذلك لا يمكنك أن تخيل مدى غضبها، عندما سمعت أنه يكن العاطفة تجاه امرأة أخرى. بل إنها ضربت السيد ليرنر على وجهه أيضًا".

لمس السيد ليرنر وجهه بحدٍّ شديد وهو يتذكر الضربة، وابتسم ابتسامة خجولاً وقال: "لقد كان بالتأكيد توبيخًا لاذعًا".

أنا آسف على أي خيبة أمل ربما أكون قد سببتها لها؛ لكنني أقسم لكم أنني لم أؤدّها لذلك أبداً. لماذا سأفعل ذلك؟ وحتى لو وجدتها مناسبة، فلن نتزوج أبداً. إنها ليست من ديانتي. وبصراحة، مكانتها أعلى بكثير من مكانتي".

قلت: "لكن يبدو أن الخبر الذي تلقته الآنسة ماري عن اهتمامك بامرأة أخرى كان مفاجأة لها".

قال السيد ليرنر: "ليس لدي أي سبب لأنشراكها حياتي الشخصية. تحدثت الآنسة ماري معي، مثلما تتحدث أي مريضة مع طبيتها، وأخبرتني كم توق للزواج. إن التقدم البطيء الذي تحققه أختها نحو الزواج يشير قلقها؛ لكنني حاولتطمأنتها. لا يسعني إلا أن أخمن أن الآنسة ماري أخذت محاولتي مجاملتها كتأكيد على أنني وجدتها جذابة. أعترف بأنني لست ماهراً جداً في الثرثرة التافهة، أو ما يمكن اعتباره محادثة مهذبة، وربما أكون قد أفسدت الأمور".

هز إدوارد رأسه في دهشة: "إذاً من خيبة الأمل هذه، صنعت جريمة؟ لا تقل عن جنائية؟".

قلت: "تزداد نجاحات عائلة إنجرام في معاقبة أي شخص يخيب آمالهم. حسناً، دعونا نأمل أن يجد ويفرلي العاجاني الحقيقي، وأن تنتهي هذه العاصفة بسرعة. ولن يجعلني أي شيء أغير رأيي فيك يا ليرنر".

ورغم أنه لا يستطيع رؤيتي، ابتسمت لزوجي. لطالما كان العالم يتعامل دائمًا بلطف مع إدوارد روتشستر؛ لكن في وقت مبكر من صداقتنا شعرت بأنه على الرغم من معاناته، تمسك بإحساسه الفطري بالتعامل العادل. والآن أشعر بالفخر لكيفية تعامل زوجي مع هذا الطبيب الشاب. لكن لا يزال السيد ليرنر يساوره القلق. قال ليرنر: "جعلتني هذه الحلقة الغبية أدرك المشكلات الأخرى التي قد تنتظرنى. هل سيقوم نائب أبرشيتك بعمل استثناء لي؟ إذا فعل ذلك، فقد يرفض المستأجرون خدماتي".

أمال إدوارد رأسه في إشارة تأملية من نوع ما جعلتني أشعر بالحب تجاهه. وعندما تحدث، فعل ذلك بلطف كبير. قال: "بما أنني أدعم الأبرشية، أشك في أنه ستكون هناك مشكلات في هذا الصدد. وأعتقد أنه إذا قدمك كارتر إلى الناس هناك، فسوف يتلقونك بالترحاب. وسأشجعه على الاستفادة من أفكارك الجديدة".

تجعد جبين الطبيب وهو يفكر، وقال: "هذه فائدة سأجلبها إلى العمل. أنا محظوظ لأن لدى العديد من الأصدقاء في المجتمع العلمي. هؤلاء هم الرجال الذين يسعون جاهدين إلى تطوير أفكار وأساليب جديدة".

قال إدوارد بطريقة لطيفة: "يعجبني صدقك في الحديث. الرجل الذي يهتم بالآخرين أكثر من نفسه سيكون إضافة قيمة

إلى مقاطعتنا. أرحب أنا وزوجتي بك - وبنزوجتك إذا وافقت - في مقاطعتنا. أرجو أن تأتي وتخدم المستأجرين بالقدر نفسه الذي أظهرته هنا اليوم من صدق ورحمة. أريد أن يكون تقديمك سلساً قدر الإمكان، لذلك أعتقد أن كارتر يجب أن يكون معنا، عندما نتحدث عن التفاصيل".

قال السيد ليرنر: "يمكن تحقيق هذا بسهولة. لقد تلقيت خطاباً يفيد بأنه سيكون هنا في غضون يوم أو نحو ذلك. إنه يريد الاطلاع على آخر تقرير لحالتك، وتأمل زوجته في زيارة العديد من متاجر لندن".

قال إدوارد: "ممتن. سوف تسير الأمور بشكل رائع".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٣

قال السيد دوغلاس: "مرري هلام الطماطم والبصل، لو سمحـتـ. أختـاهـ، تقومـ الطـاهـيةـ لـديـكـ بـعـمـلـ رـائـعـ. لقدـ نـزـعـتـ الشـوـكـ منـ السـلـمـونـ جـيـداـ. وـالـقـشـرـةـ فـوـقـ هـذـاـ الـخـبـزـ...ـ". لكنـ قـاطـعـ جـرـسـ الـبـابـ إـطـرـاءـ السـيـدـ دـوـغـلاـسـ. فـسـكـتـ وـصـمـتـناـ جـمـيـعـاـ، وـنـحـنـ نـتـنـاـولـ الـعـشـاءـ. أـتـىـ هـيـغـيـنـزـ وـهـوـ يـحـمـلـ صـينـيـةـ فـضـيـةـ. وـلـدـهـشـتـنـاـ جـمـيـعـاـ، تـجـاـوزـ لـوـسـيـ وـقـدـمـهـاـ لـيـ. أـخـذـتـ منـ الصـينـيـةـ بـطاـقةـ مـنـقـوـشـاـ عـلـيـهـاـ اـسـمـ بـالـذـهـبـ: السـيـدـةـ توـبـيـاسـ بـيـلتـمـورـ.

الـسـيـدـةـ توـبـيـاسـ بـيـلتـمـورـ، الـتـيـ تـعـرـفـ بـاسـمـ بـانـسـيـ بـيـلتـمـورـ، الـتـيـ تـشـهـرـ بـكـوـنـهـاـ الـمـرـأـةـ الـتـيـ كـتـبـ لـهـاـ الـمـلـكـ خـطـابـ الـحـبـ الـذـيـ يـقـعـ بـحـوـزـتـيـ فـيـ الـوقـتـ الـحـالـيـ.

قالـتـ لـوـسـيـ: "مـنـ يـكـوـنـ؟ يـاـ للـوـقـاحـةـ أـنـ يـأـتـيـ أـحـدـ إـلـىـ مـنـزـلـيـ فـيـ هـذـاـ الـوـقـتـ مـنـ الـلـيـلـ!". وـعـنـدـمـاـ أـخـذـتـ بـطاـقةـ مـنـيـ وـقـرـأـتـهاـ، قـالـتـ: "آـهـ".

عـالـمـ بـأـكـمـلـهـ فـيـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ: آـهـ.

ثم، عندما تذكرت لوسي أن إدوارد لا يستطيع قراءة البطاقة،
قالت: "لقد أتت السيدة توباس بيلتمور للزيارة".

كاد السيد دوغلاس يختنق وهو يتناول النبيذ، ثم قال:
"السيدة التي بعث إليها الملك الخطاب؟".

قلت: "هي نفسها. أعلم ما أتى بها إلى هنا، ولن يجدي
الانتظار في هذا الموقف. من الأفضل أن أذهب وأرى ما تريده
بانسي بيلتمور".

قالت لوسي: "ما رأيك أن نترك خمس دقائق ثم أقاطع
الزيارة؟ لا أريد أن يبرد عشاوك". عاد التألق إلى عيني لوسي،
وأسعدني ذلك.

قلت: "خطة مثالية". وبعد ذلك، استأذنتهم وذهبت إلى غرفة
الرسم، حيث يتظرني هيفينز والسيدة بيلتمور. بانسي بيلتمور
امرأة ضخمة وصوتها كذلك. كنت قد رأيتها مرة في منزل
ألدريتون، بعد وفاة ابنتها سيلينا، زميلة أديل؛ لكننا لم نتعارف
وقتها. عندما دخلت غرفة الرسم، وقفـت ونظرت إليـي والذهول
بـادـ على وجهـها، ثم قالت: "أنت... السيدة روتشيسـتر؟ لكن...
أعني... لقد أخبرـوني بأنـك سـاعدـت الضـابـط في القـبـض على
قاتل ابـنـي، وأـنت... صـغـيرة".

قلـت: "نعم. أنا كذلك". ظـلـلت واقـفة وأـنـا أـرجـو أـنـ تكون
زيـارتـها قـصـيرـة.

نظرنا ببعضنا إلى بعض، بينما تقدر حجمي. لم أضطر لفعل المثل. أعلم أن سيلينا تعرضت للاستغلال من أجل الارقاء بمكانة عائلة بيلتمور. وبدلًا من ذلك، استفزت الفتاة عدواً وقتلت في فراشها. وأعلم أن العائلة حزنت على طفلتها؛ لكنني أعلم أيضًا أنهم هم الذين وضعوها في طريق الأذى.

قالت السيدة بيلتمور أخيرًا: "لقد أتيت من أجل رسائلي".

أجبتها: "أحرقت كلها باستثناء واحدة".

أمسكت حلقها وخرجت الكلمات بصعوبة وهي تقول: "أيها؟".

قلت: "أعتقد أنك تعرفين أيها". وأبقيت ناظري على وجه بانسي بيلتمور حيث رأيت مجموعة متنوعة من المشاعر.

قالت: "هذا الخطاب ملكي. ولا يحق لك الاحتفاظ به".

أومأت. لحسن الحظ، أني فكرت في الأمر مليًا ووصلت إلى استنتاج. قلت: "لقد تخليت عنه عندما أعطيت ابنته إياه. وهي ميتة". وأمسكت نفسي قبل أن أضيف: "بسبب جشعك".

صمتت قليلاً قبل أن تقول: "هل تعلمين أن زوجي كان سيصبح لورداً؟ نعم، كان سيصبح اللورد فيريس؛ لكن مات قبل أسبوع من الحصول على اللقب. حادث. كسرت رجل حصانه".

قلت: "يؤسفني هذا. أرجو أن تتقبلني تعازي الحارة".

قالت: "كل شيء حلمت به، لكن ما الثمن؟ أنا مستعدة الآن لمقاييسه اللقب بزوجي وأبنتي"، وانهمرت الدموع على وجهها. ثم أردفت: "لم يتبق لي سوى ثلاثة أبناء يلعنوني. هل... هل تخيلين هذا؟ نحن في حاجة ماسة إلى المال، وهم يعتقدون أنني أستطيع جلب الأموال التي يريدونها. أتيت إلى لندن طلباً للمساعدة. لكن... لكن أخبرني الملك أنه فعل كل ما بوسعه من أجلي. ويقول إنه لم يعد بمقدوره فعل أي شيء، وإنه مشغول للغاية بالخطيط للتتويج"، ودفنت وجهها في يديها وبدأت تتحبّب. ثم قالت: " وعدتني الماركiza بالمساعدة. المال. ووبخني أبنائي على ترك الرسائل. لا يمتلك أي واحد منهم المهارات الالزمة لإدارة أعمالنا، ولا يهتم أي واحد منهم بالإشراف على المستأجرين لأراضينا. وترك زوجي ديوناً لم أكن أعلم عنها شيئاً. يستحق الخطاب قدرًا كبيراً من المال. بالنسبة للعديد من الناس. ويمتلك قدرًا أكبر... من الإقناع، أو التأثير، إذا جاز التعبير. أكدت لي الماركiza...".

قاطعتها قائلة: "لكنك لا تعرفين ما تخطط لفعله بالخطاب، أليس كذلك؟". تحدثت بهدوء، لأنني شعرت بالأسى على بانسي بيلتمور. هذه المرأة الضعيفة ستكون عقبة صغيرة في الطريق، تستطيع الماركiza أن تدوسها بعربتها لتعبر عليها.

قالت السيدة بيلتمور: "أكدت لي الماركiza...".

قاطعت لوسي شهقات ضيفتنا، عندما دخلت إلى غرفة الرسم، وقالت: "هل تثقين بها؟". فرفعت السيدة بيلتمور رأسها عن يديها وواجهت لوسي.

سألت السيدة بيلتمور: "من أنت؟".

أجبتها: "هذه السيدة برايتون وأنت ضيفة في منزلها".

سألت السيدة بيلتمور: "لم لا أثق باللidiy كونينغهام؟".

قالت لوسي: "لأنها متعطشة للسلطة. هل أنت حمقاء لكي تصدقـي أنها حالما تحصل على الخطاب ستقوم بمساعدتك؟ لماذا ستفعل ذلك؟ حالما تحصل على هذا الخطاب، لن تكون بحاجة إليك". كانت نبرة لوسي موبخة؛ لكنها تقول الحقيقة، وأسعدني ذلك.

لكن لم تؤثر كلمات لوسي على بانسي بيلتمور كثيراً، حيث التفتـت إلى وقالـت متـولـلة: "إذا كنت تعرفـينـها، فلا بدـأنـك تدرـكـينـ أنـكـ أـمـليـ الـوحـيدـ، سـيـدـةـ روـتشـيـسـترـ. سـوـفـ تـسـاعـدـيـنـيـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ، أـعـطـيـنـيـ الخطـابـ فـحـسـبـ. هـنـاكـ العـدـيدـ منـ الصـفـحـاتـ. سـوـفـ أـبـيـعـهاـ لـهـاـ الـواـحـدـةـ تـلـوـ الأـخـرـىـ".

تبادلـتـ أناـ وـلوـسيـ النـظـراتـ. تـعـرـفـ كـلـتـانـاـ أـنـ هـذـاـ لـنـ يـفـلـحـ أـبـدـاـ. حـالـمـاـ تـعـرـفـ الـلـيـدـيـ كـوـنـيـنـغـهـامـ أـنـ الـمـرـأـةـ اـسـتـعـادـتـ الـخـطـابـ، سـتـطـلـبـ تـسـلـيمـهـ إـلـيـهـاـ كـامـلاـ عـلـىـ الـفـورـ. هـذـهـ الـمـخـلـوقـةـ

البكاء المتعلقمة لن تستطيع معارضه الماركizza على الإطلاق.
لا سيما أن أبناءها يضغطون عليها.

قال السيد دوغلاس وهو يدخل الغرفة: "سيداتي؟ آسف
على المقاطعة. نحن ننتظركم. أعدت الطاهية حلوى تشارلوت
روسية رائعة للغاية. هل ستتأخران؟".

قالت لوسي: "كDNA ننتهي هنا. السيدة بيلتمور على وشك
المغادرة". وشدت حبل الجرس لستدعى هيغينز.

قالت السيدة بيلتمور: "السيدة روتشيستر، ما زلت أنتظر ردّاً
منك".

قلت: "سأفكّر في الأمر".

فقالت: "أرجو ذلك".

نظرت لوسي إلى الزائرة نظرة باردة وقالت: "سيريك هيغينز
طريق الخروج".

الفصل ٣٤

بحلول الوقت الذي انتهيت فيه من تمشيط شعري تلك الليلة، كان إدوارد يغط في النوم بالفعل. ومرة أخرى، أصابتنا أحداث اليوم بالإرهاق، وحرمتنا من أي فرصة للاختلاء بمنفسينا ومشاركة الأفكار.

في الصباح التالي، رأيت نيد ووجده متزعجاً للغاية؛ لذلك حملته، بينما نزلت إميليا إلى الطابق السفلي مسرعة لتحضير بعض البراندي لتذلك به لثته، وقالت مبتهجة: "التسنين يا سيدتي. لا بد أنه يؤلمه".

قالت أديل بالفرنسية وهي تربت على رأسه ذي الرغب الناعم: "أيها الطفل المسكين". إنها تقوم بدور الأخت الكبيرة بشكل جيد جداً، وتظهر الكثير من الحب "لأخيها الصغير". ويسريني هذا للغاية. لكن بصفتي كنت مريمة لهذه الطفلة في السابق، أعتقد أنه من الأفضل لها أن تكمل دروسها. وبما أن اللغة الفرنسية لغتها الأم، تحتاج أديل إلى التدرب على قراءة اللغة الإنجليزية. لذلك، كلفتها بقراءة قصة القديس جيرول

من A Child's Book of Martyrs (كتاب الشهداء للأطفال)، وأخبرتها أنها ستناقش القصة في وقت لاحق اليوم، بعد أن نهي أنا ولوسي زيارتنا. أعتقد أن مضيقتنا ستزغب في زيارة صديقتها، الليدي غرينجر، وترى كيف حالها. قلت: "إذا أبليت بلاءً حسناً، فربما تكون هناك مفاجأة لك". تريد أديل اعتمار قبعة جديدة بريش النعام، وسيكون هذا الموقف فرصة لتقديم مكافأة جيدة لها.

قلت: "لم لا تقرئين لنيد؟ إميليا، من فضلك شجعي أديل على القراءة لنيد".

قالت المربيّة: "نعم يا سيدتي". ثم تورّد وجهها خجلاً وهي تقول: "لكني لا أستطيع مساعدتها مع الكلمات الصعبة؛ فأنا نفسي لم أحصل على الكثير من التعليم".

نؤمن أنا وإدوارد بقوة التعليم. وبعد أن قمنا بتوظيف طبيب من أجل مستأجرينا، يجب أن نلتفت إلى تحسين المدارس.

لكن لا يمكن القيام بالكثير في هذا الصدد ونحن في لندن. دقت ساعة الحائط وأعلنت أن هناك خمس دقائق قبل الإفطار. قبلت الطفلين وتركتهما في أيدي أمينة. ومشيت إلى غرفة الطعام عندما أوقفني هيغينز.

مد كبير الخدم صينية فضية باتجاهي وقال: "خطاب لك يا سيدتي".

شكرته وقرأته بسرعة. مثلما اعتقدت، تتحدث السيدة فيرفاكس التي تمتلك حيوية ونشاطاً عن حالة جون. ويبدو أن السيدة بندراغون كانت تستخدم مجموعة من الأعشاب التي تسكن آلام جون. وتلا ذلك حمى خفيفة؛ لكن سرعان ما عولجت. خلاصة القول، تقريرجيد؛ رغم أنه من الواضح أن التقدم يسير ببطء. سيسعد إدوارد لسماع هذا.

بالنسبة لفيرندين، أنهى السيد فاريل فحص المنزل وطلب الإمدادات. تعافت العوارض الداعمة. ويعتقد أنه سيجد المزيد منها في أجزاء أخرى من المنزل؛ لذلك أبلغته السيدة فيرفاكس بأن يقوم بكل ما يلزم لإصلاح كوخ الصيد. أعجبني قرارها، وسوف أكتب لأنثي على اختياراتها. لكن ستستغرق هذه الجهد وقتاً. وعندما ذكرت أن الجو أصبح ماطراً وأنه يتعدى عبور الطرق بسبب الوحل، أدركت ما تعنيه ضمناً. لا تحدث هذه الإصلاحات بسرعة.

لا، سيظل فيرندين حالياً من السكان حتى الخريف على أقل تقدير.

وضعت الخطاب في جيبي، ونظرت إلى الأشجار التي تصطف في ميدان غروفينور، الأشجار التي تحولت أوراقها من اللون الأخضر الفاتح إلى الأخضر القاتم المبهج خلال أيام قلائل. لم أجد حلاً آخر: سنضطر إلى الإقامة في لندن طوال الصيف. في الواقع، لن يكون هذا سيئاً للغاية. نستطيع الاستمتاع بوقتنا معًا.

سيمنحك البقاء هنا في المدينة مجموعة من المزايا، إحداها رفقة لوسي وفرصة إقامة علاقاتوثيقة بين عائلاتنا الصغيرة. وفي يوم من الأيام، سوف تذكر أديل ونيد وإيفانز هذه الأيام ويدركون أنها الفرصة التي حصلوا عليها لوضع أسس قوية للصداقة.

سيمنحك الوقت في لندن رؤية إدوارد أفضل فرصة للتحسن؛ فسوف يستفيد من عناء ليرنر المستمرة وإشراف بارميتر. وسوف يقوي هذا البقاء روابط الصداقة التي أراها تنشأ بين إدوارد وبروس دوغلاس. رغم أن إدوارد يعرف منذ زمن طويل أن السيد دوغلاس بصفته صهر صديقه أوغي، إلا أن الرجلين لم يحظيا أبداً بفرصة التفاعل. لكن هذه الظروف الغريبة منحتهما سبباً جيداً لقضاء الوقت معًا، وأستطيع سماع الارتياح في أصواتهما لوجودهما بعضهما مع بعض.

سوف يمنحك البقاء هنا مع لوسي فرصة لإظهار تقديرى لصداقتها عن طريق دعمها عندما تضطلع بدورها الجديد بمثابة أم. ولا أشك في أنها ستنجح بشكل رائع؛ لكنني لا أستطيع تبديد شعورها بالقلق. بالنسبة لأمرأة انتظرت طويلاً لتصبح أمّا، فإن هذا حلم يتحول إلى حقيقة. وعندما تتحقق الأحلام، يزداد الخوف من الإحباط وخيبة الأمل. أستطيع مساعدتها في اجتياز هذا. أستطيع منحها بعض الثقة حتى تتمكن من الوثوق بنفسها.

بالنسبة إلي، سأتحلى بالشجاعة والعزم. أعرف تمام المعرفة أنني لن أستمتع بوقتي في لندن. الضوضاء والزحام

وقواعد السلوك والأترية وقلة التواصل مع الطبيعة، كلها اجتمعت لتجعل العيش في المدينة لا يتفق مع روحي؛ لكنني أعرف أيضاً أنني أستطيع التعامل مع هذا. كل ما في الأمر أنني أحتج إلى خطة وحسب.

ستمنعني التمشية في الحديقة العزلة التي أشتق إليها، وتجعلني أتواصل مع الطبيعة. وستوفر الكتب من مكتبة هاتشارذ مهرباً من ضغوط الحياة اليومية بسبب الوجود بين الكثير من الناس. وسيساعدني العمل مع قلمي والألوان على تغذية نفسي المبدعة. وسوف أتذكر كل يوم أن عائلتي سعيدة هنا.

نعم، سأكون على ما يرام. بالفعل.

وبعد ما قررت هذا، ذهبت وانضمت إلى زوجي على الإفطار.

كانت مضيفتنا قد قررت النوم متأخراً. ونهض بروس دوغلاس مبكراً وتناول إفطاره في النادي؛ لذلك أرسل ملحوظة يطلب فيها رفقة إدوارد بعد أن نتناول إفطارنا. واقتراح السيد دوغلاس أن يزورا مقر شرطة بو ستريت ويريا كيف ينوي السيد ويفرلي أن يمضي في تحقيقاته.

قال إدوارد وهو يأخذ قضمة من السجق: "أعتقد أنه من الحكمة أن نبقى على اطلاع على ما يحدث. إن اتهام ماري إنجرام للسيد ليرنر ليس إلا طلقة مبكرة سيتبعها المزيد من

الطلقات. أخبريني يا عزيزتي، من في اعتقادك مسئول عن تسميم الليدي إنجرام؟".

كنت أفكر في هذا الأمر، ولم أجده له جواباً شافياً. أخذت قطعة من الخبز من الرف الفضي للخبز ونطقـت الكلمات بعـنـايـة: "من المحتمـل أن يكون التسمـم حادـثـاً. ربما وقع شيء في القهـوة خـلال تخـزينـها. من المحتمـل أنه قد يـحدـث أي شيء قبل أن نصل".

قال إدوارد: "لكنك لا تشـكـينـ في شخص معـينـ من اللقاء؟ هل سـئـمتـ الليـديـ غـرينـجـرـ منـ الليـديـ إنـجـرامـ؟ دـفعـ المـالـ طـوالـ عشرـ سـنـواتـ منـ أـجـلـ أـنـاقـةـ بلاـنشـ قدـ يـدفعـ المرـءـ إـلـىـ الشـعـورـ بالـانـزعـاجـ. ربما اكتـشـفتـ أنهاـ إـذـاـ قـتـلتـ أـخـتـ زـوـجـهاـ، لـنـ يـكـونـ أمامـ بلاـنشـ طـرـيقـ سـوـيـ الزـوـاجـ". وأنـهـىـ تـناـولـ السـجـقـ وـبـدـأـ يـتـناـولـ الـبـيـضـ المـسـلـوقـ.

لا أـسـتـطـعـ أـتـخيـلـ هـذـاـ. فـقـلـتـ، بـيـنـماـ أـضـعـ المـرـبـىـ فـيـ الخـبـزـ: "لوـ كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ، فـإـنـ الليـديـ غـرينـجـرـ خطـطـتـ لـجـريـمـتهاـ بشـكـلـ سـيـئـ. كـمـاـ تـرـىـ، كـانـ السـمـ فـيـ قـهـوةـ بلاـنشـ، وـلـمـ تـقـدـمـهاـ بلاـنشـ إـلـىـ أـمـهـاـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ تـأـخـرـتـ مـارـيـ فـيـ العـثـورـ عـلـىـ ثـمـرـ الـوـرـدـ. لـاـ، لـاـ أـسـتـطـعـ تـصـدـيقـ أـنـ الليـديـ غـرينـجـرـ قدـ تـسـمـمـ أـخـتـ زـوـجـهاـ. وـلـوـ كـانـ هـذـاـ هـدـفـهاـ، فـأـعـتـقـدـ أـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ لـتـرـكـ كـلـ هـذـهـ الـأـمـورـ لـلـمـصـادـفـةـ".

قال إدوارد: "هل يـحـتـمـلـ أـنـ تـكـونـ بلاـنشـ أوـ مـارـيـ منـ فعلـتـ هـذـاـ؟".

قلت: "لماذا؟ لن تستفيد أي منهما من وفاة أمها. بلانش الفتاة المدللة لدى أمها وماري ترجو الفوز بحب أمها. لو كان هذا الغزا، فكيف يتناسب تسميم الليدي إنجرام مع هذا؟".

قال: "قد يكون أحد الخدم".

اتفقت معه في الرأي وقلت: "هذه هي الإجابة الوحيدة التي تبدو منطقية. بولي صديقة لوصيفة الليدي غرينجر، وسمعت كيف كانت الليدي إنجرام وبناتها يعاملن خدم الليدي غرينجر بشكل مروع. ومما رأيت وسمعت فإن الخدم متضايقون للغاية من الزائرين. علاوة على ذلك، يستطيع أي خادم في المنزل الوصول إلى القهوة في...", وصمت قليلاً ثم أردفت: "باستثناء أن تناول القهوة سيقتل بلانش وليس أمها. إذاً، لماذا لم يستهدف إلا الليدي إنجرام مباشرة؟".

قال إدوارد: "آه، لكن من بين كل الناس تعلمين جيداً مدى قسوة بلانش إنجرام. ربما كان هذا هو الهدف - قتل بلانش - لكن ذهب كل هذا الجهد سدى. على أي حال، كان عملاً عشوائياً ذاك الذي دفعها إلى المشاركة مع أمها".

لا أزال غير مقتنعة؛ لذلك قلت: "ربما. لكن لماذا لم تتأثر بلانش إذاً؟ لقد تناولت القهوة مع أمها، والتاثير الوحيد الذي أصابها هو الدوار، الذي اعتقدت أنه دراما مصطنعة".

قال إدوارد وهو يرتشف الشاي: "حسناً، على الأقل يتبع ويفرلي القضية. لكنني أؤكد لك أن بلانش لن تدع هذا الأمر

يمر مرور الكرام. في الحقيقة، ربما تكون أكثر تصميماً من ماري على رؤية شخص ما مشنوقاً لأجل هذا. لقد استنتجت منذ زمن طويل أن بلانش لديها هدف في الحياة، هدف واحد فقط، وهو لفت جميع الأنظار إليها. لا يدخل الحب حساباتها. في الواقع، أعتقد أنها لا تمتلك ما يطلق عليه الناس (قلباً). إنها مخلوقة شريرة تقتنيص أي فرصة لجذب الانتباه بلا داع. ونعرف هذا جميعاً لأنها لا تزال تسبب المشكلات في المقاطعة حول زواجنا. وقد تستغل هذه المأساة لكسب التعاطف".

صمت قليلاً ثم قال: "هل تنوين العودة إلى منزل عائلة غرينجر اليوم؟".

قلت: "أنا واثقة من أن لوسي تريد الاطمئنان على صديقتها. لقد مر يومان الآن".

قال: "رغم ذلك، خذى حذرك يا جين واحترسي. لو كانت بلانش إنجرام المستهدفة، فربما تقع محاولة أخرى قريباً".

قلت: "على الأقل لن أتناول القهوة".

فقال: "فكرة صائبة يا عزيزتي. فكرة صائبة".

ملت على زوجي وقبلته في خده وقلت: "والآن، دعني أقرأ عليك خطاب السيدة فيرفاكس الذي جاء للتو...".

الفصل ٣٥

مثلكما توقعت، في وقت لاحق من الصباح اقتربت لوسي أن نزور الليدي غرينجر. تحدثنا وهي تجلس خلف مكتبها في المكتبة وتتفحص رسائلها. قالت: "أريد أن أرى كيف حالها وأواسيها في كلبتها. أشعر بالقلق عليها. لا بد أنها تشعر بالاضطراب بعد وفاة اخت زوجها. لا أعلم بشأنك؛ لكنني لن أنسى بسهولة صورة الليدي إنجرام وهي ممددة على السجادة. ورغم ذلك، أشعر، مثل إدوارد، بالارتياح لأنها لن تسيء إلى اسمي أو اسمك مرة أخرى".

أخبرتُ صديقتي عن زيارة السيد ليرنر وتقريره عن القهوة.

اتسعت عيناً لوسي وهي تقول: "إذاً، هي جريمة قتل. حسناً، هذا يغير الأمور إلى حد ما. أخبريني من المجرم في اعتقادك؟ لا أتصور أن تفعل أوليفيا مثل هذا الشيء المروع".

أجبتها: "ولا أنا". وذكرت لها أن الآنسة ماري كتبت خطاباً تلقي فيه اللوم على السيد ليرنر، ثم قلت: "هذا هراء، بالطبع. هذا مستحيل من الناحية المنطقية، ومن غير المحتمل أن يؤكّد

للسيد ويفرلي أن القهوة سبب في وفاة الليدي إنجرام إن كان هو السبب. إنه ذكي للغاية ولا يمكن أن يفعل هذا. لا، شعرت الآنسة ماري بالغضب لأنه تجاهل مشاعرها".

تأوهت لوسى: "آه يا إلهي! أوليفيا البائسة المسكينة! رغم حقيقة أن زوجها الراحل كان وغداً، إلا أنها لبت رغباته، وقامت برعاية عائلته كأنها عائلتها. انظري إلى المتاعب التي أصابتها من وراء ذلك. آه، لو كانت الليدي إنجرام قد أصرت على أن تتزوج بلانش شخصاً ما!".

نفرت على كتفها وقلت: "لكن يا لوسى، لقد تزوجت عن حب. وأنت كذلك أيضاً. ربما نقسوا في الحكم عليها".

تنهدت لوسى ونظرت إلى بعينين زرقاويتين صافيتين وهي تفكير، ثم قالت: "أعتقد ذلك. علمت من اللحظة الأولى التي التقيت فيها بأوغى بأننا مقداران بعضنا البعض. ليست كل امرأة محظوظة. ورغم ذلك، يبدو لي أن بلانش تتلاعب بعواطف الرجال فحسب. وهذا لا يشبه على الإطلاق البحث عن الشخص المناسب للزواج".

قلت: "أيّاً كانت دوافعها، لن تغير حالتها البعض الوقت حالياً. لا تستطيع الزواج إلا بعد انتهاء فترة الحداد، أليس كذلك؟ كم تستمر؟ يظن إدوارد أنها ثلاثة أشهر".

قالت لوسى: "لا، ستة. أقل من ذلك ستكون إهانة لوالدتها. وليس الزواج فحسب؛ فسوف تضطر هي وماري إلى

عدم المشاركة في احتفالات التتويج وبقية المناسبات أيضاً، وعمتها كذلك. وهذا لا يعني أن أوليفيا ترغب في الحضور؛ إنها تشبهك كثيراً في هذا الشأن، امرأة بيتوتية تستمتع بالعزلة في منزلها. وهذا سبب آخر لرغبتها في زيارتها اليوم: سوف تحتاج الليدي غرينجر إلى المساعدة في ترتيب أمور منزلها. وسوف تعود جثة الليدي إنجرام إلى هناك من أجل الذين يريدون تقديم تعازيهم".

قلت: "يسعدني تقديم المساعدة. أنا واثقة من أن هناك خطابات يجب كتابتها ومهام يجب إدارتها. ورغم أنه من غير المحتمل أن تسعد فتاتا إنجرام برؤيتنا، إلا أن الليدي غرينجر ستشعر بشيء مختلف".

وضعت لوسي قطعة من الخبز لراغز الذي كان يرقد متظراً تحت الطاولة. لاحظت أن مضيفتي تدلل كلبها أكثر من المعتاد في أعقاب وفاة ماغز. قالت: "سيضطرون إلى تذكر أنه منزل أوليفيا وليس منزلهم. أنا واثقة من أن لديها الكثير من الأشياء لنفعلها، ونستطيع قضاء كل الوقت الذي تريده، لأن بروس وعد باصطحاب إدوارد إلى متجر الأحذية. ذكر زوجك أن نعال حذائه قد بليت".

قلت قبل أن أخبر لوسي عن خطاب السيدة فيرفاكس: "لا أستطيع أن أوفي أخاك حقه من الشكر. هناك العديد من المهام التي عادة ما تنفذ مع خادم إدوارد. ورغم أن إدوارد يشعر بغياب

جون بالطبع، إلا أنني أعتقد أن قضاء الوقت مع أخيك ساعد
كثيراً على رفع الروح المعنوية لإدوارد".

قالت لوسي: "مصابئب قوم عند قوم فوائد. لو لم يسقط
جون المسكين عن السقف، لما استمتعت برفقتك".

قلت متحدة عن الإصلاحات في فيرندين: "يجب أن
أتحدث معك عن هذا. لقد كنت كريمة معنا عندما فتحت
منزلك لنا؛ لكنني لا أريد استغلال كرمك والبقاء طويلاً. أستطيع
أنا وإدوارد بسهولة استئجار منزل في الجوار".

قالت لوسي وهي تدق الأرض بقدمها وتذكرني بنوبات
غضب أديل: "كلا، كلا، كلا. لن تحرمي من أفضل صيف
ممتع في حياتي. في الحقيقة، إذا اقتضت الضرورة فسأغلق
الباب وأرمي المفتاح بعيداً لكي لا تغادروا. هذه أفضل هدية
يستطيع المرء تقديمها". وبعد ما قالت ذلك، ألقت ذراعيها
حول عنقي وهمست في أذني قائلة: "علاوة على ذلك، يجب
أن تكوني موجودة في لندن من أجل التتويج".

عانتها ثم ابتعدت عنها وسألتها: "هل تنتظرين أن تأتينا
دعوة؟".

قالت: "يا إلهي، لا! لكنني أريد أن أسمع كل ما سيقال حول
هذا الأمر. سيكون الأمر مشوقاً للغاية. ومن ناحية أخرى، مع
اقتراب هذا الحدث، ستكتبر الحفلات المعتادة حيث يطمع

الذين يقعون على أطراف اهتمام الملك بالحصول على مكان في قائمة ضيوفه".

أضفت: "واهتمام الليدي كونينغهام".

قالت: "آه، نعم. هل فكرت ثانية في طلب بانسي بيلتمور؟ وقبل أن تجيبي، دعني أخبرك بأنه يسعدني أن أقدمك إلى ماريا وابتها حالما تصلان من برايتون".

ذكر برايتون أثار ذكرياتي. قلت: "لا، لم أفك في طلب السيدة بيلتمور مرة ثانية. كنت مشغولة للغاية. لكن أخبريني يا لوسي، عندما كنا نتحدث إلى الملك في الأوبرا، سأليه عما إذا كان يسمح لك بإضافة شيء لطمأنة زوجك. ما الذي يعنيه هذا؟".

غرقت لوسي في مقعدها ونظرت خارج النافذة وهي تقول: "أوغي لاعب بطاقات متحمس. كان يلعب مع مجموعة من اللاعبين تجتمع بانتظام في برايتون، عندما كان لا يزال يطلق عليه برايت هلمستون. هذا قبل أن يعرف باسم (متجمع) لأن جورج الرابع الذي كان أمير ويلز آنذاك قضى الكثير من الوقت هناك".

قلت لأحثها على الكلام: "أكمل".

قالت لوسي: "كان بريني ينضم لتلك الألعاب كثيراً. وكما يمكن أن تستنتجي، لم يكن يجيد اللعب. لا يمتلك فكراً ثاقباً

ولا يستطيع قراءة وجوه اللاعبين الآخرين. ولا يتسم بالأمانة تحديداً. في الحقيقة كان متلاعاً".

"متلاعاً؟ كيف هذا؟".

ارتسمت على وجهها ابتسامة حزينة وهي تقول: "إنها كنایة لطيفة عن أنه غشاش".

فاجأني هذا -ربما يدع البعض جلالته يفوز- لكن أحزنني أن أعرف أنه انحدر إلى هذا المستوى الوضيع.

قالت لوسي: "خلاصة القول، أمسك أوغى بأمير ويلز وهو يخفي البطاقات في أكمامه. وأطلق عليه غشاشاً. والأسوأ من ذلك، أنه فعل ذلك أمام الآخرين". قبضت يدا لوسي على تنورتها بقوة وهزت رأسها فيأسى، ثم قالت: "تحدثت أنا وهو في هذا الأمر ألف مرة منذ ذلك الحين. كنت أتمنى لو كان أوغى قد نأى بنفسه عن هذا الأمر فحسب، ولم يفعل أي شيء يخرج ملوكنا المستقبلي".

غلبتها مشاعرها ولم تستطع التحدث لوهلة؛ فصبيت لها كأساً من الماء، وحششتها على تناوله وهي تحاول استعادة السيطرة على نفسها. أكملت في همس: "لكن ليست هذه طباع أوغى. إنه مخلص لكل ما هو صائب وعادل. خسر رجال آخران كل مدخلاتهما أمام جلالته في تلك العطلة الأسبوعية، وشنق أحدهما نفسه بسبب ذلك. كان قرار أوغى شجاعاً، حتى لو كانت النتائج مروعة. أعتقد أنه لم يكن ليستطيع العيش في

سلام إذا التزم الصمت؛ لذلك عبر عن رأيه صراحة، وعاقبه الملك بإرساله إلى الهند. تقريرًا إلى الأبد".

بدت الغرفة خانقة؛ ففتحت النافذة ووقفت لاستنشق هواء الربيع المنعش. لم تبرح لوسي مكانها. جلست كتمثال من الرخام بوجه شاحب. وفي أشعة الشمس الها媧ة، تلألأت الدموع على خديها.

سرعان ما وضعت ذراعي حول صديقتي وقلت: "آه يا لوسي. أنا آسفة للغاية".

قالت لتبدل قلقى: "ليس هناك داع لذلك. أحياناً يصبح قلب أوغى أكبر من عقله، وأنا محظوظة لأنني أنهل من طبيته. لكنني كنت أتمنى من كل قلبي أن يختار مساراً آخر للتصرف. ومن أجل إعادة زوجي للمنزل، أضغط على الملك في كل فرصة، كما رأيت. وأذكر نفسي بأن جلالته يستمع كثيراً إلى آراء الآخرين".

تساءلت: "الليدي كونينغهام؟".

قالت: "هذا محتمل".

قلت: "إذن يجب أن أستخدم الخطاب كوسيلة لإعادة أوغى إلى المنزل".

قالت لوسي: "كلا. بقدر ما أحبه وأريد عودته، إلا أنني لا أستطيع أن أطلب منك ذلك".

أمسكت كتفيها وقلت: "لكن يا لوسي! على الأقل ستفعل هذه الرسالة المشؤومة خيراً".

قالت لوسي: "وما الثمن يا جين؟ اتخاذ أوغى قراره منذ ثلاثة سنوات تقريباً. وكان مستعداً لتحمل عواقبه، ولا يزال كذلك. أنا لا ألوم ماريا وميني. لم تتزوج ماريا بريني إلا لأنه طعن نفسه. نعم، كان يتزف عندما أتوا بها إليه، حيث أعلن أنه مستعد للموت في سبيل حبها. وفي لحظة تعاطف، قبلت على مضض بدلاً من أن تترك وريث العرش يتتحر. أعتقد أن الاختيارات كانت قليلة أمامها؛ لكن لم يكن الأمر كذلك أمام أوغى. كان باستطاعته أن يمشي مبتعداً. وإذا سلمت الخطاب إلى الليدي كونينغهام، فربما تعرضين ماريا وميني للذلة والمهانة على الملا. ستثور الجماهير الغفيرة، التي غضبت من معاملة الملك للملكة كارولين، غضباً ضد المرأة الكاثوليكية الرومانية والملك الخائن. ثم ماذا؟ ستندلع المظاهرات في الشوارع؟ وهو الشيء نفسه الذي يكافح أوغى لإخماده في الهند".

كانت محققة، وأعجبني ذلك فيها.

لمعت الدموع في عينيها وهي تأخذ يديّ من فوق كتفيها وتضغط على أصابعي. ثم قالت: "هناك أكثر من طريقة ليقوم بها المرء بواجبه. يقوم أوغى بواجبه، ويجب أن أقوم بواجبي... دون أن يكون موجوداً بجانبي".

الفصل ٣٦

قررنا أن المشي إلى منزل الليدي غرينجر سيمنحك كلاً منا بعض الهواء المنعش الذي نحتاج إليه كثيراً. لا يبعد المنزل أكثر من ميل، وانضممنا إلى السيدات الآخريات اللاتي مشين في ثنائيات للتبااهي بفساتينهن الأنيقة. مشينا في ضواحي هايد بارك، وتجاهلنا الشباب المتألقين الذين قاموا بتحيتها.

عندما وصلنا، لاحظت أن منزل الليدي غرينجر بدأ الاستعداد للحداد. عُلق إكليل كبير للحداد على الباب الأمامي، وغطيت مطرقة الباب بشريط أسود.

عندما أجبت ستانتون على طرقات لوسي، تحدث هامسًا: "صباح الخير سيدتي". شكرًا على قدومكما لرؤيه الليدي غرينجر. أعرف أنها ستقدر هذا. تفضل بالدخول رجاءً".

أجبت لوسي بصوت خفيض: "تسعدني رؤيتك دوماً يا ستانتون. إذا سمحت لي، أين ماغز؟". كنت قد تحدثت أنا ولوسي في هذا الأمر في الطريق. واتفقنا على أن أول شيء

يجب أن نقوم به هو دفن الكلبة، لا سيما أن الليدي غرينجر تكره كثيراً فكرة التخلص منها.

قال ستانتون: "لقد لففت الكلبة المسكينة في بطانية في سقيفة الحديقة. وفكرت في أنه حالما تستعيد الليدي رباطة جأشها مرة أخرى، سنقوم بدفن ماغز في الحديقة".

قالت لوسي وهي تزيل قبعتها: "جيد جداً. شكرًا لأنك فكرت في ذلك مسبقاً".

قال ستانتون: "كما تعلمون، أعمل مع الليدي منذ سنوات. وقد أوجعها هذا كثيراً".

ابتسمت له لوسي وقالت: "أنت رجل طيب يا ستانتون".
فقال: "ستصبحك دورسي إليها".

قالت وصيفة الليدي وهي تصعد السلالم معنا: "شكراً لله أنك هنا سيدة برaitون. الليدي غرينجر تشغل نفسها، وتطلب بطاقات الحداد وترسل خطابات لتخبر أفراد العائلة البعيدين، وتأمرنا بأن نعلق الشرائط وغير ذلك؛ لكنها ليست على طبيعتها. تستمر في الانهيار والبكاء. إنها منزعجة من وفاة أخت زوجها؛ لكنها - وخفضت صوتها ثم أرددت - مفطورة القلب على كلبها. كانت تحبها حباً جمماً. جميعنا كذلك. إنها المفضلة لدينا". ووضعت دورسي يداً فوق فمهما وانحنت وهي تقول: "اعذرني يا سيدتي للتتحدث بهذه الطريقة".

فقالت لوسي: "هشش، دوري. تعرفيتي جيداً. لن أنتقدك لأنك تهتمين باللidi غرينجر". وربت على رأسها وأرددت: "كيف حال فتاتي إنجرام؟".

دخلنا غرفة الرسم للخصوصية. قالت دوري: "إنهما حزيتان على والدتهما؛ لكنهما في الحقيقة منشغلتان بالشجار بعضهما مع بعض. تارد كل منهما الأخرى مثل الكلاب والقطط. الآنسة إنجرام تلوم الآنسة ماري، والآنسة ماري بدأت تصرخ وتترد عليها بشراسة".

قالت لوسي: "جميعنا نحزن بطرق مختلفة".

فقالت دوري: "نعم يا سيدتي، نفعل ذلك".

تمتلك دوري عينين باللون البني الداكن وشعرًا بلون القمح. يا لها من تركيبة مدهشة! وصنعت غمازة عميقه في جانبي فمها أقواسًا ساحرة تبرز جمال فمها. وأستطيع أن أرى أنها طيبة وأن الخلافات بين الأختين تزعجها.

قالت دوري: "ستشعر اللidi غرينجر بالارتياح لأنك هنا. إنها تحبك كابتها. إنها في غرفتها تستريح قليلاً. أعطاها السيد ليرنر شيئاً ليساعدها على البقاء هادئة؛ لكنه جعلها في الحقيقة نعسة".

قالت لوسي: "نستطيع الذهب بمفردها من هنا يا دوري. أنا واثقة من أن لديك الكثير من الأمور لتفعليها لإعداد المنزل".

أجابت دورسي: "نعم، سيصل اللورد إنجرام، أخو السيدتين الشابتين، قريباً، ونحاول أن نجهز الغرف من أجله".

عندما دخلنا الردهة، ظهرت بلانش إنجرام في مدخل غرفتها. وقالت وقد اعتبرها الغضب عندما رأتنا: "اذهبا. غير مرحب بكم هنا!".

قال لوسي بهدوء: "تأسف على خسارتك، آنسة إنجرام".
وقلت: "وأنا أيضاً آسفة على خسارتك. أرجو أن تقبلني تعازينا الحارة".

قالت بلانش بازدراء: "اذهبا! هذا منزلي، أو سيكون كذلك قريباً".

قالت لوسي: "آنسة إنجرام، هذا المنزل خاص بعمتك، وإذا طلبت مني عمتك أن أغادر، فسوف أتمثل لطلبهما. حتى ذلك الحين، لماذا تزعجين نفسك؟ أنا واثقة من أن هناك العديد من الخطابات لكتبيها؛ لذا دعينا لا نعطيك".

قالت بلانش: "خطابات؟ نعم، هناك الكثير من الخطابات التي ساكتبها. أنا ابنة البارون إنجرام من إنجرام بارك. أنا نبيلة من النبلاء. وأنتما الاثنين لا شيء، لا تستحقان العمل خادمتين عندي. كيف تجرؤان على إظهار وجهيكما هنا؟".

لو كانت جثة الليدي إنجرام في المنزل، لأحيطتها إهانات ابنتهما من الموت. لكن، لحسن الحظ، لا يزال الحانوت يجهز الجثة.

حاولنا تجاوز بلانس إنجرام؛ لكنها وقفت أمامنا وعقدت
ذراعيها أمام صدرها لتسد طريقنا.

قالت لوسي وهي تقترب خطوتين من المرأة الصارخة:
"هديي نفسك، من فضلك. نحن هنا لنواسي الليدي غرينجر.
والآن، من فضلك، دعينا نمر".

قالت بلانس: "مواساتها؟ لا تجعليني أضحك. تبكي العمة
على كلبتها الغبية التي كانت مريضة بالفعل. رأيتها تتقيأ في
الحديقة".

ردت لوسي وهي تهز رأسها نافية: "أصيّبت الكلبة بالمرض
عندما أصررت أنت وأمك على إعطائهما اللبن؛ رغم أن عمتكم
طلبت منكم ألا تفعلا ذلك. والآن، أود أن أرى صديقتي. هي
يا جين".

قالت بلانس: "هل تعتقدين أنك تتنمّين للطبقة الراقية يا
لوسي برايتون؟ عمتي تحبك، أليس كذلك؟ لكن انتظري.
سوف يدير الجميع ظهورهم لك ولا بن زوجك غير الشرعي".
تراجعت لوسي تحت وطأة هذا الهجوم اللفظي، فوضعت
ذراعي في ذراعها تعبيراً عن تضامنها معها. عرفت بلانس
إنجرام كيف تجرح صديقتي وأنا أجاهد لكت غضبي. لقد
فقدت هذه المرأة عقلها ولا تعرف شيئاً عن آداب السلوك.

قلت: "هل أختك هنا؟". أعتقد أن الابنة الأخرى في عائلة
إنجرام ستكون أكثر رضاً عن زيارتنا.

قالت بلانش: "ماري بالأسفل في المشتل الزجاجي بين النباتات". وأشارت برأسها تعبيراً عن غضبها.

تحديث بصوت هادئ: "آنسة إنجرام، دعينا نمر رجاءً".

قالت بعبوس وفظاظة كطفلة صغيرة: "لا".

خفضت لوسي رأسها وحدقت إلى عيني بلانش إنجرام مباشرة، وقالت: "أطلب منك بطريقة مهذبة أن تتحركي رجاءً. ليس لدى مشكلة معك. الليدي غرينجر صديقتي. أريد زيارتها فحسب".

قالت بلانش إنجرام بسخط: "لن تفعلي هذا".

قالت لوسي: "آه، يا إلهي! لم أكن أريد أن أفعل ذلك. لكنك لم تتركي لي أي خيار".

لدهشتني البالغة، في تلك اللحظة اندفعت لوسي ولكمت بلانش في بطنهما فوّقعت الشابة على ركبتيها وهي تتوجع.

قالت لوسي: "سوف تتجاوزين الأمر، آنسة إنجرام. لقد أخرجت الهواء من صدرك فحسب. صدقيني، أريد أن أفعل أكثر من هذا. حقاً يا بلانش. لقد نفذ صبري. أقترح أن تزحفي إلى غرفتك، وتغلقي عليك بابك، ولا تخرجي".

الفصل ٣٧

قادت لوسي الطريق إلى غرفة الليدي غرينجر. كانت المرأة متكومة في سريرها. وفي عالم النوم واللامبالاة هذا، لا تشعر بأي قلق، وبدا وجهها المستكين أصغر بعقوله. كانت تمسك في يدها خصلتين صغيرتين من الشعر؛ لقد قص شخص مراع القليل من فرو ماغز بمثابة ذكرى. انحنت لوسي على صديقتها، ووضعت كفها برفق على جبين المرأة المسنة للتحقق من الحمى. ورداً على ذلك، تنهدت السيدة غرينجر وتمرت؛ لكنها ظلت نائمة.

كانت الغرفة فسيحة، ملونة بالأصفر والأزرق الفاتح، ومزينة بلمسات راقية من اللون الأبيض. تضمنت قطع الأثاث سريراً كبيراً وخزانة وطاولة منخفضة وكرسيين أمام المدفأة التي كانت محاطة برفوف تمتلئ بالكتب. كان شخص ما قد أشعل الفحم في المدفأة؛ فانطلقت الحرارة التي تلقيناها بالترحاب. وقع كرسي مبطن باللون الأزرق القاتم بجانب المدفأة، في انتظار أن يجلس عليه قارئ، ويوجد مسند قدم بجواره.

صعدت لوسي على السرير بجانب صديقتها وأخذت تنظر إليها.

فأخذت الكرسي العميق القريب من نار المدفأة، ووضعت قدمي على مسند القدم، وحرضت على ألا يلوث نعل حذائي سطحه المطرز. ربما صنعته السيدة غرينجر، حيث كان موضوعه كلبة تشبه ماغز المسكينة. لذلك، بعد أن جلست بارتياح، استغرقت وقتاً للاستمتاع بمحيطي. بدت الغرفة لطيفة وهادئة، باستثناء الصوت الناعم لتنفس السيدة غرينجر.

قلت: "لوسي؟ أرجو ألا تأخذني تهديدات بلاش على محمل الجد. من غير المحتمل أن تعتقد أن الناس سيتجنبونك حقاً".

قالت لوسي: "لا، لست قلقة. أعتقد أنها كانت تشرب. شمنت رائحة الشراب في أنفاسها، ألم تشميها؟".

قلت: "لا، لم أكن قريبة بما فيه الكفاية".

ضحكـت لوسي، وقالـت: "لحسن حظك! أو لحسن حظها! أستطيع تناول كوب من شراب الجن الآن".

سألـتها: "أين وكيف تعلمـت القتـال هـكذا؟".

أجـابت لوسي: "لـدي تـاريخ طـويل لأـخبرك به؛ لكن هـذا ليس الـوقـت المناسب. خـلاصـة القـول، عـندـما كـنت طـفلـة، سـرعـان ما تـعلـمت أنا وبرـوس الرـغـبة الطـبـيعـية فـي حـمـاـية الذـات. بـعـد وـفـاة

والدتنا، تعززت هذه الرغبة، عندما أدركت أنه إذا حدث أي شيء لي، فسيصبح بروس وحيداً في العالم".
سألتها: "لكن ماذا عن والدك؟".

قالت بحسرة وعبوس: "في وقت آخر يا جين، لكن بالنسبة لم تسميه قتالاً؟، ليس هذا شيئاً يُذكر. بمرور الوقت، تعلمت ما أستطيع فعله للدفاع عن النفس. ويسعني القول إنه أتيحت لي العديد من الفرص لصقل مهاراتي والتقط النصائح".

فكرت في حياتي في لوود، المدرسة الخيرية التي التحقت بها. في بعض الأحيان، تتشاجر الفتيات؛ لكن لا تدوم المشاجرات طويلاً. عادةً ما تكون النهاية خدشاً أو صفععة أو نتف الشعر. لا شيء آخر. ما نوع المشاهد التي رأتها سيدة مجتمع مثل لوسي لتعلم طريقة قتال أكثر قسوة؟ انتابني الفضول لرؤيه هذا الجانب غير المألوف لدى صديقتي. بينما كانت السيدة غرينجر نائمة، قررت متابعة الموضوع.

قلت لها: "لا أعرف شيئاً عن الدفاع عن النفس، ومن الواضح أن مثل هذه المعرفة يمكن أن تكون مفيدة. هل يمكنك إعطائي أي نصائح؟". في الحقيقة، كنت أتوقع منها أن تتردد في الإجابة؛ لكن تحمست لوسي للموضوع على الفور.

قالت: "أنا واثقة من أنك لاحظت أن الآنسة إنجرام لم تتوقع هجومي. المفاجأة أمر بالغ الأهمية، خاصة بالنسبة لنا نحن الإناث. من الأفضل أن يستهين بك الآخرون. دع

خصيمك يعتقد أنك بلا حول ولا قوة أو على الأقل في حيرة من أمرك. كانت بلانش منشغلة للغاية بإهانتها لدرجة أنها نسيت أنني قد أدفع عن نفسي. ولاحظي أنني قبل أن أضربها، لم أكشف تحركاتي. هذا أمر بالغ الأهمية في مثل هذه الحالات. إذا توترت أو أ杰فلت أو غيرت اتجاه نظراتك، فأنت تحدرين خصمك. يجب أن تظلي مسترخية وغير مهددة حتى تكون الضربة التي توجهي إليها صادمة".

هذا صحيح. لقد بدا أن لكمه لوسي جاءت من العدم.

صمتت لوسي قليلاً لتفكير ثم قالت: "وأفضل طريقة لحت شخص ما على البدء بالتحدث ونسيان كل شيء آخر هو إثارة عداوته. عندما نغضب، نصبح عمياناً وصمماً عن كل شيء حولنا. يا لها من مفارقة، أليس كذلك؟ غضبنا يشعل الموقف؛ ورغم ذلك يشتت انتباها، عندما يكون من الأفضل أن تكون متبهين".

وتابعت قائلة: "موقع الضربة مهم. ضربتها عالياً بين الضلوع. هنا بالضبط"، ولمست شكل المقلوب حيث تنفصل الأضلاع فوق محيط خصرها. ثم أردفت: "في الحقيقة، أجبرتها ضربتي على الزفير بقوة. لم يكن لديها خيار. لقد أخرجت الهواء من صدرها. طريقة فعالة جداً؛ لأن عدوك لا يستطيع مطاردتك أو الانتقام منك. ويستغرق بعض الوقت حتى يتتعافى. لحسن حظي، كانت ترتدي فستان الصباح دون مشد الصدر تحته".

سألتها: "ماذا كنت ستفعلين لو كانت بلاش قد تقدمت نحوك؟". اعتقدت للحظة أن بلاش قد تفعل ذلك بالضبط.

قالت لوسى: "يحتوي جسم الإنسان على العديد من البقع التي تخلو من الدروع الطبيعية والتي لا تحميها العظام. أي بقعة رخوة معرضة للخطر، مثل أقواس القدمين والعينين والأذنين والأنف والوجه بشكل عام. أيضاً، في أي وقت تمارس فيه ضغطاً هناك جزء من الجسم يتحرك عكس المسار الذي تحده الطبيعة، قد يسبب هذا ضرراً. على سبيل المثال، ينحني المرفقان هكذا -رفعت ذراعيها للتوضيح - وإجبارهما على الانحناء في الاتجاه الآخر يسبب ألمًا شديداً. ويمكن القول إن هذا الأمر ينطبق على الأصابع بشكل خاص. من السهل جداً ثنيها وكسرها".

أجلت... لم أرغب في التفكير في كيفية معرفة لوسى بكل هذا؛ لكنني سألتها: "ماذا لو كان المهاجم يمسك سلاحاً؟".

ظهرت الجدية على ملامحها وهي تقول: "من بين جميع الأسلحة التي قد يستخدمها المرء ضدك، تعد السكين الأكثر غدرًا. يستطيع الشخص أن يلحق الكثير من الضرر بسرعة كبيرة. السكين مميتة حتى في يد الهواة. وأفضل حل مع هذا النوع من الهجمات هو التفكير في طريقة إلقاءه. هناك دائماً أسلحة في متناول اليد إذا استفدت من خصائصها الطبيعية وعنصر المفاجأة. ذات مرة رميته دلوًّا من الرماد في وجه رجل عندما جاء ورأى سكين. وبطبيعة الحال، رفع كلتا يديه لفرك عينيه وأسقط النصل؛ فركلتنه بعيداً".

جاءحت لكي لا أظهر دهشتني. كيف يمكن أن يحدث مثل هذا الموقف؟ بالتأكيد ليس في غرفة الرسم أثناء إجراء الزيارات. ربما بينما كانت تزور أوغى في الهند؟ فتحت فمي لأسئلتها، لكن بعد أن تحمست لوسي تجاه الموضوع، أكملت محاضرتها عن الدفاع.

سألتني: "إذاً، إذا كنت سأقدم نحوك الآن، كيف يمكنك الدفاع عن نفسك؟".

قلت: "لست واثقة".

فقالت: "فكري يا جين. انظري حولك. أنت إنسانة دقيقة الملاحظة بطبيعتك. ما الشيء القريب الذي قد يتسبب في ضربة مؤلمة؟".

قلت: "مصابح الزيت؟". يقع أحدها على منضدة بجوار سرير السيدة غرينجر بجانب لوسي.

قالت لوسي: "نعم، اختيار جيد. علاوة على ذلك، إذا انكسر المصباح، فسوف يصيب الزيت والنار خصمك. ومن المؤكد أن هذا من شأنه أن يبطئه أو يبطئها. ضعي في حسبانك أيضاً أنك محاطة بالكتب. وتخيلي أنك تضررين المهاجم بكتاب على يده أو رأسه. هذا مؤلم جداً".

سألتها: "لكن ما الذي دفعك لتعلم كل هذا؟ وللتفكير بهذه الطريقة؟ ما الذي جعل هذا ضرورة لك؟".

لكن الليدي غرينجر قاطعتها عندما انقلبت وفتحت عينيها
أخيراً.

تحدثت لوسي معها بهدوء وقالت: "عزيزتي أوليفيا. أنا،
لوسي، وصديقتني السيدة روتشرستير".
سألت السيدة غرينجر: "ما غز؟".

قالت لوسي وهي تنحني لتضع قبلة على خد صديقتها:
"تعازي الحارة".

رفعت السيدة غرينجر نفسها إلى وضع الجلوس، ونظرت
حولها؛ فعانتها لوسي ثم نزلت عن السرير. وبعد أن استجمعت
الليدي غرينجر شتاب نفسها، رفعت وجهها، وقالت من خلال
الدموع: "أين ماغز؟ جس... جسدها؟".

قالت لوسي: "لدى ستانتون. لقد لفها في ملاءة".

قالت الليدي غرينجر: "حسن". بدا أنها تحاول استجماع
قوتها. ثم التفت إلى لوسي وقالت: "أخبري ستانتون أن يعد
قبراً بين أشجار البهشية، حتى يعرف الجميع أن حبي لها دائم،
وأن قلبي ينزف دمًا على فراقها. استدعني دورسي. أريد لها
أن تساعدني في ارتداء الملابس. وأحضرني كتاب الصلاة
المشتراكة من مكتبتي يا لوسي. أنت تعلمين مكانه. سأطلب
من ستانتون أن يقرأ منه. هذا ليس تجديفاً، أليس كذلك؟".

قالت لوسي وهي تشير إلى: "جين ابنة عم رجل دين".

قلت: "خلق الله الحيوانات قبل الإنسان. ومن المؤكد أنهم ثمينون في نظره؟ رغم أنني لم أتلق تدريبياً رسمياً ولا أستطيع تذكر موقف ابن عمي القديس جون حيال مثل هذه الأمور.

بدا أن السيدة غرينجر شعرت بالارتياح.

قالت لوسي دون أن يبدو على وجهها أي عداء أو سخرية: "هل أطلب من بنتي إنجرام الانضمام إلينا؟".

تنهدت الليدي غرينجر وقالت: "بالطبع لا. إنهما في حداد على والدتهما، وليس في قلوبهما مكان لماغز. وفي الحقيقة، ليست لدي رغبة في أن تفسد نواياهما السيئة هذا التأبين".

الفصل ٣٨

كانت بلاش قد تراجعت إلى غرفتها، حيث سمعتها وهي تغلق الباب بعنف، ولم تكن ماري موجودة في الجوار. أحضرت لوسي كتاب الصلاة المشتركة من مكانه المعتاد، ونزلت السالم إلى الردهة حيث يقف ستانتون ودورسي في انتظار الأوامر. وأخبرتهما بما طلبه الليدي غرينجر؛ فصعدت دورسي مسرعة لمساعدة سيدتها على ارتداء الملابس.

قال ستانتون: "لقد قمت بالترتيبات اللازمة يا سيدتي لكي نضع ماغز في مثواها الأخير. كنت قد خمنت المكان الذي ستريده الليدي غرينجر أن تدفن الكلبة فيه". وتورد وجهه وهو يردف: "تشارك أنا وسيدي في مناسبات عديدة الأفكار حول الحياة بعد الموت، وأعرف أنها تعتقد أن أشجار البهشية رمز لهذا العالم وعالم الآخرة. تجذب الأوراق اللامعة الأنطاز؛ لكنها مثل العديد من تجارب الحياة، تخفي أشواكاً قد تجرح أيضاً".

لم تمض سوى دقائق قليلة، قبل أن نسمع دورسي وهي تزدرد ريقها. وقفـت الليدي غرينجر أعلى السلالم. من الواضح أنها فعلـت الكثير لتلبـس نفسها؛ حيث لم تستغرق أي وقت تقريباً لكي تصبح جاهزة؛ ورغم أنها اختارت فستانـها بشكل عشوائي إلا أن الشـال الرقيق الذي يقعـ على كتفـيها فعلـ شيئاً ما لإخفـاء ما تشعرـ به من اضطراب.

ابتسمـت سيدة المنزل لـكبير الخـدم في إشارة لـتقديرها له، وقالـت: "شكـراً جـزيلاً يا ستـانتون لـكل ما فعلـته من أجـلي. اطمـئنـ، أعرف طـبيعة أـصدقـائي جـيدـاً. لقد أثـبـتم جـميـعاً حـبـكم ليـ من خـلال أـعـمالـكم الطـيبة".

قالـ ستـانتون باحـترامـ كبيرـ: "من دـواعـي سـرورـي أن أـخدمـك يا سـيدـتي. اـسـمـحـي ليـ بـأن أـقدمـ تعـازـيـ الحـارـةـ. كانت مـاغـزـ مـحبـوبـةـ لـلـغاـيـةـ. جـميـعنـا أحـبـيـناـ رـفـقـتهاـ. إنـ هـذـاـ أمرـ مـحـزـنـ لـلـغاـيـةـ حلـ علىـ المـنـزلـ كـلهـ".

اعـتـدـلتـ الليـديـ غـرينـجـرـ فـيـ وـقـتهاـ، وـجـذـبـتـ الشـالـ حـولـ كـتـفيـهاـ، وـقـالتـ: "أـعـتـمـدـ عـلـيـكـ أـيـضاـ فـيـ عـدـمـ تـعـرـضـنـاـ لـلـمـقـاطـعـةـ". وـبـعـدـ ما قـالـتـ ذـلـكـ، نـزـلـتـ السـلـالمـ.

حالـما نـزـلـتـ إـلـىـ الأـسـفـلـ وـالتـقـتـ نـظـرـاتـهـماـ، أـوـمـأـ إـلـيـهاـ ستـانتـونـ وـقـالـ: "تحـدـثـتـ معـيـ دـورـسـيـ، وـكـمـ تـعـلـمـينـ، أـخـذـنـاـ خـصـلـتـينـ منـ ذـيـلـ مـاغـزـ. وـقـامـتـ دـورـسـيـ بـحـيـاـكـهـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ الصـغـيرـةـ منـ أـجـلـكـ". وـأـعـطـيـ الـحـقـيـقـةـ لـلـيـديـ غـرينـجـرـ.

فتحت الليدي غرينجر قبضتها ببطء وحدقت في خصلتي الشعر. فتحت دورسي الحقيقة ووضعت الليدي عملات معدنية داخلها.

قال ستانتون: "علاوة على ذلك، جئت باللحاف المفضل لدى ماغز للففتها فيه. إلى جانب الجورب الحريري القديم الذي يخصك الذي كانت ماغز تحبه كثيراً".

بدا الارتياح على وجه الليدي غرينجر وهي تقول: "يا لك من رجل مراعٍ! شكرًا جزيلاً لك لأنك فكرت في هذا مسبقاً".

أمال ستانتون رأسه، وبدت عيناه مليئتين بالعاطفة وهو يقول: "واجبي يا سيدتي. إنه واجبي. وكما أخبرت السيدتان، حفرت قبراً في مكان منعزل بجوار الحائط الخلفي بين أشجار البهشية. كما أخبرت السيدتين، أعتقد أن هذا سيكون ملائماً لترتاح فيه روحها. إنه في خلفية الحديقة لذلك لن تتعرض ماغز لإزعاج الزائرين. تعلمن كيف كان نومها خفيفاً".

تلألأت عينا الليدي غرينجر بالدموع، وابتسمت له وهي ترتجف من الانفعال وقالت: "ماذا كنت لأفعل دونك يا ستانتون؟ دورسي هلا أخذت ذراعي؟ أشعر ببعض الدوار؟".

تبعنا الليدي غرينجر ودورسي إلى هواء الصباح المنعش.

وكما قالت لوسي، تعد حديقة الليدي غرينجر متعة للناظرين. وجعلني التنوّع في الألوان والملمس أتوق للفرشاة

والألوان المائية. كانت الأطراف البعيدة، يميناً ويساراً، درجات داكنة من الزهور الزرقاء ونبات العائق العشبي ونبات الفلوكس ونبات أذن الفأر. تمتزج هذه الألوان مع الأحمر المزرق للزهور والأحمر الفاتح لنبات الخشخاش. ويتغير هذا ببطء إلى الورود البيضاء ونبات قفاز الثعلب ونبات الجزر البري، وفي النهاية، في المنتصف، توجد حديقة عشبية دائيرية. ورغم قداسة هذه المناسبة، فإن قلبي رقص فرحاً بالمكان الذي من الواضح أنه زُرع بالكثير من الحب والذوق الرفيع. وبدلًا من التفكير في هذا اليوم الحزين، قفزت إلى تخيل تناول الشاي هنا في يوم من الأيام.

رأيت كومة حديثة من التراب تعلو حفرة منتظمة في التربة الخصبة وسط أحواض الزهور. أتى ستانتون من السقيفة مع لفافة صغيرة يحملها بين ذراعيه. وعندما وصل إلى جانب القبر، وقف قليلاً في انتظار تعليمات الليدي غرينجر؛ فخفضنا رؤوسنا وانتظرنا، بينما سحبت الليدي غرينجر اللحاف. ثم بكت بهدوء وهي تربت على ماغز للمرة الأخيرة.

قالت الليدي غرينجر: "عزيزتي ماغز. لم تنظرني أبداً نظرات غاضبة إلى أي شخص. كنت تتحمسين دائمًا لرؤيتي حتى لو غادرت الغرفة للحظات قليلة. كنت تستيقظين كل صباح يحدوك الأمل حيال اليوم الجديد. سأفتقدك من كل قلبي أيتها الصديقة المخلصة، وأدعوا الله أن تنتظريني على الجانب الآخر".

ووُضعت اللحاف على الكلبة وأوْمأت لستانتون، الذي وضع حمولته في القبر بلطف وهدوء.

أعطته لوسي كتاب الصلاة، وقد فتحته على مراسم الدفن؛ فقرأ ستانتون بصوت جهوري رسالة مناسبة عن الشكر والأمل. وفي النهاية، انضممنا إليه وقلنا: "آمين".

قالت الليدي غرينجر ل الكبير الخدم: "من فضلك، تلطف وأنت... تضعها في الفراش". ثم دارت على عقبها غير راغبة وغير مستعدة لرؤيه التراب ينهال على صديقتها. وبينما تمشي، تحدثت مع نباتاتها قائلة: "أرى أنكم تحرزون تقدماً جيداً. آه، أعتقد أن الوجبة الصغيرة من العظام كانت مفيدة لكم. أعزائي أعزائي، تريدون المزيد من الماء، أليس كذلك؟".

وتوقفت في مكان قطعت فيه السيقان حتى كادت تتساوى مع الأرض وقالت: "ستانتون؟".

أجاب ستانتون: "نعم يا سيدتي". ووضع المجرفة على الأرض وجاء إليها مسرعاً.

أشارت إلى السيقان المقطوعة وقالت: "ما هذا بحق السماء؟ شخص ما قطع قفاز الثعلب الخاص بي".

أجاب ستانتون: "أعتقد أن الآنسة ماري كانت تساعدك في البستنة يا سيدتي". قالها بطريقة توحى بأنه لا يقدر كثيراً جهود الفتاة.

قالت الليدي غرينجر: "لقد قطعتها حتى الأرض تقريباً. إذا رأيتها هنا في الخارج؛ فأخبرني بذلك. سأضع حداً لذلك على الفور".

مشينا أنا ولوسي وراءها باتجاه المنزل. كنا على وشك الوصول عندما التفتت إلى وصيفتها، وقالت: "دورسي؟ أخبرني الطاهية أن تعد الشاي، واستدعني بنتي زوجة أخي للانضمام إلينا. لقد حان الوقت لإجراء بعض التغييرات هنا".

الفصل ٣٩

عندما عدنا، كانت بلانش وماري إنجرام في غرفة الرسم في انتظار أخذ مقاساتهما من أجل ملابسهما الصباحية. ارتدت كلتا الشابتين فساتين عصرية وقبعات مزينة بالدانتيل، ملابس نموذجية للصباح في المنزل. وبدأ أن قماش المسلمين الوردي النابض بالحياة مع أغصان الورود الحمراء المزرقة الذي ترتديه بلانش لا يتناسب مع ما تمر به من حزن مؤخراً، في حين بدا الأزرق الباهت الذي ترتديه ماري كثييراً إلى حد ما. ورغم علامات التعب التي ظهرت على الفتاتين، إلا أن عيني ماري كانتا حمراوين فقط. واستمرت في مسح أنفها.

كانت الخياطة قد فكت شريط القياس الخاص بها، ووقفت الآن في ترقب. وقالت: "أي سيدة تود أن تأخذ مقاساتها أو لا؟".

لم تلتفت أي من الفتاتين لتحيتها أو للإعراب عن ملاحظتهما لدخول عمتهم. تمنت بلانش: "أعتقد أنني سأكون الأولى"، بينما ساعدت لوسي صديقتها في الجلوس على كرسي بجانب

طاولة الشاي. انتظرت حتى جلست المرأة العجوز ثم جلست على كرسي على الأطراف.

خلاصة القول، أخذت الخياطة قياسات بلانش، ثم أتى الدور على ماري. وعندما اتجهت إلى السيدة غرينجر، قالت الليدي: "ما زلت أرتدي ما كنت أرتديه عندما مات زوجي. سيكون جيداً. شكرًا لك سيدة هوتون. متى توقع أن يتتهي ذلك؟".

قالت المرأة وهي تنظر بجوع إلى صينية الشاي التي تضعها الخادمة على منضدة الشاي: "غداً يا سيدتي". من الواضح أن فتاتي إن杰رام طلبتا الشاي أثناء وجودنا في الحديقة.

قالت الليدي غرينجر: "ليليان؟ من فضلك قدمي فنجاناً من الشاي للسيدة هوتون قبل أن تغادر. وضععي كل ما تبقى من معجنات الإفطار في لفافة وأعطيها إياها. أنا واثقة من أنها والخياطات لديها سيعملن حتى وقت متأخر من الليل".

قالت الخياطة: "شكراً العطفك يا سيدتي، وأنا أتحدث نيابة عننا جميعاً عندما أعرب عن تعازي الحارة لمصابك". وبعد ذلك، سارت الخياطة وراء ليليان خارج غرفة الرسم.

أعتقد أن تلك اللفتة الصغيرة تقول الكثير عن صديقة لوسي. فعلى الرغم من خسائرها، وعلى الرغم من تشتبه انتباها، وعلى الرغم من الاختلافات الشاسعة في مكانهما الاجتماعية، إلا أن السيدة غرينجر لاحظت تعابير المرأة، وقامت بهذه اللفتة الكريمة لمساعدتها.

بدت أفعال بلانش واضحة أيضًا؛ لكن ليس بطريقة إيجابية. جددت ليليان الماء الساخن، وصبت بلانش لنفسها كوبًا من الشاي دون أن تعرض ذلك على عمتها؛ فاتسعت فتحتا أنف لوسي من السخط المكبوت. لكن بدلاً من توبيق الفتاة على سلوكها السيء، قالت: "هل لي أن أقدم لك الشاي، ليدي غرينجر؟".

ثم نفذت اقتراحها وعرضت علي المثل. رحبت كثيراً بالشاي الأسود القوي الذي رفع معنوياتي. وبدا واضحاً أن لوسي والليدي غرينجر تستمتعان بهذا المشروب.

حدقت بلانش في لوسي؛ لكنها تجاهلت وجود صديقتي. لا بد أن اللكرة التي تلقتها في بطئها صنعت بعض السحر، لأن بلانش بدت غير راغبة في مضايقة لوسي، بل بدت حريصة على الابتعاد عنها.

بعد أن وضعْت فنجان الشاي الخاص بي، تذكرت أن هناك شخصاً يضع السم بيننا، وقد تكون في خطر. أقيمت نظرة خاطفة، وأنا أسأله عما إذا كان أي شخص آخر قد تذكر هذا الحدث المحزن الذي وقع قبل يومين. كم هو متقلب العقل البشري! ما مدى سهولة تجاهل الحفاظ على الذات عندما يصبح غير مريح! لقد انكبينا جميعاً على المشروبات والمعجنات مثل حشد جائع دون أن نفكر في الأمر كثيراً.

قالت بلاش: "أنا سعيدة لأنك استعدت عافيتك، عمة أوليفيا. يجب أن يطلب شخص ما بطاقات الحداد، ويوضع إعلاناً في صحيفة التايمز. لا أستطيع أن أتحمل زيارة متعدد دفن الموتى واختيار نعش لأمي. ستفعلين ذلك من أجلي، أليس كذلك؟ وشيء آخر، عمة أوليفيا. يجب أن توظفي قابلة للجلوس مع رفات الأم، عندما تعود من متعدد دفن الموتى. هلا بحثت عن شخص يتمتع بسمعة طيبة. كانت تلك المرأة التي ترافق زيارة العم مخلوقاً مثيراً للاشمئاز. لقد فوجئت بأنك سمحتي لها بالدخول إلى منزلك. آه، وأعتقد أن ماما المسكينة يجب أن تُلف بكفن من الحرير الأسود بدلاً من الصوف، أليس كذلك؟ آه، أرجو أن تكون خير ممثل للضيافة الراقية خلال الزيارة".

وتابعت قائلة: "أتسائل عما إذا كان إيرل سيستغهام سيقوم بالزيارة. إنه أنيق إلى حد ما، وأعلم أنه مهم بي. هل يجب أن أنتظر ستة أشهر كاملة للزواج؟".

كانت هذه هي الكلمات الأولى التي خرجت من فم بلاش إنجرام. أقيمت نظرة جانبية على أختها، ماري، وشاهدت الأخت الصغرى وهي تتململ في كرسيها بازعاج. أبقت ماري نظراتها على الأرض. لم تلمس شايها، ولفت منديلها بإحكام حول أصابعها حتى تحولت إلى اللون الأبيض.

حدقت السيدة غرينجر في ماري وقالت: "هل نمت الليلة الماضية؟".

قالت ماري: "لا"، ثم أضافت بشغف: "ربما يمكنك إرسال خادم إلى السيد ليرنر".

أبقيت عيني على الشاي. ترفض الفتاة قبول كلام الرجل بأنه غير مهم بها. وتساءلت عما يجب عليه فعله أكثر من هذا ليكون مقنعاً. كيف سيستطيع تنفيذ مسئولياته في المقاطعة نفسها التي تقطن فيها عائلة إنجرام، إذا استمرت ماري في هذا الهراء؟ هناك حل واحد فقط: أن يتزوج ميريام بسرعة. من المؤكد أن هذا من شأنه أن يضع حدّاً لأوهام ماري وتخيلاتها.

قالت ماري: "ظللت أفكر في أمي"، وتهدج صوتها تحت ضغط العاطفة. استخدمت طرف منديلها لتمسح عينيها، وبدأ أنها على وشك أن تفقد رباطة جأشها بسبب الحزن. ثم قالت: "أنا أفتقد لها بالفعل".

قالت بلاش: "وأنا كذلك بالطبع. لكن يجب أن نستمر. آه، عمتي، لقد أخبرت تلك المرأة أنني بحاجة إلى عدة فساتين باللون الأرجواني والرمادي بالإضافة إلى البويمبازين الأسود. وهذا يذكرني... سأحتاج إلى قبعة جديدة أيضاً. شيء باللون الرمادي الذي يمكن تزيينه بشرائط في وقت لاحق".

قالت السيدة غرينجر بصرامة: "بلاش، ارتداء الأسود أمر تفرضه قواعد السلوك. يجب أن ترتديه، وإلا تحدث الناس عنك بالسوء. أيتها الفتاتان، أعلم أن لدى كلتيكم شيئاً يمكنكم ارتداؤه حتى تصل ملابس الحداد غداً، لأن الفساتين

التي كانت موجودة وقت وفاة والدكما لا تزال في الصناديق.
أتذكريان؟ سأطلب من دورسي إعدادها لكما، وأتوقع منكما
ارتداءها على الفور".

قالت ماري: "سأصعد مباشرة". وارتجمفت شفتها السفلية،
وانسكب ينبع من الدموع على خديها.

قالت بلانش: "أنت محقّة يا عمتي. هذا وقت الحداد.
يجب أن تتصرّف وفقاً لذلك. ويجب أن يتصرّف خدمك
كذلك أيضاً. هل تعلمين أن هناك من كان يحفر في الحديقة؟
يا له من أمر غير لائق! حقاً يا عمتي أوليفيا، يجب أن تتحدى
إلى خدمك. يجب أن تسيطرّي عليهم. لو كان هذا متزلي...".

وضعت السيدة غرينجر فنجان الشاي، وازدردت ريقها،
ثم قاطعتها قائلة: "كنت أُنوي التحدث معك عن ذلك. نظراً
للخسارة التي تحملتها كلتاكما، أعلم أن هذا التوقيت محرج؛
لكن إذا انتظرت للتحدث حول هذا الأمر، فربما تحرجين
نفسك بقول شيء يؤخذ عليك لاحقاً. خاصة أن وفاة والدتك
ستؤدي بطبيعة الحال إلى التدقّيق في مثل هذه الأمور".

وضعت بلانش كوبها جانباً وقالت: "تفضلي، ما الأمر؟
تبدين جادة جداً".

قالت الليدي غرينجر: "يتعلّق الأمر بوصيتي".

ابسمت بلانش لأن شخصاً أشعل الفتيل في مصباح
الزيت.

قالت لوسي: "أعتقد أننا يجب أن نذهب". ودفعت كرسيها للوراء، وحذوتها على الفور.

قالت الليدي غرينجر بحزن: "لا، أرجو ألا تذهب".

استمررت في جمع تنورتي، لكن أبقيتني مضيقتنا بتلویحة من يدها، وقالت: "من فضلك، سيدة روتشستر. أنت عزيزة على لوسي، لذا يمكنك سماع هذا أيضاً".

طويت يدي في حجري، وانتظرت. إن عصيان السيدة غرينجر سيبدو وقاحة، لذلك بقيت مكانى. ولاحظت أن لوسي خفضت عينيها أيضاً. بدا كأننا نحاول الاختفاء؛ رغم أنه طلب منا البقاء. توترت الأجواء، ونرحب في تجنب إثارة مشكلة أخرى مع بلانش.

بدأت السيدة غرينجر قائلة: "بلانش، ماري، بينما لا تزال زيارتكما الأخيرة حاضرة في ذهني، التقيت بالمحامي الخاص بي. أرجو أن تعلما أنني أعطيت نفسي عدة أيام من الصلاة والتفكير قبل أن أمضي قدماً في هذا الأمر. كما تعلمـان جيداً، كان والدكما، أخي، عزيزاً علي جداً. ولطالما اشتقت أنا وزوجي إلى الأطفال؛ لكن شاءت إرادة الله أنه من الأفضل ألا نزرق بهم. وعندما ولدتكم الثلاثة، كنت أتمنى أن تصبحوا أبناء لنا، وأخبرت أمكما الشيء نفسه. وطوال السينين السابقة، حاولت أن أرحب بكم هنا".

قالت بلانش: "يعلم الجميع أننا هنا لقضاء العطلات والمواسم".

قالت الليدي غرينجر: "نعم، لقد اعتدتم استخدام منزلي كأنه منزلكم. نتيجة لذلك، اعتقاد الناس أنكم سترثون كل شيء مني".

كافحت بلانش لکبح جماح نفسها؛ رغم أن شبح الابتسامة يهدد بالتلغلب على جهودها. ورغم أن عيني ماري لا تزالان حمراوين ومتختتين، إلا أن الترقب نما حولهما.

قالت الليدي غرينجر: "من الواضح أن شقيقك قد ورث بالفعل منزل عائلتكم وممتلكاتكم. لكن لم يستطع والدكما توفير المال لكل منكم، وطلب أن أهتم بكم مالياً. وأوضحت والدتكما أنها تتوقع مني أن أعطيك، يا بلانش، هذا المنزل، بصفتك الابنة الكبرى، وأن أترك لماري مهراً ودخلًا".

قالت بلانش: "أنت لطيفة للغاية، عمتي أوليفيا. صدقيني، لن أنساك أبداً، مهما طال بي العمر. بعض النظر عن التغييرات التي أجريتها، سأفكر فيك. عمتي العزيزة". وشبكت يديها أمام صدرها.

قالت السيدة غرينجر محذرة: "بلانش، أنت تستيقين بالأمور".

خفضت الشابة عينيها، وحاولت أن تبدو مهذبة وهي تقول: "بالطبع. لقد تحدثت لأنك طرحت الموضوع. بخلاف ذلك،

لم أكن لأقول أي شيء. من الواضح أننا نتحدث عن المستقبل، وبالتأكيد بعد وقت طويل من الآن. فترة، على الأقل".

قالت الليدي غرينجر: "نعم، حسناً، لهذا السبب أريد التحدث معكما. لقد تغيرت الأمور".

انتصر الجشع على الحزن في وجوه فتاتي إنجرام.

تابعت السيدة غرينجر قائلة: "لقد قررت عدم القيام بذلك؛ بل سأترك الجزء الأكبر من ثروتي وممتلكاتي لإيفانز فوريستر".

هذا كثييرٌ يَا سَمِينْ

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٠

صرخت بلانش: "عمة أوليفيا!" وضربت راحتي يديها في سطح المنضدة ما جعل الصينية تهتز. ثم أردفت: "لا يمكنك ذلك! لا يمكنك فعل ذلك."

شرعت ماري في البكاء بصوت أعلى من السابق.

قالت الليدي غرينجر: "بلانش، أنت مخطئة في هذا الشأن. أستطيع أن أفعل ما يحلو لي بمالني وممتلكاتي، بل ويحق لي أن أفعل ذلك. في الحقيقة، لقد قمت به بالفعل".

فغرت لوسي فاها وقالت: "أوليفيا؟ هل أنت واثقة؟ أقصد أن هذا فظيع وغير ضروري بالمرة".

قالت السيدة العجوز: "أعلم؛ لكنه يسعدني". وأمسكت بيدي لوسي وضغطت عليها. وتبادلـت الاشتتان نظرات المحبة، ثم أردفت الليدي غرينجر: "هل تذكرين؟ أخبرتك في الأوبرا أنني تحدثت مع كلامور، المحامي الخاص بي. في الحقيقة، لقد حزمت أمري بهذا الشأن. صليت ودعوت الله ساعات عديدة،

وأعتقد أن هذا هو الأفضل للجميع. عندما كانت سيلفانا تمشي على الأرض، قررت أن ماري لن تجد زوجاً إلا بعد أن تتزوج بلانش، وكانت تسعد برأوية انتصارات بلانش. ونتيجة لذلك، لم تمض أي من البتين قدمًا في حياتها. والآن، تغيرت الأمور، وأصبحت أكثر ثقة في أنني فعلت الأفضل للجميع".

قالت بلانش: "كيف تقولين هذا؟ لقد أفرغتنا. أو لا، تموت أمنا، ثم تخرجينا من وصيتك!".

قالت الليدي غرينجر: "ابنة أخي، أنت لم تستمعي جيداً. قلت إنني سأترك (الجزء الأكبر) من ثروتي الدنيوية لإيفانز الصغير. وسيخصص بقية المال مهراً لك ولاختك. وسوف أدعمكما لموسم إضافي واحد فقط. يجب أن تنتهي هذه التمثيلية التافهة. لقد رفضت العديد من الرجال الرائعين الذين يمتلكون المال، ولا أصدق، في أعماق قلبي، أنك فعلت ذلك لأنك تهتمين بالحب. لقد فعلت ذلك لأنك أعجبت بكونك المرأة الأكثر جاذبية، ويجب أن يتوقف هذا. الآن".

جلست الليدي غرينجر ويداها مطويتان بشكل فضفاض وهي تنظر إلى ابنة أخيها. لا يوجد أي شر في عينيها، بل الندم فقط. ثم قالت: "لطالما اعتقدت أنك تسيرين على الطريق الخاطئ. لقد عبشت بمشاعر الرجال الذين أظهروا اهتمامهم بك، لأنك تستمتعين باللعبة، مثلما تستمتعين بالصيد الجيد. وكانت أمك تدعمرك في هذا. ولو كانت قد أوقفت هذه الحماقات مبكراً، فلربما حظيتما بزواج سعيد".

قالت بلانش: "زواج سعيد؟ جلست أمي بمفردها في إنجرام بارك بينما كان أبي يبعث. ليس هذا ما أدعوه زواجاً سعيداً. ربما تعتقدين أنه كذلك؛ لكن...". وتوقفت بلانش بحكمة. لكن ليس قبل أن أفهم دوافع عدوتي: بالنسبة لها، الزواج سجن، وليس دعوة إلى حياة أكثر سعادة. وفجأة، شعرت بالأسى على بلانش. لا يسير الوقت في مصلحتها، لقد فعلت كل ما بوسعها لتهرب من مستقبل يخلو من السعادة. على الأقل هذا توقعها للسنوات القادمة. ولم يخطر على بالها مطلقاً أنها قد تكون مخطئة. لقد كانت مشغولة بالهروب من قدرها المفترض لدرجة أنها لم تجد وقتاً لتقييمه والتحقق من صحته.

قالت بلانش وهي لا تزال تصرخ: "لكن كيف تتركين أملاكك لابن غير شرعي لرجل ليس من دمك؟ لا يمكنك فعل هذا. ماذا عن أبينا؟ نحن الورثة الشرعيون لأخيك".

قالت الليدي غرينجر: "مات والدكم دون أن يهتم باسمه. ولم يترك شيئاً سوى لقبه وسند ملكية متزلكم. وإذا كنت تتذكري، أتى الجزء الأكبر من ثروتي من عائلة زوجي. وبما أن عائلة غرينجر ليسوا من أقاربك، فلا يحق لك قانوناً أن تطالبي بأي شيء من ثروتهم. وأرجو أن تتذكري أنه بداع طيبة قلبني وبسبب حبي لأخي الراحل، ساعدتكم أنتما وأمكما وأخاكما طوال سنوات. وفي مرات عديدة دفعت المال لأسدديون القمار التي جلبها أخوك على نفسه".

شهقت ماري في قطعة القماش الدمشقي التي وضعتها بجوار فمها وقالت: "أفتقد ماما...".

قالت بلانش: "آه، هشش. أفتقدتها أيضاً. لو كانت موجودة، لما جرئت العمة أوليفيا على أن تفعل ذلك". لقد تبدد كل مظهر من مظاهر التهذيب. تتحدث بلانش بكل تهور وصفاقة. أطاح إعلان عمتها بكل طموحات بلانش، ولن تخلى الفتاة عن آمالها وأحلامها. ليس بعد.

قالت الليدي غرينجر: "وهذا سبب آخر يفرض علي أن أفعل ما فعلته. لم يعد بمقدوري احتمال سلوكياتكمما أيتها الفتاتان. تتصرفان بوقاحة على الدوام. وتجاوزان حدود الأدب واللبيقة".

بدا الارتياح على وجه بلانش وهي تقول: "تجاوزت حدود الأدب واللبيقة؟ ما الذي تتحدثين عنه؟".

قالت الليدي غرينجر: "لقد أتيتما إلى منزلي وتأمران خدمي. في الحقيقة، صفت أمك دورسي أيضاً".

قالت بلانش: "لكن كانت هذه أمنا. لم أمس خدمك على الإطلاق".

قالت الليدي غرينجر: "لا؛ لكنكم تحقرانهم وتدفعانهم إلى البكاء باتهاماتكم وطلباتكم. لقد نسيتما في وقت ما أنتما وأمكما أن هذا منزلي. ويبدو أن ثلاثكن لم تدركن أن إقامتكن هنا نتيجة عطفي وكرمي. دعني أقدم مثالاً يسيراً: قطعت ماري

زهوري. دون إذني. ودون أن تخبرني. وتعرف كلتاكم كم أحب أزهاري. أترین؟ لقد جعلتمني أدرك أنني لست سوى كيس نقود بالنسبة إليكما. يجب أن يتوقف هذا. دون شكر وامتنان، لا تحصلان على أي شيء، لأن كل شيء لن يكون كافياً أبداً.

لم تدرك بنتا أخي الليدي غرينجر مغزى هذه الكلمات الحكيمة. استشاطت بلانش غضباً، وازداد وجهها احمراراً. واستمرت ماري في البكاء وتكرار القول: "أريد أمي".

تزايـد شعوري بالانزعاج، ولوسي كذلك. وحدقت صديقتي في فنجان الشاي الفارغ، بينما تدق أصابعها على ذراع كرسيها. وكـنت قد لاحظـت أن هذه العادة طريقة للتأقـلـم عندما تـشعر لوسي بالانزعاج.

تحـدثـتـ بلانـشـ كـأنـهاـ تـبـصـقـ الـكـلـمـاتـ: "هـذـاـ كـلـهـ خـطـؤـكـ يـاـ مـارـيـ.ـ كـانـ يـجـبـ أـنـ تـخـرـجيـ هـنـاكـ وـتـسـكـعـيـ،ـ أـلـيـسـ كـذـكـ؟ـ قـطـعـ الزـهـورـ وـالـعـبـثـ فـيـ المـطـبـخـ.ـ وـكـأنـكـ تـعـرـفـينـ مـاـ تـفـعـلـيـنـهـ".ـ

وـدونـ اـنـتـظـارـ أـيـ رـدـ مـنـ مـارـيـ،ـ حـوـلتـ بلـانـشـ اـنـتـبـاهـهاـ إـلـىـ السـيـدةـ غـرـينـجـرـ وـقـالتـ:ـ "عـمـتـيـ العـزـيزـةـ!ـ أـعـتـذرـ لـكـ عـمـاـ فـعـلـتـهـ أـخـتـيـ.ـ أـعـدـكـ أـنـهـ لـنـ يـحـدـثـ أـبـدـاـ مـرـةـ أـخـرىـ.ـ يـمـكـنـكـ الـاعـتمـادـ عـلـيـ.ـ سـأـرـاقـبـهاـ مـثـلـ الصـقـرـ.ـ لـكـ مـنـ فـضـلـكـ،ـ فـكـرـيـ مـلـيـاـ قـبـلـ أـنـ تـخـرـجـيـ مـنـ الـوـصـيـةـ.ـ فـيـ النـهـاـيـةـ،ـ نـحـنـ أـسـرـةـ،ـ وـالـدـمـ أـثـخـنـ مـنـ المـاءـ".ـ

قالت السيدة غرينجر: "أفعالك لا تدعم كلامك. لقد سمعت ما يكفي هذا الصباح".

أدركتُ أنه لم تظهر أي من الفتاتين أي تعاطف مع السيدة غرينجر طوال هذا اللقاء ولو لمرة واحدة. لم تفقد مضييفتنا زوجة أخيها فحسب، بل عانت من هذه المأساة في محيط منزلها، وفقدت أيضاً رفيقتها الحبيبة ماغز.

انتهزت صديقتي هذه الفرصة للخروج وقالت: "أوليفيا، هناك هدف لزيارتنا. نتساءل كيف يمكننا المساعدة. أنا واثقة من أن لديك بطاقة تحتاج إلى الكتابة. يسعدني أنا وجين أن نقوم بذلك من أجلك. ثم يمكنك التوقيع عليها وإرسالها".

قالت السيدة غرينجر وهي تنھض من جوار طاولة الشاي: "سيكون هذا مفيداً للغاية". فتركنا الأختين إنجرام وراءنا، وتبعنا أنا ولوسي مضييفتنا إلى مكتبتها. وحالما أعطتنا عينة من الرسالة التي تريد إرسالها ومجموعة من البطاقات والمغلفات ذات الأطراف السوداء، أصبحت أنا ولوسي مستعدتين للعودة إلى ٢٤ ميدان غروسفينور. عانقت صديقتي المرأة العجوز، وقدمت تعازي مرة أخرى لخسائرها.

قالت السيدة غرينجر: "شكراً لكما على قدوتكما. أعتقد الآن أنني سأعود إلى غرفتي وأستلقي قليلاً. إن هذه المحنـة برمتها متعبة بشكل لا يصدق".

كنت أنا ولوسي على وشك الخروج من الباب الأمامي،
عندما دفعت بلانش ستانتون جانبًا وسدت طريقنا.

قالت وهي توجه إصبعاً نحو لوسي: "لقد استغللت صداقتي
امرأة عجوز".

قالت لوسي: "تعلمين أن هذا ليس صحيحاً. والآن، من
فضلك، تنحي جانباً".

لابد أن ذكرى لحمة لوسي السريعة في بطن بلانش جعلتها
تفكر قليلاً. ورغم ترددها، إلا أنها ابتعدت عن طريقنا. ثم قالت:
"آها! اتضح الأمر الآن. هذا كله من عملك، أليس كذلك؟ هذه
خطتك منذ البداية، أليس كذلك؟ أنت لست سوى قاتل مجرم.
لقد قتلت أمينا، وأسأحرض على أن تشنقني جراء ذلك".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤

مشيت أنا وصديقي الهادئ للغاية على طريق العودة إلى المنزل. كان هناك مطر خفيف قد بدأ يتتساقط، وبينما نمشي، أوقف الآخرون عربات الخيول ليستقلواها ويجدوا ملجاً من المطر. لكن كان المطر ينزل خفيفاً كالضباب، ولا يهطل بشدة. وجدت الأمر مريحاً بشكل غريب، حيث غسل عنا بعض بقايا بلاش إنجرام.

عندما تأملت الأمر، لم أجد أي فكرة تصل من خلالها بلاش إلى مثل هذه النتيجة الرهيبة مثل الشنق، لأنني أعرف أنه لا توجد طريقة لربط لوسي بوفاة الليدي إنجرام. ورغم ذلك، رأيت بنفسي مقدار الضرر الذي يمكن أن تسببه المعاملة بازدراء. ما مقدار ما ستعانيه لوسي جراء اتهام جائز؟

تخيلت أنه سيحدث أذى كبير. خاصة إذا بذلت بلاش أي جهد في ذلك، وهو ما ستفعله بالتأكيد. إن شكوكها ضد لوسي جديدة، وبينما لا يستطيع شيء أن يغير التاريخ ويمحو زواجي من إدوارد، إلا أنه من المحتمل أن تستطيع بلاش إجبار

الليدي غرينجر على تغيير رأيها بشأن وصيتها. هذه الجائزة سهلة المنال وتستحق الجهد.

عندما وصلنا إلى المنزل، تعقبت لوسي راغز ثم ذهبت إلى غرفتها وهي تشعر بالصداع، وتخلت عن وجبتها وقت الظهيرة. كان نيد يقيل، لذلك تناولت غداءً سريعاً ثم تحذثت خلاله مع أديل لفترة بالفرنسية. تحدثنا عن الدمى الورقية والطقوس وقصة القديس جيرروم من *A Child's Book of Martyrs*. شدت فكرة تعرض المرأة للسلخ حياً اهتمام أديل الفطري بالدراما، فندمت على اختيار تلك القصة. ورغم ذلك، كانت فتاة جيدة وقرأت القصة كلها؛ رغم أن بعض الكلمات الإنجليزية مثلت تحدياً لمفرداتها. ثم تبع ذلك نقاش طويل، كان يمكن أن أتجنبه لو كنت قد اخترت موضوع قراءة أكثر عدالة.

وبعد أن سمحت لأديل بالمشي في خيلاء وهي تعتمر قبعتي المزينة بالريش كمكافأة على جهدها الجيد، تركتها لتلعب مع الدمى الورقية.

كان طفلاً بخير، وزوجي يتغافل - أو هكذا أتمنى - لكن صديقتي في خطر. نما بداخلي شعور بالقلق مثلما يحدث قبل عاصفة رعدية. لم يسعني إلا التوقف والنظر خارج النافذة، وأنا في طريقي إلى الطابق السفلي من غرفة الأطفال. أخفت أشجار الكستناء ثمارها وراء أوراق خماسية الشكل مقلوبة، وهي علامات أكيدة على اقتراب الطقس السيئ. لا شك في

ذلك. أشعر بالعاصفةقادمة؛ لكنني لا أستطيعرؤيتها. فانتصب
الشعر على ذراعي.

ووجدت زوجي وبروس دوغلاس جالسين في المكتبة،
متجمعين فوق صحف اليوم. سألت إدوارد بعد أن وضعت
قبلة على خده: "أنت في المنزل في وقت أبكر مما توقعت.
ما الجديد؟". تلطخت جبهته ببعض غبار الطريق؛ لذا نظرته
بسرعة بمنديلي. اتسخ كلا الرجلين بطبقة من السخام الشائع
جداً مع أي شخص يقضي وقتاً خارج المنزل في المدينة،
خاصةً عندما تتضمن الرحلة المشي في الشوارع المزدحمة
وبين أكشاك التسوق.

قال إدوارد: "طلبت زوجين جديدين من الأحذية من طراز
هيسيان مع أساور بيضاء، لأن صديقي هنا أخبرني بأنها رائجة
جداً. وستكون هي وأحذية الجديدة جاهزة الأسبوع المقبل".

قلت: "هذه أخبار جيدة؛ لكنني في الواقع كنت أسأعل عما
قاله السيد ويفرلي".

قال زوجي: "لقد كنا محظوظين. ويفرلي صديق لنا حقاً.
ورغم أن شخصاً ما سرب خبراً يفيد بأن هناك أسئلة تحيط بوفاة
الليدي إنجرام، إلا أن ويفرلي رفض تأكيد أنه فتح تحقيقاً في
جريمة قتل؛ لذلك على الأقل لن نضطر للتعامل مع الصحف.
ليس بعد".

قلت: "آه!" لقد نسيت كل شيء عن الصحف ورغبتهم المستمرة في طباعة أي شيء بذيء أو تحريضي بشكل غير مباشر. يضيف هذا بعدها جديداً ومثيراً للقلق على موت الليدي إنجرام وعلى اتهامات بلانش إنجرام وتهديداتها.

أضاف السيد دوغلاس: "أكد ويفرلي أن المرأة تعاني مشكلات قلبية منذ وقت طويل. أعتقد أن استلام نعي الليدي إنجرام أثار الاهتمام، ثم أثارت الثرثرة التي تلت ذلك شهية الصحفيين".

قلت لهما بينما كنت آخذ مكانى المعتاد على وسادة بالقرب من قدمي إدوارد: "من تحدث إلى الصحف؟ لا أصدق أن أي شخص من خدم الليدي غرينجر قد يفعل ذلك. إنهم مخلصون لها".

قال السيد دوغلاس: "أظن أن أحد رجال متعدد دفن الموتى قد حصل على أموال مقابل إبقاء عينيه مفتوحتين. هل يبدو هذا منطقياً؟".

تذكرت أن السيد ليرنر بقى مع جثة الليدي إنجرام، وأنه خلال تلك الفترة، حصل على بقايا القهوة. قد يكون المراقب الحاد قد ربط الأمور بعضها ببعض. اعتدل السيد دوغلاس في جلسته وفرك مؤخرة رقبته، وقال: "السؤال هو: إلى متى سيتمكن ويفرلي من صدهم؟ خاصة عندما يقرأ القاضي تقرير ليرنر؟".

قال إدوارد وهو يحشو غليونه بالأعشاب الطبية: "في هذه الأثناء، أخبرت ويفرلي بأنني عرضت على الشاب ليرنر وظيفة، وأنني شخصياً أثق بشخصية الرجل. ورغم أن الشرطي لا يثق باتهام ماري إنجرام كثيراً، إلا أنه يزعجه. لقد منحت ثقتي بشخصية الشاب ليرنر ويفرلي سبباً آخر لتجاهل هرائهما".

أخبرتهما عن زيارتنا لليدي غرينجر، وشاركتهما الأخبار حول تغيير وصيتها. فوجئ الرجال بكرم المرأة، وقال السيد دوغلاس: "كانت لوسي تعامل الأرملة الليدي غرينجر جيداً. تمتلك اختي موهبة رعاية الأصدقاء، مثلما يجيد بعض الأشخاص الاهتمام بحدائهم".

أنهيت روائي بالتحدث عن تهديد بلانش للوسي.

تمتم إدوارد: "تبأ!".

قال السيد دوغلاس: "يا إلهي. لن تتورع تلك المرأة عن القيام بأي شيء. لم أسمع أبداً عن شخص بمثيل هذا الجشع. ستدمّر بلانش إنجرام سمعة لوسي وتعرض حياة اختي للخطر لتضع يديها على ثروة الليدي غرينجر؟ هذا غير معقول!".

قلت: "إنها أكثر من مجرد أموال بلانش. إنها نهاية حياتها كما تعرفها". وذكرت ما قالته بلانش عن احتجاز الراحل اللورد إنجرام لوالدتها.

قال إدوارد: "لم أفك في الأمر بهذه الطريقة أبداً؛ لكن الآن بعد أن شرحت الأمر، أستطيع أن أرى سبب كون هذا مصيرًا تعيساً".

هزت كتفي وقلت: "لا تتمتع معظم الزيجات بالتوافق الذي يتمتع به زواجنا. لكن رغم ذلك، كان بإمكان الليدي إنجرام أن تأخذ الأمور على عاتقها. كان بإمكانها القيام بأعمال خيرية أو قراءة الكتب أو متابعة فنون أخرى أو زيارة الجيران. على أي حال، كل هذا من الماضي. يجب أن نتعامل مع ما يتضمننا في المستقبل، وأنا لا أعرف شيئاً يمكن أن تفعله لوسى لإنقاذ نفسها من غضب بلاش".

قال السيد دوغلاس متسائلاً: "هل من الممكن أن تكون الآنسة إنجرام قد قتلت والدتها؟ ماذا لو كانت الليدي غرينجر قد أخبرت الليدي إنجرام بأنها غير سعيدة عن دفع المال للحفلات التي لا نهاية لها؟ ثم تحدثت الليدي إنجرام مع بلاش، وأخبرتها بأنه يجب عليها أن تجد زوجاً وتتخلى عن حياتها العابثة؟".

قلت مستفيدة: "إذاً أنت تقترح أن بلاش قتلت والدتها، ولا تدرك أن الأمر بالزواج جاء من عمتها؟".

يتطلب هذا التفكير... وعندما بدأت أتأمل المشكلة، قررت أن ذلك ممكن لكنه غير مرجح. قلت: "كانت بلاش إنجرام الفتاة المدللة لدى والدتها. وكانت الليدي إنجرام تعكس مجد

ابنتها، مثلما تضخم العدسة المكببة الصورة للمشاهد. أعتقد أن الأرملة لم تكن لتقلل من حماس ابنتها لمثل هذه الحياة اللاهية. علاوة على ذلك، شربت بلانش القهوة أيضًا. لماذا تشرب مشروباً أضافت إليه السم؟".

سأل السيد دوغلاس: "إذاً من فعلها؟ أختها؟".

قلت: "كانت ماري مفطورة القلب. وبقدر الالام بالالة التي أبدتها بلانش، بدا الحزن والأسى على ماري. لا أصدق أنها ستؤذى والدتها".

سأل إدوارد: "من يتبقى إذاً؟ الخدم؟ الليدي كونينغهام؟ الليدي غرينجر؟".

قلت: "أو السيد ليزرنر. اتهمته ماري. يبدو أنها تعرفه أكثر من أي واحد منا. ربما تسرعنا في رفض مزاعمها".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٢

حول الرجال انتباهمَا نحو صحف الْيَوْمِ، فشرعَتْ في العمل بالقلم والجبر من أجل إيفانز. وهكذا مر الوقت بشكل ممتع حتى أُعلن هيجينز عن تقديم الشاي؛ فاتجهنا جميعاً إلى غرفة الطعام.

قال إدوارد: "حسناً، ستتاح لك فرصتك للتعرف على السيد ليرنر بشكل أفضل، لأنني دعوته والسيد كارتر إلى هنا لمناقشة تفاصيل عمل الطبيب الشاب".

قلت: "السيد كارتر في المدينة؟".

قال إدوارد: "أرسل رسالة هذه الظهيرة. هذه إحدى زياراته المنتظمة إلى لندن، كما أعتقد".

نقلت بولي رسالة مفادها أن رئيس لوسي لا يزال يؤلمها، وقالت: "أنا واثقة أنه بسبب تغير الطقس. إنه يتبعها كثيراً". لذلك أكملنا تمضية الوقت ثم تناولنا العشاء دونها. كان الْيَوْمِ قد أصابني بالإرهاق، وسمحت للرجلين بأخذ زمام المبادرة

من خلال مناقشة مباراة ملاكمة ستقام في هانجرفورد. ورغم أن الملاكمه المنظمة غير قانونية منذ سبعة عقود، إلا أنها لا تزال تجذب الحشود. وعندما سألت عما يقي الشرطة بعيداً، بما أن التجمع الكبير قد يكون نذيرًا بأنه سيحدث بعض الأذى؛ ضحك الرجال.

قال السيد دوغلاس: "يدفع أعضاء من طبقة النبلاء للشرطة ليبيوا بعيدين. وتقام المسابقات على أرض خاصة".

قلت متسائلة: "النبلاء يرشون القانون؟ لكن لماذا؟ من يريد أن يتجمع الهمجيون من كل مكان فوق ممتلكاتهم؟ يبدو أنهم يخاطرون مخاطرة كبيرة".

قال إدوارد: "إنها كذلك بالفعل؛ لكن المكافأة تستحق العناء".

قال السيد دوغلاس موضحاً: "يرعى العديد من اللورdas الملاكمين، ويملكونهم ويرجون لهم، مثلما يملكون حصان سباق".

قلت متعترضة: "لكتنا نتحدث عن البشر!".

قال إدوارد: "نعم، وامتلك الرجال رجالاً آخرين طوال قرون عديدة. لقد بُنيت الأهرامات بهذه الطريقة".

دققت الساعة الثامنة، عندما وصل السيد ليرنر والسيد كارتر. أمر السيد دوغلاس هيغينز بإحضار الرجلين إلى المكتبة،

حيث يمكن استخدام مكتب لوسي الكبير لتدوين الملاحظات إذا لزم الأمر. وبعد أن حيانا الزائران، عرض كبير الخدم الذي يتسم بالكفاءة دائمًا أن يحمل الحقيقة عن الطبيب الشاب. مرة أخرى، لاحظت كيف تهدد الأوراق بالخروج من الحقيقة. هذه المرة، أخبرتني لمحة عن السبب: لقد كسر المزلاج.

قال ليرنر: "لا، شكرًا"، وهو يمسك الحقيقة الجلدية وكأنها أثمن ما يملك. وقال: "أحتفظ بجميع ملاحظاتي الهامة فيها". ورغم أن طريقة لا توحى بالثقة، إلا أن هيغينز قبل كلامه ولم يقل شيئاً.

قال إدوارد: "هيغينز، هل يمكنك إحضار زجاجة براندي؟ ربما بعض الخمر لزوجتي؟".

استأذنت منهم لأطمئن على نيد وأديل أثناء استعدادهما للنوم. أراد نيد التثبت بي، عادة جديدة في الآونة الأخيرة؛ لكنني نقلته بلطف إلى ذراعي إميليا المرحبتين. تعرّت أديل في بعض الكلمات وهي تقرأ جزءاً من الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية؛ لكنني أثبتت على جهدها على أي حال ووضعتها في سريرها. ثم ذهبت لرؤيه لوسي أيضاً، ووجدتها نائمة وراغز متكوم في الفراغ بين رجليها.

في المكتبة، سكب هيغينز البراندي للرجال، وكوباً صغيراً من الخمر لي، بينما كان السيد ليرنر يشاهد إدوارد وهو يضع العشب الطبيعي في غليونه.

تذكرة مرة أخرى الليدي غرينجر وعطفها على الخياطة.
هناك درس يمكنني استيعابه بسرور؟ فقلت: "سيد كارتر وسيد
ليرنر؟ هل تناولتما الشاي؟".

قال السيد كارتر: "نعم، شكرًا لك، سيدة روتشرستير. أكلت
في حانة بالقرب من النزل الذي أقيم فيه".

لكن تباطأ ليرنر في الإجابة، ثم قال: "همم، لا. لا،
سيدي. عادة ما أكل فقط؛ لكن مرة واحدة في اليوم".

لم أضغط عليه لمعرفة السبب. ظهرت على ملابسه
علامات التآكل المفرط. وعندما عقد ساقيه، رأيت نعل حذائه
باليًا. استأذنت منهم، ونزلت إلى المطبخ وسألت الطاهية عما
إذا كانت تستطيع إعداد صينية بها مجموعة مختارة من شرائح
اللحم وبقايا اللحم البقرى والجبن والخبز الطازج.

وعندما عدت إلى المكتبة، وجدت السيد دوغلاس
يستفسر من السيد ليرنر عن طريقة في إثبات أن فنجان قهوة
الليدي إنجرام يحتوي على سم. قاطعت طرقات على الباب
أسئلته. وفي وقت قصير، عاد هيجينز مع السيد ويفرلي الذي
بدأ عليه الانفعال الشديد.

قال السيد ويفرلي وهو يجذب صديريته: "هكذا إذًا، ليرنر،
ركضت إلى هنا للاختباء. حسنًا، لدى مشكلة معك. تحاول أن
تخدعني!".

تجعد جبين السيد كارتر، وقال: "هذا الشاب لم يفعل شيئاً من هذا القبيل. لقد كنت معه طوال اليوم، ونحن هنا في موعد محدد مع المبجل روتشيسنر".

قال إدوارد: "سيد ويفرلي؟ هل تسمح لي بأن أقدمك إلى طبيبي وصديقي القديم، السيد كارتر؟ كارتر، هذا الرجل من شرطة بوستريت وهو شخص ندرة كثيرة".

أذهلت مجاملة زوجي السيد ويفرلي، لأنه من الصعب للغاية على المرأة أن يستمر في الشعور بالغضب عندما يمدحه الآخرون.

دخلت سادي بالصينية، فشاهدت عيون السيد ويفرلي تتبع الطعام، كما شاهدته الخادمة كذلك؛ فتركـت الطعام وهـمـست لـي: "سـأـحضرـ المـزـيدـ فـيـ الـحـالـ".

قال إدوارد: "تفضل بالجلوس، سيد ويفرلي، تستطيع اتهاماتك أن تنتظر لحظة. تفضل الطعام".

سأل السيد دوغلاس، وهو يقدم كأساً للضابط: "براندي؟". فقام السيد كارتر بتمرير الزجاجة إلى شقيق لوسي.

بدا السيد ويفرلي مرتبكاً وهو يحدق في المشروب؛ فقال: "أنا، آه...". وفي النهاية، أجاب: "لا، شكرراً لك، لكنني سأكون ممتنّاً لو تناولـتـ منـ ذـاكـ الـوـيـسـكـيـ الذيـ تـناـولـنـاـ اللـيـلةـ الأخرىـ".

قال السيد دوغلاس: "بالطبع". ورن الجرس ليستدعي هيفييتز، فطلب إحضار الزجاجة التي أتى بها من القبو، ثم أردف: "والآن، كنتَ في وسط وصف السيد ليرنر والسيد روتسيستر بأنهما (شخصان نادران). على ما أعتقد. هل تريد المتابعة من حيث توقفت؟".

في النهاية، ارتمى السيد ويفرلي على كرسي، واستقرت نظارته بشكل معوج على وجهه، وبدا حذاؤه المصقول دائمًا باليًا وباهثًا. قال السيد ويفرلي: "في جميع زياراتكما لي، لم يذكر أي منكما هذه المجموعة التي ينتمي إليها السيد ليرنر. غاب ذلك عن عقلكما تماماً، أليس كذلك؟ ثم دخلت الآنسة ماري إنجرام مكتب المأمور. يبدو أنها لم تكن راضية عن ردنا على زيارتها الأخيرة، لأنني لم ألق القبض على الطبيب؛ لذلك واصلت إعادة صياغة اتهاماتها بشأن السيد ليرنر وشخصيته، وقالت كيف سمع والدتها؛ ففاجأني ذلك وأصابني بالضيق. انتقدني مشرفي، وصفعني على وجهي. حسناً، لفظياً على الأقل".

قلت لنفسي: "بالطبع، إنها تندفع بقوة. الآن، تلوم بلانش ماري على خسارة ثروتها! وفي ظل غياب أمهما، أصبحت ماري الطرف الذي يتلقى غضب بلانش كله".

بدا إدوارد مستمتعًا وهو يقول: "هل تقصد أنك لم تدرك أن السيد ليرنر يهودي؟".

لكن نظرة سريعة على السيد ليرنر أكدت أنه لا يضحك. لا، كان مروعًا. كان الدم يختفي من وجهه بيضاء. وبينما كنت أشاهده، نظر إلى السيد كارتر، وأصاباب الشحوب الطبيب الأكبر سنًا أيضًا. أعتقد أن هذا رد فعل غريب بالفعل.

قال السيد ويفرلي: "أنت تعرف جيدًا ما أتحدث عنه، سيد روتشيسنر. لقد وضعتني بين المطرقة والسدان، ولا يعجبني ذلك. لقد وثقتُ بك عندما ضمنت شخصية هذا الرجل. والآن أوضحت الآنسة ماري أنها لن تتردد في تصعيد هذا الأمر إلى الأسقف. لن تتردد مطلقاً. إنها مستعدة تماماً لمواصلة التحدث إلى أي شخص قد يستمع إليها".

قال السيد دوغلاس: "الأسقف؟". وانحنى إلى الأمام في كرسيه، بحيث أصبح مرفاقه على ركبتيه. ثم أردف: "لأن روتشيسنر وظف يهودياً، تعتقد أن الأسقف سيتدخل؟ أليس لديه أشياء أفضل ليقوم بها، مثل حفظ خطبته في التتويج؟".

مرة أخرى، نظرت بسرعة إلى الطبيبين. لمع العرق على جيابهما. جلس السيد ليرنر وكتفاه متذليلان ورأسه منحنٍ، بينما يتجرع معلمته محتويات كأسه.

قال السيد كارتر: "أخبره يا ليرنر".

علام كل هذا بحق السماء؟

قال ليرنر: "هذا صحيح. لا أعرف كيف اكتشفت أمري؛ لكن هذا صحيح. أنا Lunartick".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٣

قال إدوارد: "أتقول Lunatic (لوناتيك يعني مجنونًا)؟".
وشعرت بأنه مرتبك.

قال السيد ليرنر: "أنا عضو في مجتمع علمي يسمى Lunar Society (لونار سوسايتี้ أي المجتمع القمري) يتقي مرة في الشهر عندما يصبح القمر بدراً، ومن هنا أتى الاسم من الكلمة اللاتينية (luna) (القمر). لقد أصبح توقيت الاجتماعات مهمًا لأن الأعضاء الأوائل كانوا يتلقون في بيرمينغهام، وفي الطريق إلى الاجتماعات هاجمهم قطاع الطرق وسرقوا حقائبهم. وعند السفر في ضوء البدر تقل احتمالات حدوث مثل هذه المصائب".

قال السيد ويفرلي متأنلاً: "إجراء احترازي؛ لكن رغم ذلك...".

قال إدوارد وهو يحك فكه متأنلاً بينما يحاول أن يفهم هذا الأمر: "وأبقيت هذا سرًّا لأن أعضاء الجمعية يخشون التعرض للسرقة؟".

تنهد السيد ليرنر وقال: "لا، سيد روتشيسنر. الأمر أكثر تعقيداً من هذا".

ثم أردف: "بدأ لونار سوسايتى فى عام ١٧٦٥ عندما التقت مجموعة من الأفراد ذوى العقليات المتشابهة لمناقشة الأفكار. وعلى مر السنين، ازداد عدد الأعضاء. في بعض المناسبات، يتقلص العدد عندما تحدث النزاعات ويختلف الأعضاء حول المبادئ أو الأساليب الأساسية. لكن لطالما قدمت الاجتماعات المكان والزمان لرجال العلم لتقديم أفكارهم ومناقشتها والدفاع عنها".

قلت متسائلة: "لماذا يود الأعضاء إخفاء هذا؟". التفت السيد كارتري إلى بدھشة وحدق في.

أجاب السيد ليرنر: "هناك في كنيسة إنجلترا من يعتقدون أن العلم تجذيف. يرون العلم محاولة خاطئة لإثارة الشكوك حول الأمور التي يجب قبولها والإيمان بها. في الماضي، هدد رجال الدين المسيحي بالإمساك بأعضاء جمعية لونارتيك وحرقهم أحياءً بتهمة الزندقة. ومن باب الحيطة، تقرر أن نواصل مناقشاتنا في سرية. للأسف، يرى البعض أن أي محاولة لفهم أسرار الكون إهانة لخالقنا. وبدلًا من الاعتماد على التقدم العلمي، يرون أن كل مشكلات الإنسان يمكن حلها بالصلوة".

قال زوجي: "نظراً إلى مستوى المخاطرة الذي تصفه، لا بد أنك تقدر هذه المجموعة تقديرًا عالياً، وبخلاف ذلك، قد يكون من الأفضل عدم الانتماء إليها".

قال ليرنر: "أنا أقدرها بالفعل. ولهذا السبب وافقت على العمل بمثابة سكريتير التسجيل. لقد تعلمت الكثير، والأهم من ذلك، كيف أفكر بشكل نقيدي حتى أتمكن من اتخاذ قرارات جيدة. نحن الأعضاء نسعى إلى تعزيز معرفتنا من خلال مشاركة ما نتعلم في مجالات تخصصنا. على سبيل المثال، يعمل أحدها على طريقة لالتقاط الضوء على الورق لعمل صورة دائمة. ويعمل عضوان معًا لجعل المحركات التي تعمل بالبخار أكثر كفاءة".

قال إدوارد متأملاً: "لكن لماذا تثير هذه التطورات الهندسية اهتمام طبيب مثلك؟". أستطيع أن أرى أن هذا استحوذ على خيال زوجي؛ لكن نظراً لأنه رجل عملى للغاية، فإنه يتساءل أيضاً عن الفوائد المحققة.

قال ليرنر: "آه، هناك العديد من التطبيقات! يشارك آخرون أيضاً في مجال الصحة، ومنذ ذلك الحين قام أحد زملائنا بفهرسة العديد من النباتات المفيدة ذات الخصائص العلاجية. ويعمل آخر على آلة يمكنها زيادة التكبير مئات المرات. لقد افترض أن الكائنات الدقيقة تغزو الجروح المفتوحة وتسبب المرض". تزداد سرعة تحدث السيد ليرنر شيئاً فشيئاً حيث يزداد حماساً بشأن هذه الأفكار. ويبدو أن حيويته معدية.

سألت: "هل تعلمت عن فاعلية ثمر الورد من أصدقائك في هذه الجمعية؟".

أجاب السيد ليرنر: "لا، تعلمته من الآنسة غولدشتاين. كان والدها طبيباً أيضاً، وشاركتها الكثير من معرفته التي اكتسبها بعد جهد جهيد. إنها استثنائية. تتحدث سبع لغات: الإنجليزية بالطبع، إلى جانب العبرية واليونانية واللاتينية والإيطالية والفرنسية والألمانية. وسوف أستخدم معرفتها في علم النبات والرياضيات والشفاء مع المستأجرين لديك".

قال السيد ويفرلي وصوته يرتجف من الغضب: "ل لكنك لم تخبرني بكل هذا. ونتيجة لذلك، لم أستطع الدفاع عنك بشكل صحيح. ناشدت الآنسة ماري المأمورية لكي نحبسك. واقترحت أن دينك دفعك إلى الرغبة في إيهاد المسيحيين الصالحين".

قال السيد كارتر: "هراء. إنها تعرف الحقيقة".

قلت: "هل هذا سبب وجودك هنا، سيد ويفرلي؟ لاعتقال السيد ليرنر؟". أسعدني ولاء السيد كارتر؛ لكنني ما زلت قلقة بشأن سبب زيارة السيد ويفرلي.

قال السيد ويفرلي: "لو كنت أخطط لاعتقال السيد ليرنر، لما ضيعت الوقت في التحدث. لا، لقد جئت لأقنع نفسي بأنني لم أخدع. لا أحب أن ألعب دور الأحمق!".

ووجدت نفسي دهشة من مثابرة ماري إنجرام وجرأتها. في وقت سابق من هذا الصباح، شعرت بالأسف تجاهها، وأنا

أعتقد أنها تبدو بائسة. ولم أتخيل أبداً أنها تستطيع أن تجمع
شatas نفسها وتزور مقر الشرطة في بوستريت.

لا بد أنها أوقفت عربة خيول، مثلما هددت بفعله عندما
كانت في هايد بارك مع السيد ليرنر، وذهبت إلى شرطة بو
ستريت بمفردها. لم يردعها حزنها، فقد استجمعت قوتها
للسکوى ممن تعدد خطيبها الضال. ومن أجل ماذا؟ هل
اعتقدت حقاً أنها تستطيع تغيير رأيه؟

لا، لقد أرادت معاقبته.

أصابتني الدهشة والحزن لأن هذه الشابة تبغي الانتقام،
وتريد أن ترد الصاع صاعين، وتوذى الرجل الذي أعلنت حبها
له لمجرد أنه لم يحبها في المقابل. كيف بحق السماء وصلت
ابنتا السيدة إنجرام إلى اعتقاد أن المصلحة الذاتية يجب أن
تصدر جميع الاهتمامات الأخرى؟

هز السيد كارتر رأسه بيطء وقال: "أعتقد أنني أستطيع منع
الأنسة ماري من نقل مخاوفها إلى الأسقف".

حدقنا فيه جميعاً بترقب. في النهاية، قال السيد دوغلاس:
"هل لديك اقتراح لمواجهة اتهامات الأنسة إنجرام؟".

أجاب السيد كارتر: "ليس اقتراحاً، بل فكرة ملهمة. أنا أيضاً
عضو في جمعية لونار سوسايتี้. وإذا أصرت ماري إنجرام
على اضطهادنا، فستكون المقاطعة بأكملها دون طبيب".

رفع كل من السيد دوغلاس وزوجي حواجبه من هذا الاعتراف. وهز ويفرلي رأسه ونفخ بهدوء، وكأنه يقول: "تدمير المزيد من الأرواح".

ورغم ذلك، أدركت الشجاعة التي احتاجها السيد كارتر للاعتراف بذلك، والمرونة التي أظهرها السيد ليرنر في عدم خيانة صديقه. ولكن قبل أن أنهى أيّاً منها، قال زوجي: "وهل تعتقد أن هذا سيئتها؟ لأنه حتى الآن لم تثبت ماري ولا اختها أنهما تستمعان إلى العقل".

قال السيد كارتر: "نعم. أعلم أن اعترافي سيفعل ذلك. كما ترى، يبقى اللورد إنجرام في المنزل لأسباب عديدة، أحدها أنه ينزف الدماء بسهولة من أقل ضربة أو إصابة. إنها حالة مؤلمة وخطيرة للغاية. ولذلك، يستدعونني إلى إنجرام بارك بشكل متكرر لرعايته. فعلت ذلك طوال سنوات. سأغادر هنا مباشرة وأخبر الآنسة ماري أنها إذا استمرت في هذه الحماقة، فلن يكون هناك أحد لمساعدة شقيقها الحبيب عندما يعاني. والآن، بما أن لدى زيارة أخرى يجب أن أقوم بها الليلة، فهل نناقش تفاصيل توظيف السيد ليرنر؟".

الفصل ٤

كان اليوم التالي يوم أحد، لذا نمنا جميعاً، باستثناء الخدم، حتى وقت متأخر. وبعد الاطمئنان على الطفلين، ذهبت إلى الطابق السفلي لتناول الإفطار حيث وجدت مضيفتي تنظر في رسالة.

ذهبت إلى جوارها وقلت: "لوسي؟".

فتنهدت وبدأت تمزق الخطاب قطعاً صغيرة وقالت: "أحضر طفل من الشارع هذا. من بلاش إنجرام". سألتها: "ماذا يقول الخطاب؟".

قالت لوسي: "تقترح أن أتحدث مع صديقتي الليدي غرينجر، وأقنعها بأن تصلاح هذا الخطأ المريع في وصيتها". ثم ذهبت إلى المدفأة ورمي التوقيع في النار.

قدرت الشاي المتبقى في القدر وقلت: "هل هذا كل شيء؟".

جلست لوسي على رأس المائدة وأجابت: "لا. هل تريدين الزبد؟ يا إلهي! تبدو رائحة هذا الكعك رائعة. ولا تزال مقرمشات الزنجبيل المحلاة ساخنة".

قلت: " بينما أشار لك رغبتك في التمتع بصباح سار، إلا أنه ليس من الجيد أن تبقى الأمر سراً. أعتقد أنني لا أستطيع تجاهل عواقب أي تهديدات تطلقها الآنسة إنجرام".

وضعت لوسي علبة الشاي جانبًا، ولم تنظر إلي، عندما قالت: "أنت ذكية للغاية، ولا يمكن خداعك، وقوية بما يجعلني غير مضطرة إلى حمايتك. لم تتحدث بلا نش إنجرام بشكل محدد. لقد أنهت خطابها بجملة غامضة (ستأسفين)".

قلت: "يا له من ابتذال!".

قالت لوسي وإصبعها الإبهام يلمس الحافة الذهبية في صحن الشاي: "إن حاشية الرسالة هي التي جعلتنيأشعر... بالقلق. حيث ذكرت أنه إذا لم أرغب، أو لم أستطع، إقناع الليدي غرينجر بتغيير وصيتها، فسوف تهطل المصائب فوق رؤوس كل من أعرفهم أو أحبهم". ورفعت منديل المائدة وجففت دمعة، ثم أردفت: "آه يا جين. يجب أن يكون هذا أسعد وقت في حياتي. إنني أتطلع إلى وصول إيفانز. لماذا يجب أن يحدث هذا الآن؟".

قلت بعقلانية: "لأن كارثة ألمت بعائلة إنجرام. لقد خسروا ماضيهم ومستقبلهم في الوقت نفسه. لا تستطيع أي

منهما الذهاب إلى أمها طلباً للمواساة، ولا تستطيع أي منهما الذهاب إلى حفلات التتويج، ولا تستطيع أي منهما الاعتماد على مهر مغِّر. وتبعداً لذلك، يجب أن يكون هناك شخص ما تهاجمانه. لم يخطر على بالهما، ولن يخطر مطلقاً، أن تتقبلان ما حل بهما، وتسعياً وراء تحسين موقفهما. لم تحصل الاثنتان على أي إرشادات في فن المرونة. لذلك، سوف تستمران في توجيه الضربات بشكل أعمى حتى...".

سألت لوسى: "حتى ماذا؟"، وقد تحولت عيناها الزرقاوان الجميلتان إلى الأزرق الداكن وراء الدموع.

قلت: "حتى تشعرا بالرضا أو تحطما نفسيهما".

دفعنا ظهور إدوارد إلى تغيير الموضوع. وعن طريق اتفاق خفي، لم أذكر أنا أو لوسى آخر حلقة في صراعنا المستمر مع الأخرين إنجرام.

قال إدوارد، عندما انضم إلينا هو وشقيق لوسى: "غامرت أنا والسيد دوغلاس بالخروج وإحضار صحف اليوم. يا له من يوم مجيد! نسيم الربيع رائع".
كان حماسه معدياً.

قالت لوسى: "هيا بنا نتنزه بعربة الخيول في هايد بارك. جمعينا والطفلان أيضاً. سوف أخبر الطاهية بأن تعدد سلة النزهة. كل الطبقة الراقية ستخرج اليوم لأنه من المؤكد أحد

الأيام الجيدة قبل أن يبدأ الطقس الحار". أخبرتني لوسي جانبياً أنه حالماً يصبح الطقس حاراً، سينضطر إلى البقاء داخل المنزل لتجنب رائحة بول الخيول ونفاثاتها وفضلات البشر والقمامة. وعندما تخيلت كل هذا، وجدت نفسي تشتاق إلى فيرندين مرة أخرى، والرائحة الجميلة المنعشة لنبات العسلة البري.

عندما سمعت أديل خططنا، أخذت تقفز فرحاً وقالت بالفرنسية: "وأنا أيضاً؟ من فضلكم؟ أنا أحب التزهه".

ضحك لوسي وقالت: "وأنت أيضاً. أيتها العزيزة الصغيرة!".

بعد وقت قصير، اختارت لي بولي فستاناً أخضر مزخرفاً من قماش المسلمين مع سترة خضراء مناسبة. ومن مجموعة لوسي الضخمة من القبعات، وجدت وصيفة لوسي قبعة باللون الأخضر واللون الكريمي تناسب الملابس بشكل رائع. عقدت أديل العزم على أن تحدو حذوي، وتملقت إميليا لتدعها ترتدي أجمل فستان لديها. أدرك نيد أن شيئاً رائعاً على وشك أن يحدث؛ لكنه لم يستطع أن يحدد ماهيته؛ لذلك تبعت عيناه الداكتان كل خطوة حتى أصبح في النهاية داخل العربية أيضاً.

أعتقد أن الخروج سيفيدنا جميعاً؛ فلم أستطع أن أتصور كيف نستطيع أن نتجنب الكارثة التي تهددنا بها بلا تش إنجرام. فتساءلت في نفسي عما إذا كانت لوسي تفكر في أن تطلب من

اللidi غرينجر تعديل وصيتها؛ لكن يجب أن يتظر سؤالي إلى وقت لاحق.

كانت لوسي محقّة: هايد بارك شعلة نشاط متقدّة. عربات خيول من جميع الأشكال والألوان والأحجام تسير في موكب في طريق روتن رو، وتتبخر بعضها أمام بعض. رأيت عربات من مختلف الأنواع. وبسبب اعتدال الطقس، طوت العديد من العربات أسفافها بأناقة، وفي النهاية استجابت لوسي لطلب أديل بطيّ سقفنا أيضًا.

كان قد هطل مطر خفيف في الليلة السابقة، فبدا الهواء نقىًّا في معظم الأوقات. بالطبع، نظر إلينا المتوجلون الآخرون في الحديقة، ونظرنا إليهم بدورنا؛ لكن هذا جزء من الأمر. استمرت أديل في التعليق والحكم على ملابس جميع السيدات اللاتي نمر بهن. لا تزال معرفتها بالموضة غير مكتملة؛ لذلك قدمت لها لوسي إرشاداتها بسرور.

قابلنا طوال الطريق العديد من الأشخاص الذين عرفتهم لوسي، بالإضافة إلى أحد النبلاء الذين يشترون في النادي نفسه الذي يذهب إليه السيد دوغلاس. خرجنا من العربية، ووجدنا بقعة هادئة تحت شجرة بالقرب من بحيرة سيربيتين، وانتظرنا بينما يفرد ويليامز ملاءة لنجلس عليها. وزعت أنا ولوسي شرائح اللحم وجبن ستيلتون فوق شرائح الخبز المدهونة بالزبد. كانت الطاهية قد لفت هذه الأشياء في ورق

زيتي، ووضعت خياراً مخللاً وبيضاً. وفتح السيد دوغلاس لنا زجاجة من النبيذ.

تحدث لوسي بصوت حالم قائلة: "سوف أفقد كل هذا".
سألتها: "ماذا تعنين؟".

أجبت لوسي: "إذا نجحت بلاش في تشويف سمعتي، فسوف أخرج من لندن. لن يتحدث معي أي شخص موقر". وأضافت بابتسامة شجاعة: "كنت أعتقد أنني سأقدم الكثير لإيفانز هنا؛ لكن بدلاً من ذلك سأضطر أنا وهو للهرب. أليس هذا مثيراً للسخرية؟ والأسوأ من ذلك، ليس هناك ما أستطيع فعله حيال هذا".

قال أخوها بحدة: "لوسي! أنت لا تعرفين هذا. أنت تفترضين حدوث المشكلات. ربما تعيد بلاش التفكير في الأمر، أو ربما تطلق اتهاماتها الضاربة ولا يصدقها أحد. علاوة على ذلك، ماذا لو لم تدعوك الطبقة الراقية إلى حفلات الشاي؟ أنت أفضل منهم جميعاً".

ضحك لوسي وقالت: "من السهل عليك أن تقول هذا. ربما يتغاضى الناس عن السلوك السيئ في الرجال؛ لكنه أمر مهلك في النساء".

قلت: "إذا، تعالى معنا إلى فيرندين. سوف يبني إدوارد جناحاً خاصاً بك في ثورنفيلد هول. أليس كذلك؟".

قال إدوارد: "بالطبع سأفعل ذلك. لوسي، أنت تستسلمين بسهولة شديدة".

تنهدت لوسي وقالت: "لا، لا أفعل ذلك. أنا أخطط للمستقبل. لقد فكرت أيضاً في أنه من المحتمل أن نعيش مع أوغى في الهند. بهذه الطريقة سيكبر إيفانز مع والده".

بالطبع تبدو هذه الفكرة وجيهة. لكن قبل أن أقدم المزيد من الأفكار، أتت امرأة مسرعة على التل وهي تقول: "مرحباً! لوسي برايتون؟ أهذه أنت؟".

كانت الوافدة الجديدة بمثيل طول إدوارد، وبنيتها قوية مثل الرجال؛ لكن عندما اقتربت، رأيت واحدة من أجمل الكونتيسات اللاتي رأيتهن في حياتي، بشعر مموج.

قالت لوسي: "ماريا؟ أهذه أنت؟". فوقفت لتحية صديقتها، وتعانقت الاثنان.

ومن التل نفسه، أتت امرأة ثانية، نسخة أصغر سنًا من الأولى. وعندما ارتفعت تنورتها، كان من المستحيل تجاهل أرجلها الجميلة.

قالت لوسي: "ميني؟ لقد كبرت!". وتركت المرأة الكبرى وعانت الصغرى. ثم أردفت: "تعالياً! يجب أن أقدمكمما إلى أصدقائي".

التفتْ صديقتي إلى وقالت: "اسمحوا لي بأن أقدم لكم ماريا فيتزهيربرت وابتها، ماري جورجيانا إيمما سيمور".

قال المرأة الصغرى: "ادعوني ميني".

قلت لنفسي: "إذا، هذه الزوجة الحقيقية للملك وابنته التي يحبها كثيراً".

تعارفنا جميعاً، ولبعض الوقت لم يكن هناك حديث إلا عن الطقس والحدائق وبالطبع مواهب أديل لأنها أصرت على غناء ترنيمة "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون" التي علمها لها إدوارد مؤخراً. فأبديت كلتا المرأةتين إعجابها بنيد وطلبتا حمله بالتناوب. ثم سألت ماريا لوسي عن إيفانز وقالت ميني إن أمها قامت بحياة لحاف رائعاً للطفل.

وعندما أتى وقت الوداع، كنت مفتونة تماماً. لقد أثبتت كل من ماريا وميني أنهما سيدتان حقيقيتان دون تصنع أو تكلف، علاوة على أنهما قدمتا رفقة جيدة. ثم أدركت سبب وقوع جورج الرابع في حب السيدة فيتزهيربرت وسبب اهتمامه بحماية كلتا المرأةتين.

علاوة على ذلك، استطعت فهم سبب رفض لوسي عرضي بتقديم الخطاب إلى الليدي كونينغهام. سوف تتحمل هاتان المرأةتان الساحرتان أي عواقب تتبع ذلك؛ وهما تستحقان الأفضل. وبينما أشاهد السيدة فيتزهيربرت تبتسم لابتها، أقسمت لنفسي أن أفعالي لن تؤذي أياً منها.

ولقد أثبتت الأيام التالية أن هذا قسم يصعب الوفاء به.

الفصل ٤٥

في وقت لاحق من ذلك المساء في منزل لوسي، أملأى إدوارد عليّ خطابين، واحداً إلى الليدي فيرفاكس في فيرندين يستفسر فيه عن صحة جون، والأخر إلى أوغي يخبره فيه بتهديد بلانش.

قال إدوارد عن الخطاب وأنا أوجه يده نحو الموضع الذي سيوضع فيه توقيعه: "أعتقد أن هذا سيجعله يشعر بالمزيد من العجز. لكنني لو كنت مكانه، لرغبت في معرفة ما تواجهه زوجتي".

وافقته في الرأي قائلة: "هل تعتقد أنها ستذهب إلى الهند حقاً؟ هل سيكون الأمر مؤسفاً لهذه الدرجة؟".

فكر إدوارد في السؤال بعناية، ثم قال: "لا أعرف. لا أستطيع الإجابة عن هذا. لم أزر ذلك البلد".

استلقينا على السرير، واستكنت بين ذراعي زوجي. تبدو فكرة الفصل الإجباري غير إنسانية بالمرة؛ فأخبرته بذلك.

فقال إدوارد: "هذا من صلاحيات الملك، أن يحركنا في كل مكان مثل قطع الشطرنج".

قلت: "لكننا لسنا ممتلكاته. لدينا إرادتنا الخاصة وأحلامنا ورغباتنا".

قال إدوارد وهو يقبلني: "طالما توجد لدى الناس عقول، فإنهم سيرغبون في تحديد مصايرهم. مثلما يريدون حرية الزواج بمن يختارونه. هذا يا عزيزتي، حق لا يتمتع به ملوكنا، وليس معظم مواطنيه".

بعد أن نام إدوارد، خرجمت من السرير، وجلست أنظر خارج النافذة إلى الأضواء المتلائمة للشمع والمشاعل في جميع أنحاء مدينة لندن. تخيلت أن كل ضوء يمثل روحًا واحدة. كيف تعطي حادثة الولادة رجلاً واحداً القدرة على اتخاذ مثل هذه القرارات المهمة لنا جميعاً؟

في صباح اليوم التالي، بينما كان نيد لا يزال نائماً، وأديل تناول العصيدة مع إميليا، تناولت أنا وإدوارد الإفطار، عندما أعلن هيغينز عن وصول السيد ويفري.

رفع إدوارد حاجباً في وجهي متسائلًا عن سبب انضمام الرجل إلينا مرة أخرى؛ فتمنت: "لا أعرف".

قلت: "إذا كنت تبحث عن الليدي برايتون، فهي لم تستيقظ بعد. لقد اعتدت زيارتنا بشكل منتظم. أصبحنا محطة توقف

متكررة في جولاتك اليومية. أخبرنا، ماذا فعلنا الآن لنجذب
 بهذا الاهتمام؟".

قال السيد ويفرلي: "هل تسمحون لي بفنجان من الشاي؟".
بدا أحد جانبي صديريته أعلى من الآخر نتيجة إغلاق الأزرار
بشكل خاطئ. وعلا الغبار طيات سترته، وبدا ذقنه بحاجة إلى
حلقة. لقد تركت الأيام الماضية أثراً لها على السيد ويفرلي.

قلت وأنا أصب له فنجاناً من الشاي: "بالطبع. تفضل شرائح
اللحم والبيض. أنا واثقة من أن الليدي برايتون تحب ذلك".

قال إدوارد: "بالطبع".

أكلنا في صمت وترقب. وعندما أنهى السيد ويفرلي معظم
طعامه، قال: "أنا لست أحمق".

بالطبع، ليست لدينا أي فكرة عن كيفية الرد عليه. لا يفكر
أي منا فيه بهذه الطريقة. في الواقع، نقدر الرجل ورغبة الدائمة
في كشف الحقيقة.

قال إدوارد: "سيد ويفرلي، ثق أنني وزوجتي نحسن الظن
كثيراً بإمكانياتك ومواهبك. علاوة على ذلك، أخبرنا السيد
دوغلاس في وقت سابق أنك الأفضل في قسمك. ونعلم
جميعاً أن ضباط بوستريت يتميزون بالشجاعة والذكاء. وإذا
كنت تعتقد أننا تغاضينا عن حقيقة أن هناك ذهناً متقداً فوق
كتفيك، فأنت مخطئ للأسف".

تململ السيد ويفرلي في كرسيه، وقال: "أنا مستاء لأنني أُمِرْت أن أنفذ أوامر سخيفة لمجرد أن امرأة شابة أقنعت رئيسي بأنها محققة وأنني مخطئ".

سألت بسخط: "ماري إنجرام مرة أخرى؟ ألن تهدأ خيالاتها هذه؟ لماذا ترفض ترك السيد ليرنر بمفرده؟ هل تدخل السيد كارتر لا يعني شيئاً لها؟".

قال السيد ويفرلي: "ليست الآنسة ماري. أختها الآنسة بلانش إنجرام. لقد غيرت قصتها الآن وقررت أن السيد روتشيسستر هو من سبب والدتها".

سعل إدوارد ثم قال: "ها! الوقت مبكر على مثل هذه الدعابة". حدق زوجي في السيد ويفرلي، وهو يحاول جاهداً استشفاف الحقيقة من تعابير الرجل الآخر، ثم أردف: "بالله عليك يا ويفرلي! هذه التصرفات الغريبة تتجاوز أي منطق سليم".

قال السيد ويفرلي: "أتفق معك تماماً يا سيدي، ولكن هذا ما حدث. إنها تقصد أنك سمت الليدي إنجرام".

قلت وأساناني تصطرك بعضها ببعضٍ: "يستفحلاً الأمر بشكل غريب للغاية. أخبرني من فضلك، كيف استطاع زوجي القيام بهذا العمل الغادر؟ ما الطريقة التي استخدمها لتسميمها؟ كيف قتلها بينما لم يكن في الغرفة نفسها؟".

هز ويفرلي رأسه: "ليست لدى أي فكرة، لكن المجلة بلا نش إنجرام لم تقنع المأمور بأن كل هذا ممكן فحسب، بل أقنعته بأنه محتمل أيضاً. تقول إنها كانت تشرب القهوة، عندما وصل السيد روتشيستر في وقت مبكر من ذلك الصباح ليطلب منها الصفح والمغفرة. وكتبت في إفادتها أنها جلست معه بمفردها لفترة وجيزة لأن والدتها وشقيقتها تأخرتا. ووفقاً للأنسة إنجرام، لا بد أن السيد روتشيستر أضاف السم إلى علبة القهوة الموضوعة على الصينية عندما نهضت لرؤيه اختها".

قلت: "المرأة تتحدث بالهراء. على هذا النحو، سيلومونني بعد ذلك".

وضع إدوارد يده على يدي وقال: "باستثناء أنهم يعرفون أنه من خلال إلقاء اللوم علي وعلى لوسي، فإنهم يتسببون في معاناتك بشكل كبير. زوجتي العزيزة، من الواضح تماماً أنك لا تخشين شيئاً باستثناء الأذى الذي يصيب من تحبين".

في الواقع، كان إدوارد محقّاً، لقد انتابني الخوف. بدأ هذا الاضطهاد المستمر من قبل الأخرين إنجرام يرهقني. شعرت بالقلق عندما ألقاها باللوم على لوسي؛ لكنني أعلم أن اتهامهما مستحيل. كنت هناك، وشاهدت ما حدث، وإذا لزم الأمر، يمكنني إعلان براءة صديقتي. وعلاوة على ذلك، كل هذا سابق لأوانه. اعتقدت أن عائلة إنجرام ستتراجع مع مرور الوقت وأن أفكارهم الخبيثة لن تكتسب أي قوة. لكن بدلاً من

ذلك، استمروا في إطلاق النار مرة تلو أخرى. لقد صدمني هذا الادعاء الجديد. قاومت الرغبة في التراجع، عندما تخيلت إدوارد، العاجز الذي يكاد يصبح أعمى، مقبوضاً عليه ومنقولاً إلى سجن نيوجيت. كيف ينجو بين السفاحين والقتلة؟

لن يحظى بأي فرصة.

قال إدوارد: "إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم تضر القهوة الآنسة إنجرام؟". بدا إدوارد هادئاً في الظاهر؛ لكنني أعرفه جيداً بما يكفي لأعلم أنه غاضب.

قال السيد ويفرلي: "هذا هو بيت القصيد. تقول إنها تضررت. وتقول -ويمكن للأخرين أن يؤكدوا- إنها أصبت بالتعب بعد زيارته السيد روتشرستير. ولو لم تطهر نفسها من السم، لماتت هي أيضاً".

قلت: "عندما ذهبت أنا ولوسي للزيارة، بعد وقت قصير من مغادرة إدوارد والسيد دوغلاس، أخبرتنا الليدي غرينجر بأن الآنسة إنجرام تشعر بالتوزع. ولم يبدُ هذا كأنه نوبة حدثت مؤخراً. بدا الأمر كأنها تشعر بالتوزع منذ فترة. في الواقع، عندما رأيناها في الأوبرا، كانت شاحبة بشكل غير عادي".

قال السيد ويفرلي في ضجر: "انظروا. أنا هنا أقدم لكم هذا لأنني آمل أن يتمكن أحدهنا من الرد على هذه التهمة. أعلم أنه لا أساس لها من الصحة. وكل هذا الهراء يمنعني من العثور على القاتل الحقيقي للسيدة إنجرام".

فهمت الغرض الأناني من كذب بلانش إنجرام الواقع.
تعتقد المجلة بلانش إنجرام أنها باتهامها إدوارد بارتكاب هذه
الجريمة، يمكنها الضغط على لوسي لإجبار الليدي غرينجر
على تعديل وصيتها.

قلت: "الجواب يسير. اذهب وأحضر السيد بارميتر. سوف
يبلغ مشرفك بأن بصر إدوارد ضعيف لدرجة أنه يستحيل عليه
أن يقوم بمثل هذه الخطوة التي تتطلب قدرًا كبيرًا من البراعة".
فقال إدوارد: "والأفضل من ذلك. سأرافقك للتحدث
إلى المأمور. وعندما أتعثر في مكتبه، وأصطدم بأثنائه، وأضع
وجهي في سجادته، سيرى الحقيقة".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٦

لحسن الحظ، دخل السيد دوغلاس غرفة الطعام وقال: "يا إلهي! انظروا إلى تلك الوجوه العابسة. وأنا الذي أتيت لأتفاخر بفوزي على طاولة اللعب الليلة الماضية".

صبيت له الشاي بينما أخبره إدوارد والسيد ويفرلي بأخر طرائف الآنسة إنجرام.

قال السيد دوغلاس وهو يأخذ آخر شريحة من اللحم ويضعها داخل قطعة خبز ويتناول قضمته: "يا له من هراء! لقد بدأ الناس يتحدثون بالفعل عن كونها عانساً. وإذا عرف الناس هذه الأشياء السخيفة، فسوف تصبح مثاراً للسخرية".

قلت: "ترجو جميعاً ألا تنتشر هذه الأخبار. سوف تعاني أختك، وابنها أيضاً، لأنها فتحت لنا أبواب منزلها".

أحضرت سادي طبقاً آخر يمتلىء بشرائح اللحم ومجموعة متنوعة من الجبن ورغيفاً ساخناً من الخبز. ثم شرع السيد ويفرلي في الأكل كرجل جائع. أما السيد دوغلاس فكان أكثر اعتدالاً في الأكل.

قال السيد دوغلاس: "انظروا! يسعدني الذهاب معكمما إلى بوستريت. لا أملك الكثير من النفوذ؛ لكنني لدى بعضه".

قال السيد ويفرلي وهو يبدو الآن أكثر حيوية ونشاطاً: "يا إلهي! هذا صحيح. لقد ساعدت مكتب بوستريت خلال مظاهرات شارع كاتو، أليس كذلك؟ لا بد أن المأمور ييرني سيقدرك".

قال السيد دوغلاس: "نعم، فعلت ذلك، وأستطيع التحدث إليه بالنيابة عن السيد روتشرستير. وفي طريق العودة، أريد الذهاب إلى مكتبة هاتشاردز. هناك كتاب لويليام بلايك أريده".

قلت وأنا أحاول إخفاء قلقني: "تبدو واثقاً بأن زوجي لن يواجه أي اتهام. هل أنت متيقن؟ ربما يجب أن آتي أيضاً، تحسباً لأن تحتاجوا إلي".

قال السيد ويفرلي وهو يدس عصاه تحت ذراعه ويقف متتصب القامة: "لا. أرجوك أن تبقي بعيداً سيدة روتشرستير. حالما يثبت السيد روتشرستير لمشرفي مدى سخافة هذا الأمر، أرجو ألا يضيع المأمور وقتني بالاستماع إلى افتراءات شابة تضع نحلاً في قبعتها. لا يوجد ما يشتت الانتباه أكثر من هذا، وبينما أنغمسي في هذا، يهرب قاتل حقيقي من العدالة".

تحولت يداي إلى قبضتين عندما شاهدت عربة الخيول تسير متعددة. لكم أتمنى أن أحظى بفرصة توجيه لكمقة قوية إلى الآنسة إنجرام في معدتها على غرار لوسي! كأنها استجابة

لأفكاري، ظهرت صديقتي على قمة السالم وقالت: "أعاني صداعاً مريعاً"، وهي تمسك أعلى أنفها.

قلت: "لنحضر لك قماشة باردة وفنجاناً من الشاي. سوف أرى ما إذا كان لدى بولي علاج لحالتك".

حالما انتهيت أنا وبولي من الاهتمام بحالة لوسي، ذهبت للاطمئنان على الطفلين. قالت إميليا: "السيد الصغير متزوج للغاية يا سيدي. هذه الأسنان الصغيرة تحاول أن تشق اللثة". وعندما جرت إميليا للطابق السفلي لتحضير البراندي، حملت ابني إلى غرفة أديل. جلست الفتاة الفرنسية في قميصها وسط دائرة من الدمى. قلت: "أديل! يجب أن ترتدي ملابسك على الفور". ثم أبلغتها بأن تقرأ قصة أخرى عن أحد القديسين.

سألت أديل: "أي واحد منهم؟".

أجبتها: "اختاري أنت". ونقلت نيد إلى الذراع الأخرى، وأنا أحاول صرف انتباهه عن الألم.

أخذت إميليا ابني مني وقالت: "إذا توقف المطر، فسأخذ الطفلين إلى الحديقة هذه الظهيرة. ربما نجعل السيد الصغير ينسى كيف تؤلمه أسنانه بشدة".

أعتقد أنها فكرة سديدة وأخبرتها بذلك.

بعد قليل، وبمساعدة شاي الأعشاب التي أعدته بولي، شعرت لوسي بالتحسن كثيراً. تمدد راغز بجوار سيدته ولعق

يدها؛ فقالت لوسي: "عزيزي راغز. لو أدار العالم ظهره لي، فسوف تظل تعتقد أنني رائعة، أليس كذلك؟".

قلت: "لوسي، أنا أكره أن أصفك بالدرامية المفرطة؛ لكنك تميلين إلى هذا. أيًّا كانت الإساءات التي تحاول بلانش إنجرام إلهاقها بك، سيظل هناك الكثيرون ممن يعرفون كم أنت رائعة حقًا. توقيفي عن السماح لها بتدمير سعادتك. في غضون أيام قليلة، سيكون إيفانز هنا، ولن يهتم على الإطلاق ما إذا دعيت إلى نادي الماكس أم لا. والآن هيا، فلتخرج من السرير، وتمارси حياتك كالمعتاد".

ثم أخبرتها عن زيارة السيد ويفرلي.

قالت لوسي: "آه! يزداد احتقاري لتلك المرأة شيئاً فشيئاً كل يوم. لا أعلم من الذي سمي والدتها؛ لكنني أعتقد أن القاتل أخطأ هدفه في عائلة إنجرام".

دققتُ الجرس لتأتي بولي، وقلت: "حالما ترتدين ملابسك، يمكننا مناقشة استراتيجية التعامل مع هذا الطاعون. الدمامل والجراد وإنجرام".

بعد فترة وجيزة، نزلت لوسي السلالم وكانت على طبيعتها اللطيفة. ذهبنا إلى غرفة الرسم لتناول الشاي وعقد جلسة تخطيط. قالت صديقتي، عندما ظهر هيغينز مع بطاقة على الصينية وتجاوز لوسي مرة أخرى: "نستطيع دائمًا المرور ورؤيه ميني وماريا". قدم هيغينز الصينية إلى.

ثم قال: "الساعي ينتظر الرد، سيدة روتشرستر".

ورغم عدم تحرك أي عضلة في وجهه، إلا أنه بدا متأثراً إلى حد ما.

كانت الرسالة من الورق السميك العاجي اللون مع تاج أحمر منقوش على طية الرسالة. ففككت ختم الشمع وفتحت دعوة لزيارة الملك في كارلتون هاووس، على الفور.

أعدت البطاقة إلى الصينية وقلت لهيفينتز: "من فضلك أخبر الساعي بأن لدى خططاً أخرى".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٧

بدا الفزع على هيغينز لكنه دار على عقبيه ليذهب.

لكن أوقفت لوسي كبير الخدم وقالت: "انتظر! جين، هل جنت؟ قد تبدو هذه دعوة فحسب؛ لكنها في الحقيقة استدعاء ملكي. ربما تعتقدين أن لديك خياراً؛ لكن في الواقع ليس أمامك أي خيار. إما أن تذهبي أو تصبحي هدفاً لسخط الملك."

لامتلك أدنى فكرة عما يعنيه هذا؛ لكن جعلتني نبرة صوتها أدرك أنها جادة بشكل خطير.

همست قائلة: "لا تخاطري. تعتقدين أنك في أمان لأنك خالية من العيوب، لأنك مواطنة صالحة. لكن هل يمكنك قول المثل عن إدوارد؟ هل تعلمين علم اليقين أنه لا يوجد شيء في ماضيه قد يعود ويطارده؟".

قلت بسخرية وأنا واثقة بأن زوجي لم يخف على أي أسرار: "مثل الزواج من امرأة مجنونة؟".

دقّت الأرض بقدمها وقالت: "مثـل المـبارـزة؟ ألم تتسـاءـلي يومـاً لـماـذا كان والـدـه حـرـيـصـاً جـدـاً عـلـى إـرـسـال اـبـنـه وـتـزـوـيجـه؟ لـماـذا كان مـنـ الـمـهـمـ أنـ يـتزـوـجـ إـدـوارـدـ منـ اـمـرـأـ ذاتـ موـارـدـ هـائـلـةـ؟ هلـ تـجـهـلـينـ حـقـيقـةـ أنـ عـقـوبـةـ المـبـارـزـةـ هيـ الإـعدـامـ شـفـقاـ؟".

غرقت ببطء في كرسٍي، وانتابني شيءٌ من الذهول، عندما أدركت أنها محققة. قلت: "أخبرتني السيدة فيرفاكس ببعض التفاصيل؛ لكنها قدمت نسختها ببراعة تامة". سرت قشعريرة في أصابعِي ثم انتقلت بسرعة إلى ذراعي. هل يُحتمل أن يكون زوجي في خطر؟ لقد عانت لوسي من انتقام الملك، وهي الآن ترجو أن تجنبني مثل هذا البؤس. قد لا يعود زوجها إلى المنزل أبداً، إذا تصرف جلالـةـ الملكـ كـيفـماـ يـشاءـ.

التفتُّ إلى هـيـغـيـنـزـ وـقـلـتـ: "منـ فـضـلـكـ أـخـبـرـ السـاعـيـ بـأـنـهـ يـسـرـنـيـ الـامـتـالـ لأـمـرـ الـمـلـكـ. لـنـ أـسـتـغـرـقـ سـوـىـ لـحـظـةـ".

ساعدتني بولي على ارتداء فستان حريري باللون الأحمر الداكن. وأشرفـتـ لوسيـ علىـ زـيـتـيـ، واقتـرـحتـ أنـ أـعـتـمـرـ إـحدـىـ قـبـعـاتـهاـ وـسـتـرـةـ تـبـدوـ مـتـنـاسـقـةـ معـ فـسـتـانـيـ. وـعـنـدـمـاـ اـنـتـهـيـتـ منـ اـرـتـدـاءـ الـمـلـابـسـ، نـزـلـنـاـ أـنـاـ وـلـوـسـيـ إـلـىـ قـاعـةـ الـاستـقبـالـ حيثـ يـقـفـ رـجـلـ يـرـتـديـ زـيـاـ مـمـيـزاـ، سـتـرـةـ حـمـرـاءـ مـغـطـاةـ بـكـمـيـةـ هـائـلـةـ منـ الشـارـاتـ الـذـهـبـيـةـ.

قلـتـ لـهـ بـابـتسـامـةـ: "حـقـاـ! هـذـاـ غـيرـ مـتـوقـعـ عـلـىـ الإـطـلاقـ وـ...ـ".

انحنى الشاب انحناة كبيرة، ودفعت هذه الحركة الكشكشات الملتوية العديدة حول رقبته إلى الرفرفة مثل الفراشات البيضاء. ثم قال: "العربة في انتظارك".

ودعت لوسي بعناق سريع؛ فهمست قائلة: "ستكونين بخير".

قلت: "شكراً. أتمنى لو كنت قادمة معي".

ابتسمت وقالت: "سأذهب لزيارة ماريا فيتزهيربرت. أعلم أنها ستسعد برؤيتي".

بحلول الوقت الذي خرجت فيه على الرصيف، بدأ المطر يهطل بغزارة. ساعديني السائس والخادم في ركوب عربة الملك، وحاوت أن أنفض المياه عن فستاني بينما نسير في شوارع لندن على نحو أسرع مما تقتضيه الضرورة، حيث يجرنا زوجان من الخيول العاجية اللون. إذا لم يلمح المارة الشعار الجديد للملك، الذي أضيف إليه الرباط الأزرق، فإنهم سيعرفون أن وسيلة النقل هذه تخصه فقط من خلال إلقاء نظرة خاطفة على الخيول المتطابقة من نوعية هانوفر الملكية. قلت لنفسي إنني يجب أن أستمتع على الأقل بالمنظر بينما ندور حول حديقة سانت جيمس في طريقنا إلى كارلتون هاوس.

وصلنا إلى الرواق السادس المحاط بالأعمدة الكورنثية؛ فركض أحد المشاة حاملاً مظلة، ووضعها فوق رأسي أثناء خروجي من العربة.

وحالما وصلت إلى الباب الأمامي، استقبلتني وصيفة الشرف باقتضاب وقدمت نفسها على أنها الليدي باميلا جوردون. على أنها لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها، إلا أنها تصرفت بضمير شديد. لقد كانت هنا لتعلم آداب البلاط الملكي وتحظى بزيارة جيدة، وليس لتنغمس في أفكار عويصة.

بدلت قصارى جهدي للانتباه وملاحظة محيطي الجديد، حيث أعتقد أنه من غير المرجح أن أدعى إلى هذا المكان مرة أخرى. يختلف كارلتون هاوس عن معظم المنازل الراقية في لندن حيث يدخل الزائر بهوًا ضخماً في الطابق الرئيس، بدلاً من صعود مجموعة من السلالم من الصالة إلى أماكن المعيشة. رافقته الليدي باميلا عبر غرفة مثمنة الشكل بها سلم متعرج واسع في أحد جوانبها. ومن هناك تقدمنا إلى غرف الانتظار الرئيسة، واستدرنا يساراً.

قالت الليدي باميلا: "طلبت الليدي كونيغهام التحدث معك أولاً. ثم ستؤخذين إلى جلالة الملك". لم تذكر الليدي باميلا رأيها في هذا التغيير.

إنَّ ترصد تحركاتي أمر لا يفاجئني. هذا بالضبط نوع السيطرة الذي أشار السيد ويفرلي إلى أن الماركيزة تمارسه على الملك. انتقلنا إلى غرفة جلوس مزخرفة، مزينة على الطراز الفرنسي الذي يستخدم الحرير كطبقة تغلف الخشب المنحوت. استوقفتني لوحة رائعة على الحائط.

تحدثت الليدي كونينغهام من كرسي جميل بالقرب من النافذة: "جميل، أليس كذلك؟ إنها لوحة لرامبرانت".

قلت: "إنه بارع". لقد سمعت الكثير عن عبقرية رامبرانت، لكنني لم أر قط أي عمل فني يضارع هذا في نقل مثل هذا الإحساس بالألفة مع الموضوع.

أبعدت نفسي بصعوبة عن اللوحة، واقتربت من الليدي كونينغهام. وانحنىت انحناً عميقاً. هذه المرة، لم تعرّض معانقتي. ولم تظهر أي شيء يدل على تلك المودة الغامرة التي أظهرتها في منزل الليدي غرينجر. ومثل كل مرة رأيتها فيها، ترتدي الليدي كونينغهام أقمشة فاخرة، مع كشكشة كبيرة من الدانتيل تحيط وجهها ويديها، والقماش الحريري السميك تحت النصف العلوي من فستانها. والجواهر تتبدّل من أذنيها وتطل من شالها.

قالت الليدي كونينغهام: "باميلا؟ أحضر لي الشاي".

ظلت الماركiza جالسة على كرسي مبطّن جيداً؛ فجلست مقابلها على كرسي بظهر مستقيم. لم يفتني الشعور بالانزعاج في مقعدي، وتعجّبت مرات أخرى من قدرة الماركiza على تعجيز الآخرين وبث الوهن في نفوسهم. غادرت وصيفة الشرف، فحدقت الليدي كونينغهام في وجهي بشدة، وتركت الصمت يطول.

عادت الليدي باميلا وهي تحمل صينية شاي ثقيلة. كان طقم الشاي من الفضة؛ لكن الفناجين والقدر من الخزف الفاخر شبه الشفاف المزين بزخارف ذهبية. تكدس على طبق التقديم خبز السكونز بالزنجبيل المسكر والفتائر الصغيرة مع الزبيب ومجموعة متنوعة من البسكويت المثلج. انتظرتُ أوعية المربى والقشدة المتخرّة والزبد لأنّ تُوضع على المعجنات.

قالت الماركيزة: "فلندخل في صلب الموضوع مباشرة.
أنت هنا لرؤيه الملك؟".

أجبت: "بناءً على طلبه، نعم يا سيدتي".

فقالت: "حسناً، أعتقد أن هذه فرصة رائعة لإجراء محادثة صغيرة". ابتسمت؛ لكنها لم تكشف عن أسنانها، وكان السيد دوغلاس قد أخبرني أنها ابتسامة كاذبة مثل صداقتها. ثم أردفت: "أنت معتادة على الكلمة، أليس كذلك؟ آه، هذا صحيح. كنت مربية، أليس كذلك؟".

كان باستطاعتي أن أرى إلى أين سيصل هذا.

أجبت: "بلى يا سيدتي. كنت مدرسة في مدرسة، وقمت ذات مرة بتعليم أديل فارينز التي يرعاها السيد روتشيستر".

قالت: "ابنة راقصة الأوبرا الفرنسية".

قلت: "نعم". وشعرت بأنها تتلاعب بي، مثلما فعل قطي ميفيستو عندما وجد سحلية صغيرة، قبل أن يقتلها. تريد

عدوتي أن تخبرني أنها تعرف الجوانب المنزلية في حياتي. وتساءلت عن سبب تعرضها لمثل هذه الأمور. مرت عدة أيام منذ أن تحدثت أنا والماركيزة آخر مرة، وفي غضون ذلك، وضعت تحذير السيد ويفرلي بشأنها جانباً. والآن تعيد شدتها كل مخاوفه بشأن إصرارها وقسوة طرقها في الوصول إلى أهدافها.

ربما كان يجب ألا آتي إلى هنا بمفردي.

أعدت الليدي كونيغهام الشاي، ووضعت في القدر ثلاثة ملاعق مليئة بالأوراق العطرية. تكدرست كومة من المكعبات عالياً في وعاء السكر مع مجموعة من الملاقط فوقها، وبالمثل، كان إبريق الكريمة ممتلئاً عن آخره. سكبت لي فنجاناً من الشاي، وأضافت السكر والقشدة.

قالت: "إذاً، قُتلت الليدي إنجرام، ويعتقد مكتب بوستريت أنها قُتلت بالسم". ليس هذا هو الموضوع الذي أعتقد أنها ستتحدث عنه. كنت أتوقع منها أن تسألني عن الرسالة.

في ضوء تصريحها، أعتقدت أنه بحاجة إلى تعديل؛ فقلت: "يبدو أن تجارب السيد ليرنر أثبتت هذا أيضاً. على الأقل بالنسبة له".

سألتني: "من المسئول عن وفاة الليدي إنجرام؟".

أجبتها: "لا أعلم يا سيدي".

"حسناً، أنا أعلم. زارتني المجلة بلا نش إنجرام أمس. وقدمت أروع قصة عن زوجك. يا إلهي، يا إلهي! أكاد لا أستطيع تصديقها؛ لكنها أكدت لي أنها صحيحة وأن لديها دليلاً. يا للمفاجأة! إن الآنسة إنجرام... فطنة للغاية".

رفعت فنجاني بكلتا يدي لتفطية وجهي، وأجبرت نفسي على شرب المزيد من الشاي. أريد أن أكسب الوقت. أخيراً قلت: "حقاً؟!".

فقالت: "نعم، من الواضح أن المجل روتشيسنر قام بزيارة الآنسة إنجرام في منزل الليدي غرينجر قبل أن تصل بقيتنا بعد ظهر ذلك اليوم. وأقسمت لي الآنسة إنجرام أنه وضع مادة سامة في علبة قهوتها".

سألت: "كيف؟". أخبرت نفسي بأنه يجب علي أن التزم الهدوء. إن أي علامة ضعف ستتجهها بالتأكيد في مسعاهما.

قالت: "لم تخض في التفاصيل؛ لكنها أكدت لي أن اختها ستؤكدها أيضاً".

التزمت الصمت، رغم أنني أقاوم الكثير من المشاعر. الخوف، قبل كل شيء، والرهبة.

قالت الليدي كونينغهام: "ثم، هناك أيضاً مسألة المبارزة. كان زوجك عصبياً جداً عندما كان شاباً".

وواصلت الصمت.

أكملت الليدي كونينغهام قائلة: "هل سبق لك أن زرت سجن نيوجيت، ليدي روتسيستر؟ أو رأيت مجرماً يموت شنقاً؟ يا إلهي！ يملاً هذا العقل بکوابيس لا يمكن محوها". أثناء حديثها، كانت تنظر إلي ووجهها يتوجه بالسرور. بذلت قصارى جهدي لتجنب إظهار خوفي؛ لكنني أعلم أنني فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً.

قالت أخيراً: "السيد ويفرلي يستهين بي".

تمكنت بصعوبة من استجماع شجاعتي، وقلت: "كيف ذلك؟". أتى تغييرها المفاجئ للموضوع على حين غرة.

قالت: "يعتقد أنني لا أعرف ما يخطط له".

شربت المزيد من الشاي، وأنا أحاول التفكير في خياراتي.

أردفت قائلة: "يعتقد أنني لا أعرف السبب الحقيقي لتكتيفه بمرافقتي". ثم تنهدت وقالت: "أعلم جيداً أن جلاله الملك قد أمر ويفرلي بمراقبتي. ويأمل ضابط بوستريت هذا أن يكشف أي مخالفة أرتكبها ويبلغ الملك بها".

سألتها: "لماذا يأمر جلاله الملك السيد ويفرلي بهذا؟".

قالت بابتسامة متكلفة: "من فضلك سيدة روتسيستر. لا تتظاهري بشيء لا يناسبك على الإطلاق. أنت إنسانة عادية ومتواضعة؛ لكنك ذكية إلى حد ما. أكثر من معظم الناس. تستطعين تخمين طبيعة نوایاه جيداً".

قلت: "لم أقابل الملك سوى مرة واحدة، ويمكنني أن أؤكّد لكم أنني أبذل قصارى جهدي لتجاهل النميمة. ولأنني أقف على الطرف التّعس الذي يتلقى مثل هذه الافتراطات، فإنني حريصة كل الحرص على الشك فيما أسمّعه. وبدلًا من ذلك، أميل إلى تصديق ما أرأاه، وحتى ذلك أتعامل معه بالشك. لذلك، أنا غير مؤهلة وغير مهتمة بتخمين أي من هذه الدوافع".

تراجعت الماركيزة إلى الوراء، وعقدت ذراعيها على ركبة واحدة، وقالت: "حسناً حسناً حسناً".

احتفظت بتعبير لطيف على وجهي.

أكملتْ قائلة: "أنت لا تجعلين هذا سهلاً، أليس كذلك؟ سأتحدث معك بصراحة، من امرأة إلى أخرى. كما ترين، أعرف الملك معرفة وثيقة. إنه متقلب ومتلاعب ويمل من النساء بسهولة. أونسه وأخدمه وأعامله برفق، وأخبره بأنه حاكم بين الرجال. وفي المقابل، يرغبي ويزبد، ولا يبالي إلا بنفسه فقط. نموذج لجنسه، ألا ترين ذلك؟".

قلت: "على خلاف زوجي".

قالت: "آه. لحسن حظك. لكن زوجك نصف أعمى وعجز. وينزع هذا عن الحصان قوته، أليس كذلك؟".

شعرت بالدماء تندفع إلى وجهي. ثم تذكرت نصيحة لوسي: لكي تجعلني شخصاً يتكلّم، أثيري غضبه. وسرعان ما هدأت نفسي.

قلت: "في الواقع، لا يزال حصاني قادرًا على ركل ألواح حظيرته بقوة تكفي لتنزعها من مكانها. ورغم ذلك، إدوارد روتسيستر رجل استثنائي، وأنا سعيدة بحظي الجيد. ويؤسفني أن جلاله الملك لا يقدر بشكل مناسب... خدمتك له".

ضحكـت ضـحـكة خـافـحة، ثـم خـفـضـت صـوـتها كـثـيرـاً، وـهـي تـقـول: "أـصـدرـتـهـ الـمـلـكـ تـعـلـيمـاتـهـ لـلـسـيـدـ وـيـفـرـليـ بـأـنـ يـراـقـبـنـيـ، لـأـنـهـ يـسـتـمـتـعـ بـأـنـ يـمـتـلـكـ نـفـوـذـاـ عـلـىـ الـآـخـرـينـ. عـنـدـمـاـ يـكـونـ الرـجـلـ ضـعـيفـاـ، فـإـنـهـ يـسـتـمـتـعـ بـضـعـفـ الـآـخـرـينـ لـأـنـ هـذـاـ يـقـلـلـ شـعـورـهـ بـالـوـحـدـةـ. أـنـاـ لـسـتـ ضـعـيفـةـ. تـعـقـدـ الـآـنـسـةـ إـنـجـرـامـ أـنـهـ مـنـ السـهـلـ خـدـاعـيـ. فـيـ الـحـقـيقـةـ، أـنـاـ لـسـتـ كـذـلـكـ. أـعـتـقـدـ أـنـكـ تـعـرـفـنـ ذـلـكـ".

التزمت السكوت وانتظرت.

أكملـتـ: "لـدـىـ الـآـنـسـةـ إـنـجـرـامـ دـوـافـعـهـاـ الـخـاصـةـ الـتـيـ جـعـلـتـهـاـ تـلـمـحـ أـنـ زـوـجـكـ هـوـ الـمـسـئـولـ عـنـ مـقـتـلـ وـالـدـتـهـاـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ". أـجـبـتـهـاـ: "هـذـاـ صـحـيحـ". شـعـرـتـ بـالـارـتـيـاحـ وـأـحـسـسـتـ بـأـنـ التـوـتـرـ يـغـادـرـ جـسـديـ. تـرـاجـعـتـ إـلـىـ الـخـلـفـ قـلـيلـاـ فـيـ كـرـسيـ، وـأـنـاـ أـشـكـرـ اللـهـ فـيـ نـفـسـيـ.

ابـتـسـمـتـ لـيـ الـلـيـدـيـ كـوـنـيـنـغـهـامـ وـقـالـتـ: "أـتـرـينـ؟ـ أـنـاـ لـسـتـ ضـعـيفـةـ وـلـاـ حـمـقـاءـ. لـاـ، لـمـ أـتـقـدـمـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ فـيـ الـحـيـاةـ لـأـنـيـ تـرـكـتـ الـآـخـرـينـ يـدـوـسـوـنـ عـلـيـ. تـعـقـدـ الـآـنـسـةـ إـنـجـرـامـ أـنـهـاـ تـسـتـطـعـ التـأـثـيرـ عـلـيـ لـكـيـ أـسـاعـدـهـاـ. لـكـنـ لـيـسـ لـدـيـهـاـ مـاـ أـرـيـدـهـ. لـاـ

شيء. على خلافك أنت. أريد تلك الرسالة. وإذا لم تسلميها لي، فسأخبر السيد ويفرلي بما رأيته".

سألتها: "ماذا تقصدين؟".

أجابت: "سأخبره بأنني رأيت لوسي برايتون تضع شيئاً ما في مشروب الليدي إنجرام".

الفصل ٤٨

قلت بسرعة: "لن تفعلي. ولا تستطعين أن تفعلي ذلك لأنه لم يحدث مطلقاً".

رفعت الماركيزة حواجبها، وقالت: "حَقّاً؟ أنت التي أخبرت السيد ويفرلي بأن السيدة برايتون حملت العلبة قبل أن تمررها إلى الآنسة إنجرام. وعندئذ انتهزت صديقتك الفرصة لدس السم لليدي إنجرام. إن السيدة برايتون لم تمتلك الوسيلة فقط، بل لديها دافع قوي لقتل الأرملا أيضًا. تتوقد السيدة برايتون للحصول على ثروة الليدي غرينجر لابنها الجديد. آه، نعم، لدى جواسيسى. ولا يخفى على شيء. أعلم كل شيء بشأن هذه الوصية الجديدة. إنها تعطي السيدة برايتون كل الأسباب لإزاحة الليدي إنجرام عن الطريق لأن التخلص من الليدي إنجرام سيقرب ابنها من ثروة عظيمة".

قلت: "لكن لم يكن هناك وقت لتفعل لوسى أي شيء، كما لم يكن بحوزتها أي شيء لتضيفه إلى مسحوق القهوة. أعلم هذا لأنني كنت هناك. لقد مررت العلبة بسرعة. رأيت هذا بأم عيني".

ابتسمت الماركيزة كونينغهام وقالت: "آه، هذا يعني أن كلمتي ضد كلمنت".

قلت: "نعم"، فشعرت بقطرات العرق تجري على ظهري، وخفق قلبي في صدري بقوة وكأنه حداد يطرق على السندان.

قالت الماركيزة: "أي جانب في اعتقادك ستتحاصل إليه فتاتا إنجرام؟ جانبي أم جانبك؟ خاصة مع كل ما أستطيع أن أقدمه لهما؟ ورغم أنهما في فترة الحداد، إلا أنهما تستطيان حضور التتويج والاحتفال. على أي حال، لا يمكن تجاهل الدعوة الملكية. صحيح أنه سيكون من غير اللائق أن ترقصا؛ لكنهما تستطيان الحضور. وأستطيع تقديمهم إلى ذوي النفوذ. وهذه البداية فحسب. هناك مناصب في البلاط الملكي وتحالفات وزيجات". ثم ابتسمت في هدوء وأردفت: "عندما اشتكت الآنسة إنجرام من تغير حظوظها المالية، أدركت مدى قابليتها للتطويع. وعلى الجانب الآخر، أفضل وصف لي هو أنني... صعبة المراس. لذلك لافائدة. أريد ذلك الخطاب وسوف أحصل عليه".

أردت أن أزدر دريقي؛ لكنني وجدت فمي جافاً. ولم يفدني تناول رشفة من الشاي.

رفعت الليدي كونينغهام حاجباً في تأمل وقالت: "كما ترين، هذه قضية خاسرة. هناك حل واحد، حل واحد فقط: سلميني الرسالة وإلا فستتعاني صديقتك الأمرتين. هل هذا ما

تریدينه؟ هل قطعة ورق سخيفة تستحق تدمير حياة شخص عزيز عليك؟".

قلت من كل قلبي وأنا أعني كل حرف أقوله: "لا. لا، وألف لا."

قالت الليدي كونينغهام: "صحيح جدًا، سيدة روتشرست. تلك الرسالة ملعونة. إنها تجلب الحزن والأسى على كل من يمتلكها. انظري ما حدث لتلك الفتاة المسكينة من عائلة بيلتمور. وأنت الآن تمتلكينها وصديقتك في وضع حرج. لو كنت مكانك"، ثم مالت إلى الأمام وتحديث بهمس مصطنع: "فلن أضيع أي وقت في التخلص من هذه الرسالة. إنها تحمل في طياتها الشر. إذا أعطيتني إياها، فربما تجدين وقتاً لإنقاذ نفسك وصديقتك من المزيد من المشكلات".

كل هذا صحيح؛ لكنها تخطت ببراعة نقطة مهمة: رغم أن الرسالة لا تسبب سوى الحزن لجميع الأطراف المعنية، إلا أن التخلص عنها لن يضمن سلامته لوسي.

قلت: "إذا سلمتك الرسالة، فما الذي يضمن أنك لن تلومي صديقتي لوسي برأيتون على وفاة السيدة إنجرام، ولن تخبري الملك عن مبارزة إدوارد على أي حال؟ من الغباء أن اعتبر كلمتك عهداً".

أجبت: "هذا صحيح". وتراجعت في مقعدها، بينما ظهر التأمل على وجهها.

قلت: "أعتقد أنني سأحتاج إلى بيان مكتوب منك، ليدي كونينغهام. ضمانة يمكن أن تصمد أمام التمحيص والتدقيق".

قالت الليدي كونينغهام: "لقد فاجأتني، سيدة روتشستر. تحاولين الاستفادة من هذا الموقف؛ لكن يسعدني مبادلة مثل هذه الوثيقة بالرسالة التي لديك".

قلت: "هذا لا يكفي"، وأنا أكافح من أجل الحفاظ على صوتي هادئاً.

فقالت: "حقاً؟ يا إلهي، يا إلهي! ماذا تريدين أيضاً؟ لقباً لزوجك؟".

أجبتها: "لا شيء لنفسي أو لزوجي. كل ما أريده هو أن تستمر لوسي برايتون في التمتع بمكانها بوصفها جزءاً من الطبقة الراقية. حتى لو لم تفهميها، فقد فعلت الآنسة إنجرام ذلك وستفعلها مرة أخرى. لذلك، لا تزال السيدة برايتون في خطر. وبالنسبة لي، سيكون التخلّي عن الرسالة وفقدان كل المزايا قصر نظر، إذا لم أثق بأن صديقتي آمنة في مكانها".

قالت وهي تشبك أصابعها الممتلئة بعضها البعض وترى حيرتها في حجرها، وتحدق في وجهي: "أنت تزعجيني، سيدة روتشستر. أولاً تضعين شرطاً وافتُ على تلبية. بعد ذلك تقرحين أنك تريدين المزيد. توقفي عن ممارسة الألاعيب. أنا امرأة مشغولة وقوية. ما الذي تريدينه؟ تحدثي بوضوح".

قلت: "أريدك أن تأخذني السيدة برايتون وابنها إيفانز تحت جناحك".

قالت: "وكيف تقتربين أن أفعل ذلك؟ لقد تأخرت قليلاً على أن أقدمها على أنها من لحمي ودمي".

حدقت في الماركيزة، فقلت إنذاري بوضوح: "أطلب منك أنت والملك أن تكونا عرابين لإيفانز فوريستر".

أنا واثقة تماماً من أن قبول الملك والسيدة كونينغهام أن يكونا عرابين لإيفانز سيؤمن مكانة لوسي في المجتمع. إن الوقوف على جرن المعمودية والقسم بتحمل مسئولية الاستقامة الأخلاقية للطفل المبارك سيشكلان تحالفاً بين القصر وعائلة برايتون. ستُسجل أسماء الملك والماركيزة في سجل الكنيسة وسيراها الجميع لعقود وربما لقرون قادمة. علاوة على ذلك، سيُقدم قسمهما بمثابة جزء من سر مقدس.

ونظراً للطبيعة العلنية لهذا الفعل، سأطمئن إلى أن الماركيزة فعلت ما طلبته منها، وأنها لن تستطيع في وقت لاحق سحب رعايتها.

سوف يدرك جميع الحاضرين أهمية هذه الطقوس الموقرة. تتطلب المشاركة في سر المعمودية المقدس أن يمنح الملك والماركيزة مباركتهما الصريحة للصبي و"أمه". وحالما يقف الاثنين على المذبح ويتعهدان بحماية روح الطفل الخلدة، فإنهما يصبحان ملتزمين بالوصاية الروحية مدى الحياة.

انتظرت أن ترد على الماركizia، وهو ما فعلته في وقت قصير.

قالت الليدي كونينغهام وهي تضع فنجانها وتضيق عينيها: "أحسنت اللعب، سيدة روتشرست. أحسنت اللعب. نعم، لقد قللت من شأنك. وهذا خطأ لن أفعله مرة أخرى". ثم مدت يدها وجدبت حبل الجرس.

وبينما كنا ننتظر ظهور وصيفة الشرف، قالت الماركizia: "حالما يحدث التبادل، سأرسل إلى السيدة برايتون رسالة تؤكد أنني والملك ستحمل المسئولية الروحية عن طفلها. وفي ختام تعاملاتنا، لن يكون لدى أي سبب للتحدث إلى الآنسة إنجرام أو لتكرار اتهاماتها وافتراءاتها".

قلت: "اتفقنا".

فقالت: "إذاً، انتهينا هنا". ودون وداع، وقفت الماركizia، وأدارت ظهرها لي، وابتعدت.

كنت سأتنفس الصعداء، إلا أن سبب وجودي في كارلتون هاوس لم يتغير. لا يزال هناك لقاء مع الملك.

قادتني السيدة باميلا عبر الطريق الذي أتينا منه؛ لكن هذه المرة عندما وصلنا إلى غرفة الانتظار، استدرنا في الاتجاه المعاكس. مشيت خلفها، مثلما تتبع تلميذة مجتهدـة معلمتها.

لو كانت هذه زيارة من نوع آخر، لاستمتعت بمجموعة الأعمال الفنية التي يقتنيها الملك جورج الرابع، لا سيما اللوحات التي تصور المناظر الطبيعية الهولندية والفلمنكية الشاسعة. سحرتني هذه اللوحات التي تصور الحياة الريفية، وتحركت بيضاء لأنامل بشكل أفضل مشهد الفلاحين خلال صناعة القش، ومشهداً آخر لصانع سفن وزوجته.

سعلت السيدة باميلا في إشارة مهذبة إلى أنني أستغرق وقتاً طويلاً، وقالت بصوت مرتفع: "الغرف الخاصة بجلالة الملك".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٩

أخذ حارسان ينظران إلى بحذر، بينما يعلن خادم عن وصولي. وعندما دُعيت للدخول، وجدت الملك جورج الرابع جالساً على كرسي ضخم بجوار المدفأة بينما تستريح قدماه على مساند مبطنة. انتظر ساعيان أن يصدر الملك أوامرها، وهما ينusan خلال جلوسهما على كراسٍ بجوار الحائط على جانبي الباب.

لا يبدو الملك على ما يرام. لا يستطيع أي قدر من الملابس أن يخفي حجمه المفرط. وتشير الطبيعة البشعة لقدميه المصايبتين بداء الفيل إلى أنه يعاني من ألم شديد، لأنه من المؤكد أنهما انفتحتا بالسوائل. بدت عيناه شاردتين؛ لذلك مشيت إلى حيث يمكنه رؤيتي دون أن يدير رأسه، ثم انحنىت ونظرت إلى الأرض. أخبرني حفييف الحرير من ورائي أن الليدي باميلا تتحنى أيضاً، ثم أشار صوت الخطوات الخفيفة إلى أنها ذهبت وتركته.

لم يدعني جورج الرابع للجلوس؛ بل أخذ يحدق في وجهي بحذر، دون أن يرد على تحني وانحنائي له، فسأل دون

مجاملات: "الليدي إليزابيث تريد الرسالة، أليس كذلك؟". استقر شعره المستعار على رأسه باعوجاج، ودللت طريقته في الكلام على أنه لا يلبس أسنانه الاصطناعية. ثم تابع: "هل طلبتها منك؟ الآن؟".

أجبت: "نعم".

فقال: "اعتقدت أنها قد تفعل ذلك. إنها ماكرة. لطالما أدركت ذلك فيها. هل قابلت السيدة فيتزهيربرت؟".

أجبت: "في واقع الأمر، التقيت بها وبابتها يوم أمس فقط. ورغم أن اجتماعنا كان قصيراً، إلا أن المرأةين أثارتا إعجابي بشكل كبير".

رفع الملك جورج الرابع يده وأشار حوله وقال: "لا يفاجئني هذا. انظري كل هذه العظمة؟ رائعة، أليس كذلك؟ يمكنني امتلاك أي شيء أريده. أستطيع تكليف الفنانين بعمل ما أرغب فيه. يمكنني تغيير الأقمشة كييفما أشاء. أنا سيد كل ما تقع عليه عيناي، صاحب السيادة والحاكم. لكنني أيضاً عبد أسير لحقي المكتسب من الولادة. نعم، يمكنني الحصول على أي شيء يستطيع الإنسان أن يشتريه؛ لكن لا يمكنني الحصول على الشيء الوحيد الذي لا يستطيع شراءه: حبه الحقيقي الوحيد. ما الفائدة التي سيجنيها كل هذا إذا كنت محكوماً بالوحدة؟".

تغضن وجهه وتوجع من الألم.

استدرت أبحث عن المساعدة؛ لكن لم يلاحظ أي من السيدين في الغرفة أني نعمتهم. تذكرت تحذير لوسي بعدم لمس الحاكم، فقلت: "جلالة الملك، هل هناك أي شخص يجب أن أستدعيه أو أي شيء أفعله من أجلك؟".

قال الملك بكلمات مشوشة: "الشيء الوحيد الذي يمكنك فعله لي، أيتها الشابة، هو إيقائي في صلواتك". قلت: "سأفعل ذلك. أعدك بذلك".

قال: "كما كنت أقول، موقفك هو مفارقة عظمى. أستطيع قيادة جيش؛ لكن لا يمكنني التحكم في القدر. أستطيع حماية هذه الجزيرة الخضراء؛ لكن لا يمكنني حماية بناتي. تزوجت المسكينة تشارلوت بأمر مني، وها هي الآن ميتة".

فتح بعمق في صدیریته وأخرج منديلاً حريريًّا لمسح عينيه، ثم قال: "هل كان من المحتمل أن يصبح مصيرها مختلفاً لو أنها تزوجت الرجل الذي تريده؟ لا أعرف. والآن تريد ميني المسكينة أن تتزوج بحاراً. وأنا والدتها نعارض هذا؛ لكن يثقل الأمر كاهلي بشدة، لأنني أفكر في تشارلوت وأتساءل: "هل كانت سعيدة؟ هل فعلت لها الصواب؟". أعلم أنني أفعل الصواب للمملكة؛ لكن ماذا عن طفلتي؟".

أستطيع أن أتخيل يوم يريد نيد زوجة. ماذا أريد له؟ هل من الصواب أن يمتلك المرء رغباته وتفضيلاته الخاصة؟ من

المؤكد أن جميع الآباء يريدون الشيء نفسه: طفلًا سعيدًا. لكن هل نعرف حقاً ما هو الأفضل لأطفالنا؟

قلت: "لا بد أن هذا يقل كا هلك يا سيدى".

فقال الملك: "إنه كذلك، وكذلك مستقبل الليدي فيتزهيربرت وابنته".

حاول الملك، وهو يتأنه، أن يجعل نفسه أكثر راحة في الكرسي؛ لكنه كان محسوراً فيه. في الواقع، في أماكن مختلفة، يطعن هيكل الكرسي في أكواام اللحم. وتسببت محاولات الملك لإعادة ترتيب كتلته في ظهور حبيبات العرق على طول خط شعره، وتحت مسحوق الأرز على وجهه، وزاد شحوبه.

كانت معاناته واضحة. ويمكّنني القول من خلال كل هذه العلامات الظاهرة إنه مريض للغاية، لدرجة أنني تساءلت عما إذا كان سيعيش طويلاً ليتولى العرش أم لا. لا مفر من المفارقة هنا. فرغم منصبه وميراثه الكبير، لم يكن جورج الرابع أكثر من رجل يكافح لنيل ما لا يمكن أن يحصل عليه أيٌ منا: تأجيل نهايتنا المحتومة. فجأة، أصبح شغفه بجمع الأعمال الفنية، ورسم صورته، والخطيط لتوسيع لا يُنسى - وهو حدث يقول الجميع إن الناس سيذكرون له عقود طويلة - أمراً منطقياً بالنسبة لي. إنه يريد نوعاً من الخلود. ليس بالأفعال أو الأحفاد؛ لكن من خلال الدراما المرتبطة بوجوده.

قال الملك: "تريد الليدي إليزابيث الرسالة التي لديك. من بين كل ما كتبته على الإطلاق، هذه الرسالة الأكثر إخلاصاً وأهمية. إذا أعطيتها لها، فسوف تسلم الرسالة إلى أخي الأمير إرنست أوغسطس، دوق كمبرلاند. سوف يثير غضب الناس وعصيّتهم ضد الكاثوليكية حتى يطاردوا ميني وماريا ويقتلوا هما. أنا واثق من ذلك تماماً. تصوري! أثناء تتوبيجي، سأصبح الحاكم الأعلى للكنيسة الإنجيلية؛ لكنني تجرأت على حب امرأة كاثوليكية رومانية والزواج منها سراً. سينظر إلى هذا، مع الموجات اللا نهائية من المهاجرين الرومان الكاثوليك الأيرلنديين الذين يأتون إلى إنجلترا فراراً من المشكلات المستمرة مع محاصيل البطاطس، وبدلًا من ذلك يأخذون الوظائف عن عامة الشعب؛ ولذلك سينظر إلى الناس... بقسوة. حقاً بقسوة شديدة. كل هذا لأنني تجرأت على حب امرأة من ديانة أخرى بدلاً من ازدرائها. هل هذا خطأ؟ أنا أسألك. لكنني سأعاني. ستزداد محاولات اغتيالي. بالطبع أحظى بحماية جيدة؛ لكن ماريا؟ وميني؟ حبيبتي؟ ستساقان إلى الذبح كالحملان، سيدة روتشيستر". ثم أضاف: "وسيكون موتهم ذنبك".

دققت ساعة في الردهة.

قال: "يمكنك الذهاب".

وقف أحد رجال السعاة النائمين وأخرج رأسه من الباب، وعادت الليدي باميلا إلى الظهور. حالما خرجت من باب

غرفته، قادتني الليدي باميلا إلى الردهة في الأسفل. وعندما وصلنا إلى صالة الدخول، أرسلت خادمًا ليأتي بعربة من أجلي. من مكانني الجاف داخل كارلتون هاوس، شاهدت المطر يهطل في الخارج بغزارة.

لم يعرض السائق مراقبتي بمظلة إلى عربته، وحذا حذوه الخادم الذي كان يتسعع عند باب كارلتون هاوس. والآن بعد أن لم أعد مهمة لجلالة الملك وعائلته، أصبحت بمفردي؛ لذلك رفعت تنورتي ومشيت بأسرع ما يمكنني.

عندما وصلت إلى العربية، واجهت صعوبة في التعامل مع الباب. لم يكتثر السائق لأمري. وعندما دخلت العربية، كان المطر قد أغرق ملابسي وأصبحت أرتجف. كان عقلي يدور بأقصى سرعة، ويفكر في الأمر مليًا، ويركز على هذه الأفكار، عندما افتح باب العربية، وقفزت بانسي بيلتمور للداخل.

الفصل ٥٠

قالت بانسي بيلتمور: "لا تصرخي وإلا فساطعنك"، وهي تدفع نصل سكين في خصري.

هربت مني شهقة قبل أن أستطيع السيطرة على نفسي. ثم بدأت ألوم نفسي. لماذا لم أكن أكثر حكمة؟ لقد انشغلت كثيراً بالتفكير في مشكلة الحفاظ على سلامة ماريا وميني، حتى سرت نحو الخطر بنفسي. همست بانسي بيلتمور وهي تميل علي وأنفاسها الساخنة تَخِزِّنُ أذني: "حاولت إقناعك بالعقل، لكنك لم تهتمي. أريد تلك الرسالة. أحتج إليها. لقد فقدت ابتي بسببها. ولن أفقد بيتي. إذا كنت تعتقدين أنك تستطعين أن تتغلبي علي، ففكري مرة أخرى. لقد استأجرت الرجل الذي يقود هذه العربة. لا يمكنك الهروب. أخبريني الآن أين الرسالة".

لم أعد أرجف من المطر الذي غمر ملابسي بل من الخوف. فكرت بسرعة في موقفني. هنا في الشوارع، لن تسنح لي أي فرصة للنجاة؛ لكن ربما أجد فرصة في منزل لوسي. لذلك قلت: "في خزانة في منزل لوسي برايتون".

سألتني: "أين بالضبط في المنزل؟".

أجبتها: "وراء لوحة في المكتبة".

ثم أدركت خطئي: من المحتمل أن يكون نيد وأديل في المنزل؛ فلن تأخذهما إميليا في نزهة في الحديقة لأن السماء تمطر. شددت قبضتي في توتر. لن ينجح هذا أبداً. يجب أن أفكر بسرعة، وأراجع الخيارات التي تبقت أمامي. فكرت مرة أخرى في خطبة لوسي حول كيفية الدفاع عن النفس. يجب أن أخطط للأمر جيداً. قالت لوسي إنه يجب علي أن أفاجئ خصمي على حين غرة. يجب أن استغل حقيقة أن السيدة بيلتمور مقتنة بأني أنصاع لرغباتها. أريدها أن تعتقد أنني وديعة جداً ومسالمة جداً للدرجة أني أخشى أن أقاتلها.

قلت: "سيكون هناك أطفال في المنزل". أرجو أن تكون لوسي في زيارة إلى ماريا فيتزهيربرت. وربما يقضي زوجي والسيد دوغلاس وقتهم في مكتبة هاتشارذ. وهذا من شأنه أن يترك لي فقط الخدم الذين أتعامل معهم، وسوف يقومون بتنفيذ أوامرني. لذلك من المفترض أن يظلوا آمنين، إذا أمرتهم أن يتركونا وشأننا.

أجابت: "حسناً، إذا كنت لا تريدين تعريض الأطفال للخطر، يجب أن تتبعي تعليماتي بدقة. لا أريد إلحاق الأذى بهم؛ لكن بالطبع، كل ما سيحدث يعتمد عليك وحدك".

إنها محققة في هذا الشأن: إن مصيرهم ومصيري في يدي. سأفعل أي شيء - أي شيء! - حرصاً على سلامه عائلتي وأصدقائي. وسوف أبدأ بتشجيع المرأة على الاستخفاف بي، والتفكير في أن الخوف والفزع قد استبد بي لدرجة لا أستطيع معها مقاومتها.

قلت: "زوجي أعمى. أرجوك لا تخطئي فهم تصرفاته على أنها عدوانية. إذا اقترب منا، فهذا لأنه يجب عليه ذلك... لكي يرانا". بذلت خائفة بشكل مناسب؛ لكن لدى خطة وراء إفصاحي عن هذه الحقيقة. أحتج إلى حماية زوجي، وأفضل ما يمكنني فعله هو التأكيد على عيوبه. والآن أصبح هذا أكثر ما يثير قلقني. لطالما استمتعنا أنا وإدوارد بعلاقة جيدة، نوع من التفاهم بيننا ينبعنا إلى احتياجات بعضنا البعض. ثم خطر ببالي الآن أنه إذا شعر أني في خطر، فقد يندفع لمساعدتي، وقد تكون العواقب وخيمة.

تنهدت وقالت: "إنه أعمى؟ يا للأسف! رغم أن هذا قد يجعل الرجل أكثر... قابلية للتطويع. هل لهذا السبب تزوجك؟ امرأة ضئيلة الحجم كالأطفال وعادية؟ لأنه لم يستطع رؤية ما يفعله؟ يا للعار!".

انحنىت السيدة بيلتمور، واقتربت مني بطريقة خطيرة، وقالت: "عندما توقفت العربة، سنخرج أنا وأنت معاً. أنا أمسك بحزام خصرك بقبضة قوية. إذا حاولت الابتعاد عنّي، إذا جريت بعيداً أو صرخت، فسوف أطعنك بكل قوتي".

قلت متعمرة بصوت كالنحيب: "أرجوك، أرجوك، كلا!".

بداء في صوتها نبرة الانتصار وهي تقول: "هل تريدين أن تشعري بحافة هذا النصل؟ كلا، لا أعتقد ذلك. اعلمي أنني شحدته هذا الصباح عند جزار، وهو حاد للغاية. ستصعد أنا وأنت السالم إلى الباب الأمامي. وسوف تدقين الجرس وتحسين الخادم كالمعتاد. وترسلينه بعيداً بسرعة لأننا بحاجة إلى الخصوصية، وبعد ذلك سنذهب نحن الاثنان معاً إلى غرفة الرسم".

قلت مصححة كلامها: "المكتبة. إنها في المكتبة".

فقالت: "جيد، هل ترين؟ يصبح الأمر أسهل بكثير عندما تبدين التعاون. لذلك سوف نذهب إلى حيث أخفيت الخزانة وراء اللوحة. وإذا قاطعنا أي شخص، فسوف تخبرينه بأننا نناقش مسألة حساسة -مسألة خاصة للغاية- وأننا نرغب في أن نكون بمفردنا".

قلت: "نعم، نعم بالطبع". وأنهار من العرق تجري بين لوحبي كتفي. أومأت بسرعة، وركزت على لعب دور الفار الصغير المروض.

اعتقد أنه من الأفضل استباقي أي مشكلة؛ لذلك قلت: "ماذا لو اقترب منا أحد؟ ماذا يجب أن أفعل؟".

قالت: "ستلقيين عليه التحية وتقولين إننا قمنا بتسوية خلافاتنا، وإنك تدركين الآن أنك كنت مخطئة بشأنني. يمكنك فعل هذا، أليس كذلك؟".

تلعثمت لأحافظ على وهم الخوف الشديد: "بالطبع".

قالت: "جيد، لأنني أكره أن أضطر إلى إيذاء أحد الخدم؛ لكن مثل هذه الأشياء تحدث. أما بالنسبة لصديقتك السامية والقوية السيدة برايتون...", وظهرت على وجهها ابتسامة قبيحة ثم أردفت: "فدعينا نقل فقط إنها غير مفيدة لي".

توصلت إلى قرار سريع وحاسم: إذا اضطررت إلى تسليم الرسالة إلى السيدة بيلتمور، فسأفعل ذلك. ورغم أنني قد أندم على أي مشكلات قد تسببها الرسالة لميني وماريا، إلا أنني لا أستطيع أن أخاطر بالحق الأذى بأسرتي.

توقفت العربية؛ فقالت: "تذكرني، لدى سكين. لا يمكنك الهروب مني. افعلي ما أخبرتك به وسيصبح كل شيء على ما يرام".

فقلت: "أدركت ذلك. سوف أتحرك ببطء حتى تبقي بقريبي". لم يقفز السائق من مكانه لمساعدتنا. وعندما أدركت ذلك، لويت المقبض، ووضعت كتفي وراء الباب، وفتحته، وخرجت من العربية. تحركت السيدة بيلتمور معي، وسرعان ما أصبحنا على حجارة الرصف المؤدية إلى الباب الأمامي لمنزل لوسي. بعد أن قرعت مطرقة الباب، فتح هيغينز المتزل لنا، وقال: "آه، سيدة روتسيستر. مرحبًا بك في البيت. السيد الصغير يقينا جميًعا مستمتعين. أعتقد أنه يتعلم المشي. إنه يسحب قطع الأثاث وما شابه".

قلت: "ياللسور! كم أود أن أرى تقدمه! لكن أولاً، سأذهب أنا والسيدة بيلتمور إلى المكتبة وأحتاج إلى الخصوصية. أرجو عدم إزعاجنا. آه، وسنبقى بالثياب الخارجية". أعلم أن هذا قد يبدو غريباً له؛ ورغم ذلك، لا أريده أن يمد يده نحو معطف السيدة بيلتمور؛ فتطلعه بسكينها.

كان وجهه لطيفاً كالمعتاد وهو يقول: "ألا ترغبان في تناول الشاي؟".

أجبته: "شكراً، لكن لا. ورغم ذلك، قد أستدعيك لأننا نتناول القهوة لاحقاً". وابتسمت له.

لا أشرب القهوة أبداً، وأعتمد على أن يدرك هيغينز هذا.

فقال: "حقاً؟ آه، نعم، صحيح تماماً". لمع بريق الفهم في عينيه وظهر تغير طفيف في نظرته على نحو لا تستطيع السيدة بيلتمور أن تكتشفه؛ على خلافي.

ما الذي سيفعله بعد ذلك، لا أعرف ولا أستطيع التخمين. ورغم ذلك، إذا قام بأي محاولة للتدخل، فسأشعر بالتأكيد بطرف سكين السيدة بيلتمور. أحتاج إلى أن يمنعني وقتاً لذلك أضفت: "لكن يمكن للقهوة أن تنتظر. لدى عمل يجب أن أهتم به أولاً. أريد الخصوصية".

قال: "أفهم. نعم، سيدتي". ورغم أن ملامح هيغينز لم تُظهر شيئاً، إلا أنني علمت أنه أدرك أن هناك مشكلة ما.

قلت: "أعتقد أن السيدة بيلتمور لا تزال بالخارج في زياراتها الصباحية؟". أردت أن أتحقق من أن لوسي لن تدخل علينا، ولن تعرض نفسها للخطر.

فأجاب: "نعم، يا سيدتي. أنت محققة تماماً. ولا يزال السيدان في الخارج أيضاً".

قلت بنبرة فضة: "حسناً، اذهب إذاً". وأعطيته إيماءة سريعة لينصرف، وهو شيء آخر لا يتماشى مع سلوكي.

قلت للسيدة بيلتمور عندما استأنفنا صعود الدرج ببطء: "أعتقد أننا سنجفف أنفسنا أمام النار في المكتبة".

لكن أخبرتني نظرة واحدة من فوق كتفي أن هيغينز يعلم أن هناك شيئاً خاطئاً من الطريقة البطيئة التي نصعد بها السلالم، وإنما فلماذا لم أطلب من بولي أن تأتي وتساعدنا؟ كانت مياه المطر تغرقني أنا والسيدة بيلتمور، وكان الماء يتتساقط من تنانيرنا على الأرض.

همست السيدة بيلتمور عندما وصلنا إلى بسطة السلالم: "لقد أبليت بلاءً حسناً. استمرري على هذا المنوال فحسب، وسأغادر مع الرسالة على الفور".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥١

بينما نمشي إلى المكتبة، فكرت مرة أخرى في محاضرة لوسي في ذلك اليوم في غرفة الليدي غرينجر. أحتاج إلى سلاح. شيء يكون بالقرب مني. شيء غير متوقع. اختلست النظر حولي. واتجهت عيناي على الفور إلى المدفأة، وأناأتذكر قصة لوسي عن قذف الرماد في وجه أحد مهاجم. لكن عندما نظرت إلى دلو الرماد، وقع قلبي بين قدميّ. لقد أفرغت سادي، وصيفة لوسي التي تقوم بكل شيء، كل ما تبقى من أوساخ وحصى من الدلو من الليلة السابقة.

يجب أن أفكر في شيء آخر يصلح للاستخدام.

أشرت برأسِي نحو اللوحة وقلت: "هذه هي اللوحة التي أخبرتك عنها. أولاً يجب إزالتها. ثم يجب أن أحضر المفتاح".

فسألتني: "أين هو؟".

أجبتها: "أخبرتني السيدة برايتون بأنه في المكتب؛ لكنني لا أعرف في أي درج".

قالت السيدة بيلتمور: "تحركي في هذا الاتجاه ببطء. يجب أن أبقى إلى جانبك، ولا تنسى أن هذا النصل حاد جدًا. لو طعتك مرة واحدة فلن تعيشي يومًا آخر".

قلت لنفسي: يجب أن تنتصرى عليها. ولن يمكنك ذلك إلا عن طريق التفكير بشكل جيد وهادئ.

بدأت أسرد أفعالي لأثبت المزيد من الطمأنينة في نفس السيدة بيلتمور، وقلت: "أولاً سوف أزيل اللوحة من الخطاف".

كان المنظر البحري على جدار عمودي على المنضدة. كافحت لرفع اللوحة الثقيلة بكلتا يدي، وتحرير السلك الموجود في الخلف من الخطاف.

قلت: "والآن سأضعها جانباً". تجاوزت السيدة بيلتمور قليلاً، وفي مواجهة قطعة من الأثاث أستندت اللوحة على أحد طرفي الورق النضاف. إذا نظر شخص ما من وراء المكتب، فسيجد أن لوحة تيرنر تشغّل الآن الرابع العلوي الأيسر، بينما في الرابع الأيمن تقبع جميع أدوات الكتابة الضرورية: المحبّرة وصندولق رمل تنشيف الحبر وحامل رسائل يمتلئ بأدوات مكتبية جديدة.

عدت مرة أخرى لمواجهة الجدار الخالي، وقلت: "كما ترين، الخزانة مكسوفة؛ لكنها مغلقة. لا بد من إخراج الصندوق من مخبئه من أجل فتحه".

صُنعت الخزانة من خشب البلوط القوي، ولفت بأشرطة نحاسية. تدلّى قفل ثقيل من حلقة على شكل حرف D في الواجهة، حيث تلتقي جميع الأشرطة. ثم اضطررت إلى الدوران حول السيدة بيلتمور لكي أضع الجسم الثقيل في متصف سطح المكتب.

كان هدفي هو إجبار المرأة على التعود على تحركاتي. نصحتنـي لوسي بأن أصنع مسافة بيني وبين السكين. يجب أن تخلـى السيدة بيلتمور عن حذرها لكي أـنا مـرادـي.

بقيت السيدة بيلتمور معـي خـلال كل تحركاتـي، ملتصـقة بـجانـبي. وـالآن، لإـلقاء نـظرة أـفضل عـلى الخـزانـة، تـراجـعت قـدـمـاً أو قـدـمـينـ. لـكن جـعلـتها المسـافـة بـيـنـنـا تـشـعـرـ بالـقـلـقـ.

لـذلكـ، جـذـبـتـني السـيدـة بـيلـتمـور إـلـيـها بـحـرـكـة سـريـعةـ، إـذـ تمـتـعـتـ بـسـبـبـ حـجـمـها الكـبـيرـ، بـمـيـزةـ أـخـرىـ تـسـمـحـ لـهـا بـالـسـيـطـرـةـ عـلـيـ؛ فـتـعـثـرـتـ. لـكـنـهاـ أـمـسـكـتـ ذـرـاعـيـ بـقـوـةـ بـيـدـ وـاحـدةـ، وـأـبـقـتـ فـيـ يـدـهـاـ الـأـخـرىـ السـكـينـ مـوجـهـاـ نـحـوـ خـصـرـيـ. ثـمـ وـضـعـتـ فـمـهـاـ عـلـىـ أـذـنـيـ وـقـالتـ بـصـوـتـ كـالـفـحـيـحـ: "احـذـريـ! مـنـ الـأـفـضـلـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ الـمـفـتـاحـ هـنـاكـ. مـنـ الـأـفـضـلـ أـلـاـ تـكـذـبـيـ عـلـيـ".

قلـتـ: "أـنـاـ لـاـ أـكـذـبـ بـشـأـنـ الـمـفـتـاحـ". ثـمـ شـعـرـتـ بـحـرـقـةـ عـلـىـ طـولـ الـجـزـءـ الـخـلـفـيـ مـنـ حـزـامـ خـصـرـيـ، وـعـنـدـمـاـ لـمـسـتـ تـلـكـ الـبـقـعـةـ، خـرـجـتـ يـدـيـ مـغـطـاةـ بـالـلـوـنـ الـقـرـمـزـيـ الـفـاتـحـ، بـلـوـنـ الـدـمـاءـ.

قالت وعلامات الرضا ترسم على وجهها: "لقد وخررت
فحسب يا عزيزتي".

وقفتُ أحدق في الدم الأحمر اللامع الذي غطى أطراف
أصابعي. من الغريب أن الطعنة لم تؤذني بالقدر الذي كنت
أتوقعه؛ لكنني علمت من الإصابات السابقة أن الجسم يمتلك
طريقة غريبة لتأجيل الشعور بالألم إلى وقت لاحق. أخرجت
منديلي وفركت أصابعي، وأنا أدرك أن جنبي ينزف بغزاره.
يوجد تجمع غريب من الرطوبة على طول حزام خصري،
مزيج من السخونة والبرودة، حيث يتسرّب الدم الساخن ثم
يبرد عندما يلامس الهواء.

قالت بحده: "أسرعني. ليس لدى اليوم كله".

أعدت منديلي إلى جنبي، وأثناء القيام بذلك، شعرت بلدغة
الألم وقاومت الرغبة في التقيؤ. ازدردت ريقني بصعوبة وقلت:
"سأفتح المكتب وأبحث عن المفتاح. أخبرتني لوسي أنه في
الدرج العلوي؛ لكن كما ترين، يمكن أن يكون أي واحد من
هؤلاء الثلاثة، ولا أعرف أي واحد منها".

هذه كذبة. أعرف جيداً أيها يحمل المفتاح: إنه في الدرج
السفلي الأيمن، وراء الجزء السري. لكنني التزمت من جديد
بهذه الممثل في تهدئة السيدة بيلتمور وجعلها تشعر بالأمان
الزائف. أردتها أن تعتقد أنها تسيطر علي سيطرة كاملة؛ لذلك
أضفت متسللة: "أرجوك، لا تطعنيني مرة أخرى".

فقالت: "إذا أسرعني".

قلت: "يجب أن أنتقل إلى الجانب الآخر للمكتب". ابعت السيدة بيلتمور خطواتي حول المكتب. لكن دوراننا انتهى عندما وصلنا إلى المسند الذي تضع عليه لوسي قدميها. تجاوزت المسند المنخفض؟ بيد أن السيدة بيلتمور لم تتجاوزه وأصبح المسند بيتنا.

قالت السيدة بيلتمور بصوت تملؤه الثقة: "استمري. تبلين بلاءً حسناً".

أصبحت في مواجهة الفجوة في منتصف المكتب، عندما فتحت الدرج في أقصى اليسار. وقفت السيدة بيلتمور في أقرب مكان ممكن لرؤيه ما أفعله، لكنها لم تتجاوز المسند. بحثت في الدرج، وبذلت الكثير من جهدي وأنا أغ沐هم: "أين هو؟".

ثم انتقلت إلى الدرج الأوسط. سمح لي الفوضى في هذا الدرج بالباطئ وأنا أغ沐هم: "قالت إنه هنا؟؛ لكنني لم أجرب على التمثيل لفترة طويلة. مع مرور كل دقيقة، يزداد الألم تحت ضلوعي شيئاً فشيئاً. وازدادت برودة حزام خصري، حيث أصبح أكثر رطوبة مع نزيف الدماء.

قلت لشد انتباها: "لا بد أنه في الدرج الثالث".

يمثل الدرج العلوي الأيمن آخر فرصة لي، أو هكذا سأجعل السيدة بيلتمور تصدق.

قالت: "أسرعني".

قلت: "أنا أحاول". تمكنت من تمثيل الخوف، وأنا أدرك تماماً أنه يتبعني علي أن أتصرف قريباً وبشكل حاسم.

تردد صدى وقع أقدام خارج الباب؛ فاستدارت السيدة بيلتمور نصف استدارة لتستمع. وعندما تشتت انتباها في تلك اللحظة، أبعدت السكين عن ضلوعي.

هذه فرصتي؛ لذلك أمسكت صندوق رمل تنشيف الحبر وألقيته على وجهها.

مَهْكِثِيَّةٌ يَا سَمَاءُ

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥٢

قالت بانسي بيلتمور ويداها تذهبان إلى وجهها: "أوف!" ووقع سكينها على الأرض؛ فركلت مسند القدمين بسرعة بكل ما أوتيت من قوة؛ فانطلق المسند واصطدم بركتيها ودفعها إلى الوراء. دارت ذراعاهما كالطاحونة وهي تكافح لاستعادة توازنها؛ لكن كان احتياجها لإبعاد الرمال عن عينيها قوياً أيضاً؛ فمالت جانباً واصطدمت بالدربزين النحاسي للمدفأة. أفرز الصوت العالي لللوعة كلتينا، واندفعت نحوه على نحو أعمى؛ لكنني تحجيت جانباً وبقيت بعيدة عنها.

قال إدوارد عندما دخل عبر باب المكتبة: "جين!" وتبعه السيد دوغلاس ثم هيغينز.

صحت في السيد دوغلاس: "التحقق سكينها. هناك! على الأرض!" فاتبع السيد دوغلاس بعينيه المكان الذي أشير إليه، ثم قال: "لقد رأيتها!" وأمسك السكين بينما جرى إدوارد نحوه ووقف أمامي ليحمياني بجسمه بطبيعته.

قال إدوارد: "عزيزي! هل أنت بخير؟ يا إلهي! ما هذا؟ أنت تنزفين!"، وتركت يده مكانها على خصري.

والآن التفت دوغلاس للسيدة بيلتمور... ثم بحركة سريعة ورشيقه، أمسك بإحدى ذراعيها اللتين تطوحهما يميناً ويساراً، وأدارها وراء ظهرها، ودفع رأسها للأسفل مقابل سطح المكتب؛ فصرخت وأخذت تصفعه بأقدع الألفاظ؛ لكنه أمسكها بقوة.

قال السيد دوغلاس لهيجينز: "نريد حبلاً. حبلاً طويلاً. أحضر ويليامز. ستجد لديه الحال ويمكنه المساعدة. ثم اذهب وأحضر السيد ويفرلي من بوستريت".

صرخت السيدة بيلتمور: "دعني!" لكن خرجت كلماتها مخنوقة لأن وجهها مضغوط على سطح المكتب. ثم قالت بغضب: "اتركني!".

وضع إدوارد ذراعه حول خصري. وفرك أصابعه بتردد وقال: "دماء؟ جين! أنت مصابة".

قال هيجينز عندما أتى إلى الغرفة مع بولي وويليامز وحبل طويل: "سارسل شخصاً ما لإحضار السيد ليرنر".

قال إدوارد: "سأهتم بك". ثم أمسك بي وحملني إلى الأريكة.

استمرت السيدة بيلتمور في الصراخ وارتقت صرخاتها عندما أدركت أن السيد دوغلاس لن يتهاون معها.

بناءً على تعليمات السيد دوغلاس، سرعان ما ربط هيغينز وويليامز السيدة بيلتمور بكرسي بظاهر مستقيم. وطوال الوقت، كانت تعض على نواجذها وتحاول ضرب رأسها بأسريها، واستمرت في الصراخ؛ لذلك فك هيغينز ربطه عنقه وحشرها في فمها.

نزلت بولي على ركبتيها لتنظر إلى جرحي، فظهر الفزع جلّاً على وجهها وهي تقول: "سأحضر المناشف والماء. ربما يبدو أكثر سوءاً مما هو عليه بالفعل". وعندما أبعدت القماش عن خصري، شحب وجهها من القلق والتفت إلى إدوارد وقالت: "سيد؟ أرجو أن يأتي الطبيب بسرعة. هذا لا يبدو جيداً".

بدأت السيدة بيلتمور، في محاولة لتحرير نفسها بهز الكرسي للأمام والخلف؛ لكن لم تفلح خطتها. وعندما لاحظ السيد دوغلاس ما تحاول فعله، قام هو وإدوارد بوضع المرأة وكرسيها في الركن بعيد في الغرفة حيث لن تجدي محاولاتها شيئاً.

وصل السيد ويفرلي بعد ذلك بوقت قصير. ألقى ضابط بوستريت نظرة واحدة على الدماء التي تنزف من جرحي، وبدأ يلعن بصوت خفيض، ثم قال: "كيف حدث هذا؟".

قلت رغم أني ألهث من الألم: "استدعاني الملك إلى كارلتون هاوس. وبينما كنت أغادر، قفزت السيدة بيلتمور إلى عربتي ووضعت سكيناً في جنبي. وأخبرتني أنها اتفقت مع

السائق. أعتقد أنهم كانوا يراقباني واختارا ذلك الوقت للهجوم على".

سأل السيد ويفرلي: "هل كانت تسعى وراء الرسالة؟".

أجبته: "نعم. واللدي كونينغهام كذلك. لقد اعترضت طريقي خلال زيارتي للملك. وهددتني الماركيزة إذا لم أعطها الرسالة بأنها ستزعم أن لوسي سسمت اللدي إنجرام".

قال إدوارد: "اللعنة عليها! لذهب إلى الجحيم!".

قال السيد ويفرلي ملخصاً الجريمة: "هاجمتك السيدة بيلتمور بسكين، وطلبت دخول منزله، وأرادتك أن تفتحي خزانة لا تملكونها، وهددت حياتك؟ ثم طعتك".

قلت وأنا أزداد ضعفاً كل دقيقة: "نعم".

قال هيغينز: "لقد وصل الطبيب للتو".

عندما اقترب السيد ليرنر، تركت له بولي مكانها بجواري. وعندما جثا على ركبتيه، سقطت الأوراق من حقيبته.

قلت لنفسي: يجب أن نشتري له حقيبة يمكن إغلاقها بشكل مناسب.

وبعد فحص سريع، قال السيد ليرنر: "سأكون ممتنًا لو كان هناك ضوء أفضل. هل نستطيع نقل السيدة روتشيستر إلى سرير في غرفة بها نافذة غربية؟".

استخدم إدوارد والسيد دوغلاس أذرعهما لحملي. وبينما يحملانني في الردهة، وضعت رأسي على صدر زوجي وتركت دقات قلبه تهدئني. قال إدوارد وهو يقبل أعلى رأسي: "ستكونين بخير يا عزيزتي. يجب أن تكوني بخير لأنني لا أستطيع العيش من دونك".

أحضرت بولي المزيد من المناشف ووعاءً من الماء النظيف. أضاف الطبيب إلى كوب من الماء بعض قطرات من اللودانوم ثم اقترح أن يغادر السيد دوغلاس الغرفة. ثم طلب السيد ليرنر مساعدة بولي، وقطع الاثنان فستاني عن جسدي.

شعرت بالأسف على الفستان. لقد تدمّر؛ وكنت قد أحببت لونه. قلت هذا لإدوارد، فأجاب: "يسعدني أنأشتري لك مستودعاً كاملاً يمتلك بالحرير لتحصلي على المزيد من الفساتين".

بعد أن وضعوني على جنبي غير المصاب، قال السيد ليرنر: "بجوار قطرات اللودانوم، يبدو أن تشتيت الانتباه يساعد مرضي في التعامل مع الألم. لذلك، أقترح أن تتحدى إلي عن أي شيء، أي شيء يعجبك".

سألته وأنا ألهث: "لماذا؟".

أجاب: "لأن هذا سيؤلمك كثيراً".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥٣

لم يكن السيد ليرنر يكذب. شعرت بوخز حاد ومؤلم في جنبي، فمد لي إدوارد يده؛ وأمسكت بها. أجهلت وقلت: "سيد ليرنر أخبرني عن دراساتك في جمعية لونارتيك. ما نوعية الأشياء التي وجدتها أكثر إثارة للاهتمام؟".

تجعدت جبهة الطبيب وهو يفكر، ثم قال: "في الآونة الأخيرة، علمت من أحد زملائي في الجمعية كيف أن نباتاً منتشرًا بين نباتات الحدائق الاعتيادية يستطيع أن يساعد قلباً ضعيفاً. كان من المحتمل أن يساعد منقوعه الليدي إنجرام، على سبيل المثال، على أن تعيش حياتها بأريحية. لكنه يتطلب إشرافاً دقيقاً".

سؤال إدوارد: "إذاً، كان من المحتمل أن تساعدها؟".

أو ما السيد ليرنر وقال: "أعتقد ذلك. كان الأمر سيتطلب زيارات يومية والكثير من الاهتمام لأنه يتطلب معايرات دقيقة. الكثير منه قد يوقف القلب؛ لكن قد تساعد كمية صغيرة منه على تنظيم عمل القلب. يتطلب الأمر توازنًا دقيقاً".

قلت: "إذاً، أنت تقول إن هذا الممنوع يستطيع أن يكون سماً وعلاجاً؟". بدت لي هذه الفكرة مثيرة للاهتمام؛ حيث كنت أعتقد أن السموم أشياء مضرة فحسب.

قال الطبيب: "نعم"، ثم أخبر بولي بأن تقرب المصباح أكثر لإعطاء المزيد من الضوء.

قال إدوارد لكي يقيني مشغولة وليس نتيجة اهتمام حقيقي: "إذاً تكمن الحيلة في الحرص على ألا تحصل الليدي إنجرام على الكثير جداً من هذا العلاج، أو على القليل جداً منه".

فأجاب السيد ليرنر: "بالطبع. أولاً يجب تحضيره بشكل صحيح، وإجراء تلك المعايرات، ثم تقديمها بجرعات صغيرة، مع تسجيل استجابة المريض. كما ترون، يستطيع تعزيز قلب ضعيف؛ لكن الكثير منه يشبه إعطاء حصان نخزة حادة وقوية بالمهماز. سوف يركض وربما يقتل الراكب". ثم توقف عن التحدث وانحنى ليستأنف فحصه لجرحي.

قلت الأمر البدهي الواضح: "لكنك لو كنت قد عالجت الليدي إنجرام، لما أنقذها هذا من السم".

رغم الألم، أو ربما بسببه، أصبح عقلي يشعر بحالة صفاء استثنائي. فجأة، أصبح باستطاعتي وضع نظرية بشأن ما حدث للنبي إنجرام. لكن يجب أن ألقي بعض الأسئلة أولاً. قلت: "هل يعرف أي شخص عن استخدام هذه الزهور الشائعة؟".

يشبه الألم مخلوقاً حياً، تنيناً شرساً يزحف تحت جلدي.

أجاب السيد ليرنر: "أخبرت بيتي إنجرام عن هذا العلاج بمصطلحات عامة. ولم تكن الليدي إنجرام جزءاً من هذا النقاش. أرجو أن تحاولني البقاء ساكنة حيث لا يزال أمامي المزيد من العمل".

فقلت: "حسناً".

اشتد علي الألم ووجدت من الصعب ألا أبتعد عن مصدره؛ لكن بدأ السيد ليرنر يتمتم مشجعاً إياي، وأمسك إدوارد يدي بكل قوته. سأل إدوارد: "كيف يحضر هذا المنقوع؟".

أجاب السيد ليرنر: "أولاً، يجب قطف الأوراق في يوم جاف. ولا بد من تجفيفها أكثر ثم إعداد المستخلص. وستقطع جرعة صغيرة من الأوراق طريقاً طويلاً. وفي كل خطوة، لا بد أن يسجل المرء ملاحظات دقيقة. وعند تقديم المنقوع، يجب تسجيل المزيد من الملاحظات من أجل مراقبة الجرعة والتحضيرات بعناية".

قلت رغم أن الجهد يكلعني كثيراً: "لكنك وصفت ثمر الورد لمساعدة الليدي إنجرام".

فأجاب السيد ليرنر: "نعم، هذا نوع آخر من زهور الحدائق الشائعة ذات الاستخدامات الطبية. ورغم ذلك، ليس ثمر الورد مضرياً بأي جرعة. لكن اعتقاد الأطباء لفترة طويلة أن النوع

الآخر الذي أتحدث عنه سام. وبعد أن قام صديقي بتخفيفه، أدرك فائدته العلاجية".

قال إدوارد: "لكن هنا تكمن المشكلة، أليس كذلك؟ العثور على التخفيف الصحيح. لن يطول الأمر كثيراً، يا جين".

قال السيد ليرنر: "صحيح. إذا كانت الجرعة خاطئة، فمن المحتمل أن يموت المريض؛ لكن بخلاف ذلك قد يشعر المرء بالدوار. وربما يغمى عليه أو يصيبه الدوار. وفي بعض الأحيان، قد يكون من الصعب على المرء أن يتقط أنفاسه. وقد تتسرع ضربات القلب أو تباطأ بالتنفس".

توجعت قائلة: "آه". وتركت نفسي أشهق من الألم. انهمرت دموعي؛ لكنني كتمت رغبتي في الصراخ.

قال السيد ليرنر وهو يحرك زوجاً من الملاقط الملطخة بالدماء بجوار وجهي: "جيد جداً. جيد جداً جداً. لقد انتهينا من هذا. أترى حشر رأس السكين جزءاً من القماش في لحمك. ولو لا أنني وجدته، لتقرح الجرح وأصابتك حمى. لحسن الحظ، كان الجرح مفتوحاً على نحو لم يكن معه العثور على قطعة القماش أمراً صعباً للغاية. وأكره أن أُخرك وأولمك أكثر من هذا".

تشاقلت عيناي وأصبحت لا أستطيع إيقاعهما مفتوحتين إلا بصعوبة. قلت: "هل له اسم شائع؟".

سأل السيد ليرنر وهو يخيط جرحه: "ماذا تقصدين؟".

قلت: "ذلك النبات. النبات الذي كان يمكن... أن يساعد... الليدي... إنجرام...".

أجاب السيد ليرنر: "العديد من الأسماء الشائعة. يطلق عليه البعض قفاز السيدة. ويطلق عليه آخرون القمعية. لقد انتهينا هنا. انتهينا".

همس إدوارد: "عزيزي الشجاعة، الشجاعة جداً".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥٤

استيقظت بعد وقت قليل على صوت لوسي وهي تنشد
ترنيمة عذبة.

قالت لوسي وهي تضع خصلة من الشعر وراء أذني: "مرحباً
بحبيبة قلبي. كيف حالك؟".

أجبت: "موجوعة". هذا كل ما استطعت قوله.

قالت لوسي: "أعدت الطاهية لك حساءاً لذيذاً من اللحم
البقرى. سأجعل سادى تحضره إليك. يقول السيد ليرنر إنه
يجب أن تتناولى أكبر قدر منه". ثم ابتسمت في وجهي وربت
على خدي. وعندما التفت إلى النوافذ، أدركت أن الظلام يكاد
يحول بالخارج.

قلت: "نيد؟ إدوارد؟ أديل؟". خرجت الأسماء من فمي
مسرعة.

رغم النظرة الكثيبة التي تعتملي ملامع لوسى، إلا أنها
ضحت فتمايلت الكشكشة البيضاء التي تحيط بوجهها

برقة، ثم قالت: "سوف ينزعج بروس عندما يسمع أنك نسيته. الجميع بخير. لقد نمت لساعات طويلة. الرجلان في الطابق السفلي. والطفلان نائمان".

قلت: "لوسي لدى أخبار جيدة". شعرت بأن فمي جاف كالصحراء؛ لكنني أخبرتها عن زيارتي للنبي كونينغهام، ثم أردفت: "أعلم أن هذا لا يبدو مبشرًا؛ لكنني حصلت على وعد منها بأنها والملك سيد عمان إيفانز خلال تعبيده. سوف يصبح الاثنين عرايين له... إذا أردت. وإذا وافقت على أن أسلم الخطاب؟".

قالت لوسي متعجبة: "أنت مدهشة. كنت تفقدين حياتك، ولا تستطيعين الانتظار لمشاركة خطة لحمايتك. لكن يكفي التحدث عن الخطاب الآن. نستطيع أن نتحدث عنه لاحقًا".

قلت: "لكنه في أمان؛ أليس كذلك؟".

أجبت: "عندما عدت إلى المنزل، وسمعت عن شجارك مع السيدة بيلتمور، تحققت من وجوده. الخطاب بداخل الخزانة وراء اللوحة، وتلك المرأة المريعة في السجن".

ثم ملأت كوبًا بالماء ووضعت نقطتين من اللودانوم، ثم قربته من شفتيّ، وساعدتني على تناوله. وبعد ما شربته، قلت: "أعلم أنك قلقة على ماريا فيتزهيربرت وميني؛ لكنني إذا لم أعطها الخطاب، فسوف تعمل هي والأنسة إنجرام على تحطيمك".

نظرت إلى لوسي نظرة حانية وقالت: "هشش يا جين. لا ترهقي نفسك. لقد تحدثت إلى ماريا عن الخطاب. كان هذا سبب زيارتي لها".

سألتها: "ماذا فعلت؟".

أجبت: "إنها تعرف بأمره بالفعل. كارلتون هاووس مليء بالسعادة الذين لا يعرفون معنى الولاء للملك. يبلغون أي شيء يسمعونه إلى أي شخص يدفع لهم جنيهًا أو اثنين. هناك عدة أشخاص يعملون لحساب دوق يورك الذي أخبر ماريا بما حدث".

سألتها: "وماذا قالت؟".

قالت: "إنها تعرف الملك أكثر من أي شخص في العالم. لقد توقعت شيئاً مثل هذا. إنها ليست حمقاء، لقد شعرت بأن هناك خطراً يلوح في الأفق. ومع تزايد غضب العامة من طريقة معاملة الملك لكارولين من برونزويك - إلى جانب الأخبار اليومية عن المبالغ الضخمة التي ينفقها على تنويعه - يصبح من السهل تحريضهم على الثورة ضده في الشوارع".

قلت: "لكنها أتت هنا إلى لندن وظهرت على الملأ هي وابنتها!".

قالت: "نعم، فعلت ذلك. لقد أتت لمقابلة دوق يورك وطلب مساعدته. وإذا ظهر الخطاب للعامة، فإنها تخطط

للهرب من البلاد". تحدثت لوسي بهدوء واتزان أنبأني أنها وماريا فيتزهيربرت تحدثتا في هذا الموضوع مطولاً. كان حديثها متزناً للغاية حتى ظنت أنها لا تشک في صحة هذه الخطبة.

سألتها: "وهل هي راضية عن هذا المسار؟ هذا القرار؟".

كانت لوسي تحدق في أصابعها. ثم رفعت ذقنها وصوّبت نظراتها خارج النافذة نحو مكان بعيد عن هنا، ثم قالت: "إنها راضية. إنها الطريقة الوحيدة".

سمعت التردد في صوت صديقتي؛ فقلت: "لكن؟".

فقالت: "لكن ميني ترفض أن تذهب معها. لن ترك الشاب الذي تريد أن تتزوجه. إنه في الجيش، وإذا تقرر أن يغادر البلاد، فسوف يهرب من الجندية".

ظننت أن الأمر قد سوي تماماً. كنت قد فكرت فيما سأفعله، وخططت لتسليم الخطاب إلى الليدي كونينغهام وتحرير لوسي من لعنتها. والآن، مرة أخرى، أصابتني الحيرة والارتباك وجعل اللودانوم الأمور أكثر سوءاً وأنا أقاوم تأثيره.

أعلم أنه ينبغي أن أضع ولائي تجاه صديقتي، مقابل العدالة تجاه شابة لم ألتقي بها سوى مرة واحدة، شابة واقعة في الحب.

قلت: "لكن يا لوسي، إذالم أعط الخطاب للليدي كونينغهام، فسوف تتأمر هي والأنسة إنجرام على تدميرك".

فقالت: "لا تستطيعان ذلك إلا إذا اهتممت بقبول الطبقة الراقية لي". ثم وقفت وبدأت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وهي عادة تنغمس فيها عندما تفكّر في مشكلة ما. ثم أردفت: "أجبرتني زيارتك على إعادة تقييم كل ما كنت أعتقده مهمّاً. وعندما عدت من زيارتي الصباحية، واكتشفت أن صديقتي المقربة تعرضت للطعن، اهتديت إلى الصواب. لا بد أن تفهمي يا جين أنني اتجهت إلى الطبقة الراقية للترفيه والاعطف والشفقة، عندما أدركت أنه ربما لا يُسمح لأوّلئك بمعادرة الهند مطلقاً. لكن منذ أن رحبت أنت وعائلتك بي في حياتكم، أدركت أنني لا أهتم بالطبقة الراقية. إنهم لا يعنون لي شيئاً، بينما تعنين أنت وإدوارد وأديل ونيد لي الكثير. لن يتخلّى عنّي أصدقائي الحقيقيون، مهما نبذني المجتمع".

عندما عادت إلى الكرسي المجاور لسريري، كان الهدوء يعلو وجهها. يمكنني القول إنها فكرت في الأمر مليّاً، وأسعدني أنها وصلت إلى قرار.

سألت: "ماذا عن اتهاماتهما؟".

فقالت: "لا يمكنهما إثبات شيء لم يحدث مطلقاً. ربما تحاولان؛ لكنهما لن تستطعا. وبفضل اتهام ماري إنجرام للسيد ليerner، أصبح جميع من في شرطة بوستريت يعلمون أن فتاتي إنجرام تميلان إلى تقديم إفادات كاذبة. لا أقول إما أن تعطي الخطاب للبدي كونينغهام أو تحرقيه، هذه الأوراق

المشؤومة سببت لي ذلك... الكثير من الأسى. إنه شيء ملعون، وتشعر ماريا بهذا أيضًا. كما يجب على ميني والشاب الذي تحبه أن يفكرا فيما يريدان فعله. من المحتمل أن يستطيع دوق يورك أن يعينه في مكان بالخارج. سترى. لكن مرة أخرى... أنصحك بأن تحرقي الخطاب، أو تفعلي به ما تشائين؛ لكنك لا تستطعين حمايتها أو حماية ماريا أو ابنتها".

أحضرت سادي صينية عليها شاي وبسكويت رقيق وطبق حساء زكي الرائحة، وقالت: "طلب السيد روتشيستر أن أحضره عندما تستيقظين يا سيدتي".

قالت لوسي: "سأحضره". ثم طبعت قبلة على خدي قبل أن تغادر.

وبعد لحظات جاء زوجي إلى الباب وهو يحمل نيد بين ذراعيه، وقال: "انظر أيها الشاب الصغير! ها هي والدتك! لديك مفاجأة لها، أليس كذلك؟".

قال نيد: "ما - ما؟ فكدت أذوب من السعادة.

ظهرت أديل من ورائهم وقالت: "لقد علمته هذا. كنت قلقة جدًا عليك". واندفعت الفتاة الفرنسية نحوه؛ لكن أمسكها إدوارد من حزامها وأوقفها وقال بالفرنسية: "احترسي! بلطف".

قلت لأطمئن أديل: "لوقت قصير فحسب يا صغيرتي. أنا مصابة؛ لكنني سأتعاافي".

ظهرت إميليا في المدخل وقالت: "وقت الحمام والنوم أيها السيد الصغير. يمكنك القدوم لمساعدتي أيتها الآنسة الصغيرة. يسعدني أن الجرح ليس خطيراً يا سيدتي. أنا مسروقة للغاية".

وعندما أغلق الباب وراءها في النهاية، أصبحت أنا وزوجي بمفردنا.

قال إدوارد: "كيف حالك؟". وفرد أصابعي المغلقة وقبل راحة يدي.

أجبته: "ضعيفة. رأسي ثقيل. وجانبي يؤلمني، وأنا مرتبكة. إدوارد؟ لماذا لم تخبرني أنك قاتلت في مبارزة ذات مرة؟".

فقال: "آه؟ لقد سمعت عن هذا". لقد فاجأته. ورغم ذلك لم يترك يدي؛ لكنه خفف قبضته ثم قال: "إنها إحدى الحوادث الحمقاء التي وقعت في شبابي. حادثة تغلب فيها انفعالي على عقلي، ودفعت ثمن ذلك".

قلت: "إذاً، هل قاتلت رجلاً آخر؟".

قال: "لا، لم أفعل. كنت أنظر هناك في الفجر، ويداي ترتجفان وركبتي ترتعشان وأنا أسأله عمما ورطت نفسي فيه عندما تسلل جون من ورائي ورمى جوال بطاطس فوق رأسي. شرعت وقتها في توبيخه وضربه؛ لكنني كنت في الوقت نفسهأشكره لأنه أنقذني من نفسي. لماذا تسألين؟".

أوضحت له مخاوفه عندما استدعاني الملك. وأخبرته أيضاً عن وعد الليدي كونينغهام بأنها والملك سيصبحان عرابين لإيفانز مقابل الخطاب.

فغر إدوارد فاه من الدهشة وقال: "هل وعدت بذلك حقاً؟".
سألت: "ألا يصنع هذا فارقاً للمجتمع الراقي؟".

قال وهو يلمس فكي بيده الحانية: "بالطبع، سيصنع فارقاً كبيراً. يجب أن يكون هناك ثلاثة عرابين للطفل؛ لذلك الملك والماريزة والسيد دوغلاس سيدعمون إيفانز. وحسب قوانين الكنيسة، العرابون آباء وأمهات مساعدون تقتضي مهمتهم منح الطفل التربية الروحية الالائقة. لن يستطيع أحد أن يقول إن إيفانز غير مرغوب بعد هذا التعهد العلني. في الحقيقة يا عزيزتي، إنها فكرة رائعة".

قلت: "لكن لوسي تقول إنها لا تهتم"، وأخبرته عن قرارها بشأن عدم أهمية الطبقة الراقية في نظرها.

قال زوجي: "آه. لكن عندما يصل إيفانز، قد تغير رأيها. يحررك الطفل على التفكير في حياتك في سياق مختلف. على الأقل، هذا ما فعله نيد معى".

قصصت عليه ما أخبرتني إياه لوسي عن ماريا فيتزهيربرت وميني سيمور، ثم قلت: "وهكذا ترى يا زوجي العزيز أنني لا أستطيع مساعدة لوسي دون إيذائهم. ولا أستطيع ضمان ألا

تُتهم لوسي في وفاة الأرملة إنجرام. سيقع على عاتق السيد ويفرلي أن...".

قاطعني إدوارد قائلاً: "لن يلتفت أحد إلى هذه الاتهامات لسخافتها. إنه يعرف ما تسعى وراءه بتنا إنجرام. لكن إذا تعرض كبير القضاة للضغط، فمن يعلم ما الذي قد يحدث؟".

قلت: "إدوارد، لا أعرف ما يجب علي فعله. لا أعرف". وأمسكت يده الحانية وأنا أرجو أن تنتقل قوته إلي.

قال إدوارد: "إذا استريحي يا جين. استريحي هذا المساء على الأقل. ودعني التفكير في هذا الأمر".

وهذا ما فعلته.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥٥

في الصباح التالي، أحضرت لي سادي ب ايضاً مسلوقاً و خبزاً و شريحة لحم و شايأً. و رغم أنني لا أزالأشعر بالضعف، إلا أن الإفطار كان مفيداً. أتت بولي، سيدة الأزياء ومساعدة الجرحى، بعد نصف ساعة وقالت: "أخبرني السيد ليرنر أن أفحص جرحك وأرى حاله. سوف أمسحه بالعسل. تقول أمي إنه يساعد على التئام الجروح".

كانت بولي على وشك الانتهاء من الاعتناء بي، عندما قرعت لوسي الباب برفق وقالت: "كيف حالك هذا الصباح؟". أجبتها: "أفضل، وأعتقد أنه لا بد أن تكون هناك طريقة للتغلب على هذه الاتهامات بالقتل، بالإضافة إلى مشكلة الخطاب. وبينما أنا مضطربة إلى الاستلقاء، أخطط لتوجيهي عقلي نحو كلتا المشكلتين. هل يمكنك أن تحضري القلم الرصاص ولوحة الرسم؟ سوف يساعدني هذا على التفكير. آه، وهل يمكنك إحضار هذا الكتاب عن الزهور من مكتبتك؟ الكتاب الذي كنت أبحث عنه من قبل؟".

عملت طوال الصباح على إضافة النباتات المتسلقة والزهور إلى القطعة التي أصنعها من أجل إيفانز. وبعد التفكير في الخطاب وعدم الوصول إلى حل للتعامل معه، قررت أن حل لغز وفاة الليدي إنجرام سيقطع شوطاً طويلاً على الأقل نحو حماية سمعة صديقتي.

قررت أن أراجع الحقائق، في حال تغاضينا جمیعاً عن بعض الأشياء الأساسية المنطقية. بعض التناقضات. شيء في غير محله. شيء مفقود كان يجب أن يكون موجوداً. سألت نفسي باللاتينية: "من المستفيد؟". من الذي استفاد من موت الأرملة؟ إذا كانت الأرملة الليدي إنجرام تشكل عائقاً، فمن الذي اعترضت طريقه؟ كيف سيفيد موتها أي شخص؟ ولماذا يجب أن تموت الآن؟

ما الذي تمثله الأرملة الليدي إنجرام؟ لماذا اعتبرت تهديداً لا يمكن التغلب عليه؟

بالنسبة لخدم الليدي غرينجر، مثلت الأرملة الليدي إنجرام وبيتها إزعاجاً على المدى القصير؛ لكن لا يوجد سبب لقتل الليدي إنجرام، لأن عائلة إنجرام سيتركن المنزل في النهاية.

بالنسبة إلى لوسي، كانت الليدي إنجرام عقبة فيما يتعلق بمكاناتها الاجتماعية؛ لكن لم تستفد لوسي من قتل الليدي إنجرام. كانت صديقتي تأمل في عقد هدنة مع الأرملة. ولم

تعرف لوسي شيئاً عن التغييرات التي طرأت على وصية الليدي غرينجر.

علاوة على ذلك، لم تتح الفرصة للوسي لتسميم القهوة. أمسكت بالعلبة؛ لكن لفترة وجيزة قبل أن تمررها.

أما بالنسبة للليدي كونينغهام، فتعد الليدي إنجرام مجرد زائرة أخرى. خططت الماركيزة لزيارة الليدي غرينجر كفرصة لفهمي وتقييمي. وليس لديها أي سبب لتسميم الليدي إنجرام.

بالنسبة للسيدة غرينجر، كانت زوجة أخيها وبناتها أخيها مصدر إزعاج؛ لكن ليس أكثر من ذلك. لقد مارست سيطرتها على عائلة شقيقها، لأنها تمسك بحالي المال. لذلك ليس لديها أي سبب لتسميم زوجة أخيها.

وبالنسبة للمجلة بلانش إنجرام، كانت والدتها حليفتها التي تساعدها على موافقة حياتها بمثابة عضوة غير متزوجة في الطبقة الراقية. وطالما بقىت الليدي إنجرام على قيد الحياة، تستطيع الأم وابنتها العمل معًا على زيادة شعبية بلانش.

أما فيما يخص ماري إنجرام، فكانت والدتها سبباً يساعد على تحقيق خيالاتها. فطالما يعالج السيد ليرنر الليدي إنجرام، تستطيع الأنسنة ماري الاستمرار في مقابلة الطبيب الشاب، على أمل أن يقع في حبها يوماً ما. لذلك، ليس لديها سبب لتسميم والدتها.

قلت لنفسي: "حسناً يا جين. لقد وصلت إلى طريق مسدود.
بماذا تنصحين طالباً يعمل على حل مسألة حسابية؟".

سأقترح أن يتعامل تلميذى مع المسألة من زاوية مختلفة.

ماذا لو...؟ أعرف أن هاتين الكلمتين هما أقوى كلمتين في
مفردات أي شخص مبدع. ماذا لو رسمت السماء هكذا؟ ماذا
لو أضفت صوت الأجراس إلى هذه القطعة الموسيقية؟ ماذا لو
حفرت حول العيب في قطعة الرخام هذه؟

ماذا لو...؟

ماذا لو كان التسمم مصادفة؟ ماذا لو لم يقصد أحد أن
تموت الليدي إنجرام؟

الفصل ٥٦

سمحت لهذا السؤال بأن يحوم في عقلي. لم أحاول أن أبعده أو أجبره على أن يأتي بنتيجة ما. تركته يصول ويجول في ذهني، بينما أواصل العمل بالقلم الرصاص، وأتحول أحياناً إلى القلم الجاف عندما تكون النتائج مرضية. بعد فترة، سئمت من الأقحوانات والورود التي أضيفها. تتطلب أعمالي الفنية شكلاً مختلفاً، لذا قلبت الصفحات في كتاب أوغري الرائع عن نباتات الحدائق. فكرت في هذه الزهرة وتلك، ورفضت كلاً منها على حدة، حتى صادفت قفاز الثعلب. الأزهار النحيلة التي تشبه الأقماع التي ستصنع تناقضًا جيداً مع الزهور الأخرى التي رسمتها.

قفاز الثعلب. يُعرف أيضاً باسم قبعات الجنبيات وأجراس الجنبيات وأصابع الجنبيات وقفاز السيدة. العشبة نفسها الثنائية الحول التي قطعتها الآنسة ماري حتى الأرض في حديقة السيدة غرينجر.

لماذا فعلت مثل هذا الشيء؟ لقد زرت العديد من الغرف في منزل السيدة غرينجر، إلا أنني لم أر باقة واحدة من الزهور النضرة. ولا واحدة. إذاً ما الذي حدث مع كل تلك النباتات؟ تشير القطع المتبقية من السيقان إلى حصاد وفير. أين ذهبت جمیعاً؟

ثم لماذا أخبرتني بولي؟ شيء قالته دورسي عن أن الآنسة إنجرام الصغرى أحذثت فوضى في المطبخ.

لماذا تفعل الآنسة ماري مثل هذا الشيء؟

الآنسة ماري، التي تتبع السيد ليرنر مثل جرو عاشق. الآنسة ماري، التي تريد أن تثبت للسيد ليرنر أنها ستكون زوجة جيدة لطبيب. الآنسة ماري، التي تتوق إلى استحسان والدتها. الآنسة ماري، التي تحتاج أن تأخذ والدتها موقفاً قوياً وتطلب من اختها أن تتوقف عن التسويف وأن تتزوج أخيراً من شخص ما. لماذا تقطع الآنسة ماري حوضاً كاملاً من قفاز الثعلب وتأخذه إلى مطبخ الليدي غرينجر؟

إلا إذا... إلا إذا كانت تح خطط لاستخدامه.

ثم فكرت: ماذا لو التقطرت الآنسة ماري أوراقاً خاطئة من حقيبة السيد ليرنر؟ ربما قرأت ملاحظاته المتعلقة بمعايرة قفاز الثعلب المعروف باسم ديجيتالس. وعندما اعتقدت أنها تستطيع اتباع التعليمات، ربما حاولت تحضير منقوع بنفسها. ما هي أفضل طريقة يمكن أن تثبت من خلالها ماري إمكاناتها كزوجة لطبيب، ناهيك عن كسب حب والدتها، من علاج المرأة التي تعاني من مشكلات في قلبها؟

الفصل ٥٧

رغم الإثارة التي أشعر بها عندما وضعت أجزاء الحل الممكн معًا للغز وفاة الأرمدة الليدي إنجرام، إلا أن جرجي أرهقني كثيراً لدرجة أني اضطررت لأنخذ غفوة أخرى. ولم أستيقظ إلا عندما جاءت بولي، وقالت: "السيد ويفرلي هنا لرؤيتك يا سيدتي. هل أصرفه؟ نبه علينا زوجك بآلا نرهقك كثيراً".

فقلت: "كلا، أود التحدث معه. هل تساعديني في ارتداء ملابسي؟".

فقالت: "بالطبع".

سألتها: "هل الآخرون هنا؟ أين السيدة برايتون؟".

أجبت: "لا، جميعهم بالخارج. الطفلان يمشيان في الحديقة مع إميليا، والسيدة برايتون خرجت لطلب إكليل جنائزى لإرساله إلى منزل السيدة غرينجر من أجل رؤية الليدي إنجرام غداً. أخيراً! لقد احتفظ الطبيب الشرعي بجسدها لمدة

ستة أيام تقريباً! لقد قالت السيدة برايتون إنها ستعود سريعاً. آه، ولقد وصلها للتو خبر أن الفتى الصغير ومربيته عبرا القناł الإنجليزي ووصلـا إلى الأراضي البريطانية. سيصلان هنا في غضون يوم أو يومين فحسب. تشعر السيدة برايتون بسعادة غامرة حيال هذا".

قلت: "هذه أخبار رائعة. وزوجي والسيد دوغلاس؟ أين هما؟".

ابتسمت بولي وقالت: "هذان الاثنان. ثنائي رائع، في الحقيقة. لقد خرجا لاحضار الأحذية الجديدة للسيد روتشستر، كما سمعت. سيعودان قريباً".

قلت: "جيد. هل ترسلين في طلب السيد ليرنر؟" وأضفت بسرعة، عندما لاحظت القلق في نظراتها: "أنا أتعافي بشكل جيد. إنها مسألة أخرى أريد أن أناقشها معه".

بعد أن ارتديت ملابسي بشكل مناسب، حملني هيغينز إلى المكتبة. حرصت بولي على أن أجلس مستريحة، ووضعت قدامي على مسند بينما أجلس على كرسي باظهر مرتفع أمام المدفأة، ثم وضعت حولي لحافاً من الكروشيه بلطف وحنان مثلما قد تفعل أي أم، ووضعت جرساً فضياً صغيراً بالقرب من يدي.

ثم قالت: "اقرعي الجرس، وسوف آتي أنا أو سادي جريأاً".

قلت: "هلا أحضرت كتاباً من أجلي! الكتاب الذي كنت أقرؤه عن البستنة؟ أريد أن أظهر للسيد ويفرلي شيئاً فيه. كان يجب أن أتذكر إحضاره معى".

قالت بولي: "بالتأكيد يا سيدتي". وبينما استدارت لتنفذ أوامرها، كادت أن تصطدم بالسيد ويفرلي عندما دخل الغرفة. قال ضابط بو ستريت: "الحمد لله أنك بخير". ووقف يحدق بي. ثم أخذت أصابعه تقلب قبعته مراراً وتكراراً في يديه وهو ينظر إليّ.

قلت: "تفضل بالجلوس"، وقرعت الجرس، ثم أردفت: "ستحضر لنا سادي الشاي. لدى نظرية تتعلق بهوية قاتل السيدة إنجرام، لكنني أود الانتظار وطرح أفكاري، عندما يحضر الجميع".

بعد ذلك، انضم إلينا إدوارد والسيد دوغلاس. كان الرجلان قد أنجزا مهامهما وبدأ الاثنان سعيدين تماماً بذاتهما. يجب أن أعترف بأن أحذية زوجي الجديدة تبدو رائعة للغاية.

وصلت لوسي بعد بضع دقائق.

سألت لوسي وهي تنحني لتطبع قبلة على خدي: "ما كل هذا؟ هل تشعرين بتحسن؟".

أجبتها: "نعم". وعندئذ أعلن هيغينز عن وصول السيد ليبرنر.

حالما التأم شمل الجميع، سلمت الشرطي كتاب البستنة الذي أحضرته بولي، وأخبرته بأن ينظر إلى الصفحة التي وضعـت علامة عليها.

قال ويفرلي: "أرى زهرة تسمى قفاز الثعلب ووصفها؛ لكنني لا أعلم علاقتها بوفاة السيدة إنجرام".

شرحـت أفكاري للحاضرين الذين أنصتوا بعنـاية. قلت بإيجاز: "أعتقد أن الآنسة ماري إنجرام هي التي قـتلت والدتها. لكن ليس عن عـمد. حـاولـت إـجـراء مـعاـيـرـة الشـفـاء التي سـمعـتـ السـيـد لـيرـنـرـ يـتـحدـثـ عـنـهـاـ. حـاولـتـ صـنـعـهـاـ بـنـفـسـهـاـ،ـ منـ نـباتـاتـ قـفـازـ الثـعلـبـ فـيـ حـديـقةـ الـليـديـ غـرـينـجـرـ. لمـ تـكـنـ تـرـيدـ تـسـمـيمـ وـالـدـتـهـاـ. بلـ عـلـىـ الـعـكـسـ تـمـاماـ. كـانـتـ مـارـيـ تـأـمـلـ أـنـ تـعـالـجـ الـمـرـأـةـ وـتـكـسـبـ حـبـهـاـ،ـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ إـعـجابـ السـيـدـ لـيرـنـرـ. لـكـنـهـاـ أـخـطـأـتـ فـيـ التـقـدـيرـ بـشـكـلـ سـيـئـ. لـقـدـ جـعـلـتـ الـجـرـعـةـ قـوـيـةـ لـلـغـاـيـةـ".

قال السيد ليرنر: "آه! قد تكونـينـ مـحـقـقـةـ فـيـ نـظـرـيـتكـ،ـ سـيـدةـ روـتشـيسـترـ؛ـ رـغـمـ أـنـيـ أـشـعـرـ بـالـفـزـعـ لـأنـ الآنسـةـ مـارـيـ رـبـماـ فعلـتـ هـذـاـ بـسـبـبـيـ!ـ أـعـتـقـدـ أـنـهـاـ عـنـدـمـاـ سـمـعـتـنـيـ أـشـرـحـ كـيفـيـةـ عملـ الـدـيـجـيـتـالـسـ،ـ أـثارـ ذـلـكـ اـهـتـمـامـهـاـ.ـ لـمـ أـعـطـهـاـ أـيـ تـعـلـيمـاتـ،ـ رـغـمـ ذـلـكـ لـاـ بـدـ أـنـهـاـ حـاـولـتـ صـنـعـ الـجـرـعـةـ مـنـ خـلـالـ تـصـفـحـ أـورـاقـيـ.ـ أـخـطـطـ لـإـصـلاحـ مـزـلاـجـ حـقـيـقـيـ؛ـ لـكـنـ لـاـ يـوـجـدـ وـقـتـ كـافـيـ أـبـداـ".

قال إدوارد بـلـطـفـ: "ـرـغـمـ أـنـيـ أـتـفـقـ مـعـكـ عـلـىـ إـصـلاحـ القـفلـ،ـ إـلـاـ أـنـيـ أـعـتـقـدـ أـنـ مـعـظـمـ الـأـشـخـاصـ الـعـقـلـاءـ لـاـ يـأـخـذـونـ

على عاتقهم لعب دور الطبيب. سيد ليرنر، ليس هناك سبب لتلوم نفسك على مثل هذا الفعل المتطرف تجاه بضع أوراق سائية".

سأل السيد ويفرلي: "لكن الآنسة بلانش إنجرام قالت إنها أيضاً شعرت بالمرض. كيف تفسرين ذلك؟".

قلت: "أعتقد أن الآنسة ماري كانت تختر الجرعة على اختها"، معتقدة أنها تستطيع تحسين تجاربها دون أي آثار ضارة لأن اختها تتمتع بصحة جيدة. أو على الأقل، دون أن يكون هناك الكثير من الآثار السلبية".

قال السيد ليرنر: "بالضبط. ونظرًا لأن الليدي إنجرام كانت تعاني من قلب ضعيف، كان أثر الدواء عليها أقوى وأسرع من تأثيره على الآنسة بلانش إنجرام. وبطبيعة الحال، كان أقوى مما يمكن أن تتحمله الكلبة المسكينة لليدي غرينجر".

قالت لوسي: "لم أفك كثيراً في حوض الزهور المقطوعة؛ لكن هذا منطقي. وإلا فلماذا تقطع الآنسة ماري هذا النوع وحده وتترك كل الأنواع الأخرى؟".

ذكرتها: "وهناك الفوضى التي أبلغ عنها في المطبخ".

قال السيد ويفرلي وهو يعدل نظارته: "حتى لو كنت محققة وأعتقد أنك كذلك، سيدة روتسيستر - إلا أنها نفتقر إلى الدليل".

قلت: "لكن لا يمكننا البقاء مكتوفي الأيدي ولا نقوم بأي شيء. هددت الآنسة ماري وشقيقتها السيد ليرنر وزوجي ولوسي تباعاً. وإذا لم نحاول على الأقل إثبات نظريتي، فسوف تستمر فتاتا إنجرام في تشويه أسمائنا. لقد ذهبت الآنسة إنجرام إلى الليدي كونينغهام، وتأمل في إبرام صفقة من شأنها أن تفيدها على حسابنا".

أمسك السيد ويفرلي ذراع كرسيه وقال: "يا للهول!".

قال إدوارد: "من المؤكد أن الآنسة بلانش إنجرام ستوقف ترويجها للشائعات إذا علمت أن والدتها قتلت على يد اختها".

قال السيد دوغلاس: "سيدة روتشرستير على حق. إذا انتشرت أنباء تفيد بأن إحدى الأختين سمت والدتها - حتى عن طريق المصادفة - فلن يكون للسيدة كونينغهام أي علاقة بأي منهما. يجب أن ندفع الآنسة ماري إلى الاعتراف. لكنني لا أستطيع أن أتخيل كيفية القيام بذلك".

قالت لوسي: "ليس هذا فحسب؛ بل يجب أن يكون الاعتراف علنياً. بخلاف ذلك، سوف تظاهرة فتاتا إنجرام بأن ذلك لم يحدث أبداً. نعلم من التجربة أنهما متمرستان في الكذب".

قال إدوارد: "إذا كانا نهدف إلى عرض عام، فسيحدث ذلك خلال الزيارة بعد ظهر الغد في منزل السيدة غرينجر. سيكون هذا بالتأكيد أفضل خيار أمامنا".

تمتت المجموعة معرية عن موافقتها.

قال السيد دوغلاس: "والآن بعد أن أصبح لدينا الوقت والمكان، ما نحتاجه هو أداة للضغط على الآنسة ماري".

لذلك، قلت الأمر في رأسي.

وفجأة، أصبحت لدى خطة.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥٨

وافق الجميع على أن خطتي قد يكتب لها النجاح. يجب أن نبقي هجوم السيدة بيلتمور على سرّا، وإن فقد يثير ظهوري في عزاء الليدي إنجرام الشكوك. قررت لوسي الذهاب على الفور للتحدث مع الليدي غرينجر عن خطتنا، وقالت: "أعتقد أنها ستتوافق على الخطة من أجل تسوية الأمور على الأقل".

كان زوجي الوحيد الذي ساورته الشكوك. وفي وقت لاحق من ذلك المساء عندما أصبحنا في الفراش، سألني: "هل أنت مستعدة للقيام بهذا؟ قد يعني هذا الوقوف على قدميك لوقت كبير خلال الزيارة، حيث سيكون هناك طابور استقبال طويل".

نما شعره الجامح طويلاً أثناء زيارتنا؛ لكنني أحب الطريقة التي يلمس بها شعره ياقه قميصه الليلي. لمست خصلة من شعره بحب وهو يقول: "يجب أن تكون هناك طريقة بدلاً من ذهابك. سأذهب أنا وأقدم التعزية؛ لكنك لست مضطرة إلى المجيء. يجب أن نحصل على اعتراف الآنسة ماري بطريقة أخرى".

قلت: "لا أستطيع التفكير في واحدة أخرى. ولا يستطيع أي شخص آخر ذلك. علاوة على هذا، أنا زوجة المبجل ومن واجبي الحضور مثلما هو واجبك".

قال: "لكنك مصابة، ويجب أن أعتذر عن عدم ذهابك. رأيت اليوم بعض التورد في وجنتيك، وأأمل أن استمر في رؤية هذا التقدم".

قلت: "ستراه إن شاء الله".

أخذ يلمس شعري، وقبل الجزء العلوي من أذني، وأعتقد أنني أستطيع شم الآثار الطازجة للعشب الطبيعي الذي يستخدمه كما أوصى السيد ليرنر. قال: "عندما أرى التقدم، وأعني بذلك حقاً. سأرى كيف تسير الأمور".

قلت: "حقاً؟" وقد غمرني الفرح.

قال: "أنتِ لست مختلفة تماماً؛ لكنني أرى المزيد من التفاصيل والمزيد من الفحوى. للأشياء المحيطة بك أطر... لقد استعدت بعض فطتك".

قلت: "آه يا إدوارد!"، وألقيت ذراعي حول رقبته؛ فدهمني الألم جراء ذلك وتأوهت.

قال: "أترين؟ أنت تتألمين. يجب أن تبقي هنا. لم تكن السيدة إنجرام مهمة لك، وأستطيع الاعتذار عن عدم حضورك. سوف نتذرر أمراً من دونك بطريقة ما".

قلت: "لا. سأتعافي بشكل أفضل لعلمي بأننا نستطيع ترك كل هذا وراءنا".

قال، بينما تداعب شفتيه رقبتي: "أنت تختبرين صبري".

قلت: "آه يا سيدي...".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥٩

في اليوم التالي، استرحت حتى آخر لحظة ممكنة. حصل إدوارد على تنازل مني: وافقت على السماح للسيد ليرنر بمراجعة مستوى تقدمي وشفائي وتقرير ما إذا كنت قوية بما فيه الكفاية لتنفيذ خطتي. وعندما أعلن الطبيب "أني أحق تقدماً ملحوظاً"، ساعدتني بولي على ارتداء أفضل فستان لدى من الحرير الأسود وحملني إدوارد والسيد دوغلاس إلى الطابق السفلي وأدخلاني العربية.

حالما وصلنا إلى منزل غرينجر، أصررت على الدخول إلى المبني وكأنه لا يوجد خطب بي. آلمني ذلك؛ لكنني شعرت بأنه من الضروري الحفاظ على وهم الصحة. لا أريد لفت انتباه غير مُسَوَّغ إلى نفسي، على الأقل، ليس قبل الوقت المناسب. لا أريد أن تتساءل الآنسة ماري إنجرام عن سبب تحملني عناه الظهور بعد أن تعرضت لأذى شديد. أي نوع من الشك من جانبها قد يفسد التأثير الذي أتمنى أن أفوز به.

لا يستطيع من يرى منزل الليدي غرينجر سوى أن يدرك أنه منزل في حالة حداد. غطى القماش الأسود كل النوافذ وجميع المرايا. وانتعل الخدم نعالاً ناعمة لكتم أصوات خطواتهم. وأوقفت ساعة القاعة، لتذكيرنا بأن الوقت توقف في العالم الآخر. وانتشر عبق رائحة الزنابق في الهواء.

ونظراً لتسليم جثة السيدة إنجرام إلى الطبيب الشرعي، ومر على رفاتها ستة أيام الآن، لذا ليس من الممكن إخفاء رائحة الجثة، بغض النظر عن عدد باقات الزهور المعطرة التي وضعت في جميع أنحاء المنزل. غطت الرائحة الكريهة للتعفن على كل شيء آخر. كانت لوسي قد اقترحت أن نحمل جميعاً مناديل معطرة، فباركتها بصمت لتفكيرها مسبقاً بينما أضع منديلي على أنفي.

أخذت أنا ولوسي والسيد دوغلاس وإدوارد أماكننا في طابور الاستقبال. تحرك الطابور ببطء للأمام صاعداً السلالم إلى حيث يستقر جثمان السيدة إنجرام على طاولة في غرفة الطعام. كنت أعرف أنه سيكون هناك الكثير من المعزين؛ لكنني لم أتوقع هذا العدد الكبير. أعتقد أن خبر الموت المفاجئ للأرملة والاتهامات العديدة للفتاتين ربما انتشرت كالنار في الهشيم. بدأ الحشد يثرون بشكل غير عادي مقارنة بمجموعة من المعزين؛ لذلك افترضت أن الكثيرين هنا يأملون سمع بعض القيل والقال. عندما وصلنا إلى آخر السلالم، بدأت قاعة الدخول بالدوران. وملأ الأسود أطراف روبي. وضع إدوارد

ذراعه حول خصري، وسرعان ما أصبحت ضعيفة؛ لذلك أمسكت بإدوارد بإحكام، وكافحت من أجل البقاء واقفة على قدمي.

همس: "هذا كثير للغاية! دعيني أجد لك كرسيّاً."

داعبت خصلة طائشة من شعره وجهي وجعلتني أبتسم. قلت: "لا. لن يطول الأمر كثيراً، وبعد ذلك يستطيع عقلي أن يستريح مثل جسدي". أبقتني الإرادة المطلقة واقفة ومنحتنى القوة. أنا مصممة على القيام بذلك من أجل لوسي. إذا نجح هذا المخطط، فسوف ينقد سمعتها.

قلت لنفسي: لم يعد هناك الكثير الآن. أستطيع أن أفعل ذلك.

أستطيع سماع الآنسة بلانش إنجرام وهي تستقبل المعزين، بينما يتقدم الطابور إلى الأمام، خارج القاعة إلى غرفة الطعام. قدم الحاضرون العزاء للآنسة ماري أولاً ثم الآنسة إنجرام، وأخيراً الليدي غرينجر. لم يكن الشاب اللورد إنجرام حاضراً. علمت لوسي، أثناء زيارتها للنبي غرينجر الليلة الماضية، أنه مريض ولا يستطيع ترك الفراش في إنجرام بارك.

بعد تقديم تعازيهما إلى بنتي إنجرام والنبي غرينجر، سار المعزون في اتجاه عقارب الساعة حول التابوت فوق طاولة غرفة الطعام. اصطفت باقات الزهور من كل حجم ولون حول محيط الغرفة. توقف الضيوف مؤقتاً لقراءة البطاقات التي تقدم

التعازي. وكان من المتوقع أن ينظروا أيضاً في وجه الراحلة، كمبادرة احترام وتذكير لنا جمِيعاً بأننا نتشارك المصير نفسه.

تحركت صديقتي وشقيقها في الصف حتى أصبحا وجهاً لوجه مع الآنسة ماري. ولكن قبل أن تقدم لوسي تعازيها، هاجمتها الآنسة إنجرام بغضب.

قالت الآنسة إنجرام للوسي: "كيف تجرئين؟".

قالت الليدي غرينجر: "توقف يا بلانش". ووضعت يدها على كتف ابنة أخيها.

التفت جميع المعزين الآخرين لمشاهدة ما يحدث. وبعد صمت محسوب، التفت الآنسة إنجرام إلى عمتها، وبصوت مرتفع قالت: "لكن يا عمتى! لوسي برأيتون سمعت...".

قاطعتها الليدي غرينجر بطريقة آمرة أكثر قوة هذه المرة، وقالت: "توقف عن ذلك!" وتجاوزت ابنة أخيها لتحتضن لوسي وتقول: "تسرينيرؤيتك".

كانت هذه الإشارة المتفق عليها. مضينا أنا وإدوارد في طريقنا للأمام، بوقاحة إلى حد ما، بينما أبعدت لوسي نفسها عن مضيفتنا. ثم وقفت لوسي والسيد دوغلاس في جانب واحد.

أمسك زوجي يد الآنسة ماري وقال: "السيد ليرنر ييدي ندمه؛ لكنه مشغول بخطيبته في وضع خطط الزفاف".

شهقت الأنسة ماري وهي تقول: "أنت تكذب!" وسحبت يدها من قبضة إدوارد.

توقف المعزون الآخرون عن الكلام حتى يتمكنوا من الاستماع.

قلت بهدوء: "لا يا آنسة ماري، زوجي ليس كاذباً. لكن أنت الكاذبة". ثم تحدثت بصوت مرتفع وقلت: "أنت من سمت والدتك، أليس كذلك؟ لم تقصدني بذلك؛ لكنك فعلته".

تلعثمت وهي تقول: "أنا... أنا... أنا. لا أبداً".

قلت: "كنت تحاولين المساعدة فقط. كنت تعتقدين أنك تعرفين ما تفعلينه، وتأملين أن تثبتني للسيد ليرنر أنك ستتصبحين زوجة جيدة. كنت تعتقدين أنك إذا استطعت جعل والدتك تشعر بتحسن، فإنها ستحبك أكثر". فصمت قليلاً ثم أردفت: "ماري المسكينة. لقد سئمت من كونك في المرتبة الثانية".

اختفت الدماء من وجه الأنسة ماري وشحب وجهها كالموتى.

فخيم الصمت على المعزين الآخرين. ثم اندفع الحشد إلى الأمام، واقربوا مني، حتى يتمكنوا من سماع ما أقوله بشكل أفضل.

قال إدوارد: "والآن، السيد ويفرلي في الأسفل يبحث في غرفتك. ماذا تعتقدين أنه سيجد؟ أظن أنه سيعثر على

ملاحظات السيد ليرنر المتعلقة باستخدام الديجيتالس، الذي يُعرف باسم قفاز الثعلب".

قالت عمتها: "لا فائدة من إنكار الأمر يا ماري. أخبرتنا الطاهية كيف كنت في مطبخها، تنقعن النباتات في الماء الساخن. النباتات التي ذكرت أنها قفاز الثعلب".

ارتفعت يدا الآنسة ماري لتغطية فمهما، وتمايلت وكأنها ستصاب بالإغماء؛ فتقدمت لوسي والليدي غرينجر نحوها لمساندتها. ثم بكت الآنسة ماري وهي تقول: "لم أقصد ذلك! لم أقصد إيهادها".

الآن انتهى الهدوء، وحل محله هدير من الهمسات كرد فعل للزوار على اعتراف الشابة. ثم انطلق فضولهم، واقربوا أكثر، فدفعني بعضهم بسبب تلهفهم على التنصت. لكنهم لم يضطروا إلى إجهاد آذانهم كثيراً، لأن بلانش صرخت: "ماذا فعلت؟ أنت قتلت والدتنا؟". والتفتت إلى الآنسة ماري، ثم أمسكت أختها من ذراعيها، وكانت ستهزها؛ لكن السيد دوغلاس دفع الآنسة إنجرام بعيداً.

شهق المعزون معًا في آن واحد وكأن أحداً وجههم للقيام بذلك، فتردد صدى الصوت في الغرفة، صوت تعاطف حزين. لكن لم يستمر هذا الاتحاد طويلاً. مرت الصدمة، وبدا أن الجميع يريدون إلقاء الأسئلة أو إبداء الرأي. أصبح الضجيج لا يصدق، خاصة في منزل حداد تُنتعل فيه النعال الناعمة، ويُلف

لسان الجرس بقمash المسلمين لكتم صوته.

اندفعت المبجلة بلانش إنجرام نحو أختها، بيد أن السيد دوغلاس قام بإبعاد الآنسة ماري عن قبضتها، وقال لبلاش: "لقد كان حادثاً. لم تقصد الآنسة ماري أن تفعل ذلك".

قلت لبلاش: "لقد قصدت المساعدة فقط. هل تشعرين بتحسن الآن، أليس كذلك يا آنسة إنجرام؟ كانت أختك تتضع جرعات في قهوتك، في محاولة لحساب كمية المنقوع التي يجب أن تعطيها لأمك. بالطبع، لم تتوقع منك أبداً أن تعطيها القهوة. وهكذا سارت الأمور بشكل خاطئ. الكمية الصغيرة في القهوة سببت لك تعباً طفيفاً؛ لكن نظراً لضعف قلب والدتك، كانت الجرعة القاتلة".

همست ماري: "لم أقصد أبداً... أبداً...".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٦٠

في الردهة بالخارج، كان السيد ويفرلي يتظر هذا الاعتراف، فدخل وتجاوزنا، وهو حريص على أن تكون عصاه بارزة جدًا تحت ذراعه. وعندما وصل إلى جانب الآنسة ماري، قال: "تعالي معي يا آنسة. أنت لا تريدين إثارة ضجة، أليس كذلك؟".

بكت الآنسة ماري في هدوء، وهزت رأسها بالموافقة.

قالت بلاش إنجرام: "أنت..." ثم أصابها الخرس مؤقتاً؛ لكن عندما أخذ ضابط بو ستريت أختها بعيداً، نظرت إلى أختها نظرة احتقار وصاحت: "أتمنى أن تتعفني في السجن".

رافقت أنا وإدوارد ولوسي والسيد دوغلاس الليدي غرينجر إلى الطابق السفلي، وتركنا بقية المعزين لمواساة الآنسة بلاش إنجرام "المسكينة".

قالت الليدي ونحن نشاهد السيد ويفرلي وهو يساعد ابنة أخيها في الصعود إلى العربة المنتظرة: "أشعر بالأسف على ماري. أرجو ألا يعاملوها بقسوة بالغة".

قال السيد دوغلاس: "رغم أن محاولاتها لاتهام الأبرياء لن تصب في مصلحتها، إلا أنني أعتقد أنها قد تخرج من الأمر بعقوبة يسيرة، لأن السم ليس سماً في حد ذاته؛ بل علاج طبي أسيء استخدامه. بالطبع، ستساعدها حقيقة أنها ابنة بارون كثيراً".

سألت لوسي صديقتها: "هل أنت بخير يا أوليفيا؟".

قالت الليدي غرينجر: "أشعر بالحزن الشديد بسبب هذا، وأتمنى لو كانت الأمور مختلفة. عاشت ماري فترة طويلة في ظل بلانس. ربما كان ينبغي أن أتحدث مع الفتاة الصغيرة. ورغم أنني في الحقيقة لا أعرف ما الذي كان يفترض بي فعله أكثر مما فعلته. لقد تحدثت بشأنها مرات عديدة. لكن كانت سيلفانا شخصية مهيمنة وواحقة جدًا من نفسها بوصفها أمًا. وعندما كنت أقدم اقتراحاتي، كانت ترفضها مع تعليق قبيح يشير إلى أن امرأة بلا أطفال مثلني لا تفهم دورها بمثابة أم".

هززت رأسي في استنكار وقالت: "ينمو الطفل في قلب الأم، وليس في بطنها فقط. يمكن أن يمتد حبنا واهتمامنا إلى ما هو أبعد من روابط الدم، وإلا فكيف يمكن للزواج أن يدوم؟".

ضغط إدوارد على يدي وقال: "أحسنت القول يا عزيزتي".

التفت الليدي غرينجر وحدقت في وجهي وقالت: "تجاوز حكمتك سنوات عمرك، سيدة روتشيستر. أعتقد أن هذا الوقت مناسب تماماً لأشكرك على اكتشاف ما حدث حقاً

لزوجة أخي. سيشعر خدمي بالارتياح عندما يعلمون أن سحابة الشك والغموض قد انزاحت عن منزلنا".

قلت: "أنت طيبة للغاية".

سأل السيد دوغلاس عندما وصلنا إلى الطابق الأرضي: "ماذا ستفعلين بشأن الآنسة ماري؟ أرجو أن تفكري في تعين محام جيد لها. أستطيع أن أوصي بالعديد منهم، إذا لزم الأمر". تجدد وجه الليدي غرينجر قليلاً عندما أدركت هذه المسئولية، وقالت: "نعم بالطبع سأفعل".

قال إدوارد: "وأختها؟ سيكون من الصعب للغاية على الآنسة بلانش إنجرام أن تبحر في المياه المتقلبة للمجتمع بعد ذلك".

قالت لوسي بنبرة واقعية: "ستقل احتمالات زواجهما كثيراً". قالت الليدي غرينجر: "هناك دائمًا كونت إيطالي يتربص في مكان ما، ويريد نبيلة عروساً له. سأبحث بلانش بأقوى العبارات الممكنة على السفر عبر القارة. وربما سأذهب معها. لا يزال لديها قدر يسير من الجمال؛ لكنني سأخبرها بأن حمرة خديها تتلاشى بسرعة".

ورغم أنني لم أظهر مشاعري، إلا أنه لم يسعني سوى أن أعتقد أنه مع بعض الحظ لن أرى بلانش إنجرام مرة أخرى. يجب أن أدعوا الله أن تجد ذلك الكونت الإيطالي، وأن يصمم على البقاء في بلده.

قالت لوسي وهي تعانق صديقتها: "لا بد أن هذا يشعرك بالارتياح لأن الأمر انتهى. أعلم أنه كذلك لنا جميعاً".

قالت الليدي غرينجر: "لقد رأيت أيامًا أسوأ من ذلك. لكن بعث مربى الكلاب رسالة بالأمس مفادها أن لديه مجموعة جديدة من الجراء التي كادت تُفطم. سأختار واحدًا الأسبوع المقبل".

قالت لوسي: "هذا أفضل. أريد أن أقابل أحد ث فرد في عائلتك".

قالت الليدي غرينجر وهي تعانق لوسي مرة أخرى قبل مغادرتنا: "وأنا أريد أن ألتقي بك عندما يصل".

استترفت الأحداث في منزل الليدي غرينجر كل طاقتى؛ لذلك، أمضيت اليومين التاليين مستريحة في السرير أعمل على لوحتي لإيفانز بالقلم والجبر، وقضيت الوقت في رسم جذوع قفاز الثعلب مع أزهار على شكل أصابع.

بدلت قصارى جهدى لنسيان رسالة الملك. إنها في مكان آمن. لقد فقدت الليدي كونينغهام أدوات تهديدها بعد أن أصبحت الآنسة ماري في سجن نيويورك، إلى جانب السيدة بيلتمور. كما أرسل السيد ويفرلي ملاحظة مفادها أنه سيحتاج إلى إفادة رسمية مني؛ لكنها يمكن أن تنتظر حتى أستعيد قوتي، وشكري على حل لغز وفاة السيدة إنجرام. ومع بعض الحظ، لن تتقاطع طرقنا مرة أخرى.

قبل السيد ليرنر العمل بمثابة مساعد للسيد كارتر، ومن المقرر أن يتزوج هو والأنسة غولدشتاين في وقت لاحق في الصيف. لقد تفضلنا بدعوتنا جميعاً للحضور، وأتطلع إلى حضور هذه المناسبة ولقاء الشابة. في هذه الأثناء، أحضر إدوارد والسيد دوغلاس حقيقة جديدة للطبيب بمثابة هدية زفاف مبكرة. حقيقة بمزلاج قوي.

أبلغتنا رسالة من السيدة فيرفاكس أن جون في طريقه للتحسن، وأنه يجلس في سريره، ويتدمر من أنه "لا يقوم بشيء". أما السقف، فكان حكاية أخرى، حيث استمر البناءون في اكتشاف المزيد والمزيد من التعرق في الهيكل. ورغم ذلك، تعتقد مدبرة المنزل أنهم يحرزون تقدماً جيداً. كما تحقق تقدم جيد أيضاً مع بصر إدوارد؛ رغم أنه لن يعود إلى طبيعته أبداً؛ لكنه يتحسن بشكل مطرد.

عندما تعافت، أصبح متزل برایتون في حالة من السعادة. لقد وضعت لوسي هذه الفترة التعيسة وراء ظهرها، وصبت كل اهتمامها على التحضير لوصول إيفانز الوشيك.

في ظهيرة يوم السبت، طُرق الباب الأمامي، وعندما لم يُجب أحد على الفور، تكرر الطرق مرة أخرى. هذه المرة أخذ راغز ينبع بقوة. كان باستطاعتي سماع الضجة في الطابق العلوي في غرفة الأطفال، حيث كنت أقرأ لنيد، بعد أن طلبت من أديل ترجمة مقطع من كتاب من الفرنسي إلى الإنجليزية، بينما كان إدوارد والسيد دوغلاس يقضيان وقتاً معاً في نادي بودل.

ارتفعت الأصوات؛ لكنها لم تكن واضحة. لذلك واصلت قراءة قصة الإوزة الذهبية من كتاب Grimm's Children and Home Tales (قصص جريم الخيالية للأطفال). كنت أشرح كيف سألهن الأصغر والده عما إذا كان باستطاعته قطع الخشب، عندما كضت إميليا وقالت: "تعالي بسرعة يا سيدتي. إنه هنا!".

سألتها: "من؟".

فقالت: "الولد الصغير. ما اسمه؟ إيفانز!".

سلمتها ابني وأسرعت لإحضار أديل. قلت بالفرنسية لفتاة: "بسرعة!". فوضعت الدمى جانبًا على مضض، وبدأت أنا وهي على الفور في نزول السلالم وأنا أحرص كل الحرص على عدم الضغط على جرحي.

جذبتهنّي أصوات من غرفة الرسم؛ لذلك أسرعت إلى هناك لأجد لوسي. كان بين ذراعيها رضيع بوجه مستدير مثل وعاء الحساء وعينين زرقاويتين لامعتين وخصلات شعر بلون الزنجبيل. انهمرت الدموع على وجه صديقتي. كل ما استطاعت قوله هو: "آه، آه، آه، آه. إنه يشبه أوّلتي تماماً".

جلست أمامها امرأة لطيفة المظهر بشعر رمادي مسحوب إلى الخلف على شكل كعكة أنيقة. قلت: "السيدة والاندر، كما أعتقد؟". ومددت يدي لأصافحها.

أجبت: "نعم". ينم حذاؤها القوي وفستانها المتواضع عن الكثير عن هذه المرأة العملية.

أمسكت بيدي وصافحتها بجدية، وأعطتني الفرصة لأنلاحظ أنفها الصغير وشفتيها اللتين تشبهان الكرز وبشرتها الوردية. أخبرتني نظرة واحدة في عينيها أنها قاضية ماهرة في الحكم على الشخصية، وأنها تستوعب كل شيء، وتحاول أن تقرر ما إذا كان إيفانز سيكون سعيداً هنا أم لا.

كان باستطاعتي أن أخبرها أنه سيكون كذلك. سوف تجعل لوسي سعادته مهمتها في الحياة.

أمسكت أديل من يدها وأشارت إلى إميليا لتتبعنا وهي تحمل نيد على وركها، حتى نقترب من إيفانز بعناية فائقة، لأنني لا أرغب في إزعاج الصبي. اقتربت من الوارد الجديد وقلت: "أديل ونيد، هذا إيفانز. ابن لوسي. صديقكما المقرب الجديد".

حدق الأطفال بعضهم في بعض، بعيون واسعة وفضولية، فصاحت أديل بسرور. وتبع ذلك تيار من الفرنسيه الذي كانت خلاصته: "أنا الآن أخت لولدين!", ثم جئت على ركبتيها لتمطر وجه إيفانز بالقبلات. وانضم راغز إلى الحشد، ووقف على رجليه الخلفيتين ورقص في سعادة.

أخذت إميليا السيدة والاندر إلى الطابق العلوي لتسתר في غرفتها الجديدة.

جلست على الأريكة بجانب لوسي، وهي تحدق في الطفل بدهشة، واستمرت أديل في تدليل صديقها الجديد. بدت لوسي، لأول مرة منذ أن عرفتها، مذهولة تماماً. كل ما يمكنها فعله هو التحديق في الصبي. وبعد طول انتظار قالت: "هل هذه حقيقة؟ حقاً؟

جين، أخبريني، هل أنا أحلم؟".

أجبتها: "لا"، ولفت ذراعي حول كتفيها بعناء، وأرددت: "لا يا عزيزتي. أنت مستيقظة تماماً، وقد تحقق حلمك".

٦١ الفصل

فرح المنزل كله لمقابلة إيفانز أيماء فرح. أغدق السيد دوغلاس على الطفل الكثير من الحب والاهتمام، وأعلن إدوارد أن الطفل صورة طبق الأصل من أبيه. خلال الأيام التالية، انتقل الطفل من ذراع لأخرى حيث تناوبنا على إبداء إعجابنا بأحدث عضو، فيما أطلق عليه "عائلتنا". لقد أشراق وجه لوسي بالفرحة، وبدت أكثر سعادة مما رأيتها من قبل.

قلب وصول إيفانز المتزل إلى خلية نحل مزدحمة بالزوار والاضطراب، حيث استقبلت لوسي العديد من المهنيين. وبين الزيارات، حاولت أن أبقى ثابتة قدر الإمكان حتى تلتئم الغرز. تحول جرحي إلى مجموعة متنوعة من الألوان، ولكن بفضل عنایة بولي اليومية بالكمادات والعسل، لم تصبح البقعة ساخنة عند اللمس، ولم تظهر أي عدوى. ورغم ذلك، أوجعتني.

جلست في المكتبة وعملت على هديتي لإيفانز بإضافة ألوان خفيفة إلى اللوحة. كان التأثير ممتنعاً للغاية، حيث أظهرت

لمساتي الأربن الصغير المختبئ في الأدغال وعصفور أبي الحناء فوق الشجرة والضفدع تحت الأحراش.

قالت لوسي: "هذا رائع يا جين"، وتألق وجهها بالسعادة وهي تتفحص عملني، بينما كان إيفانز يغفو في الطابق العلوي. ثم أردفت: "لقد قمت بعمل مثير للإعجاب. سوف يعتز بهذا إلى الأبد. أعلم أنه سيفعل ذلك".

قال السيد دوغلاس وهو يدخل المكتبة بجانب زوجي: "انظروا من وجدنا عند الباب الأمامي"، وتنحى جانبًا ليظهر السيد ويفرلي.

قال ويفرلي: "تهانينا، سيدة برايتون، على أحدث فرد في عائلتك".

أجبت لوسي مبتسمة: "شكراً لك. كم هو لطيف منك أن تأتي شخصياً لتقديم التهنئة!".

قال وهو يتنهد ويرتمي على كرسي: "كم أود أن أقول إن هذه كانت نيتني! الحقيقة، رغم اتضاح الظروف المحيطة بوفاة السيدة إنجرام، إلا أنه لا يزال هناك مسألة الرسالة التي تمتلكها السيدة روتشيستر، والتي دفعت السيدة بيلتمور إلى مثل هذا الفعل الخطير. تواصل الليدي كونيغهام لقاء دوق كمبرلاند. لقد حاولت التنصت عليهما قدر استطاعتي. لا أعرف ما الذي سيفعلانه؛ لكن من المرجح أنه ليس شيئاً جيداً". وخلع نظارته ونظفها بمنديله ثم أردف: "إنها تلعب على كل الجانبين. تدلل

الملك وهي تتأمر عليه. لديها قائمة مطالب تصل إلى عنان السماء. أعتقد أنهما يحاولان اكتشاف طريقة أخرى للضغط على السيدة روتشيستر لتسليم الرسالة".

قالت لوسي: "لقد وعد دوق يورك ماريا فيتزهيربرت بأنه سيهربها خارج البلاد إذا لزم الأمر، لكن ميني أخبرت والدتها بوضوح تام أنها لن ترك خطيبها".

سألتُ أصدقائي: "هل هما حقاً في خطر؟ إذا سلمت الخطاب، فهل من المحتمل أن يتعرضا للأذى؟".

قال السيد ويفرلي وهو يلبس نظارته مرة أخرى: "لا أعرف".

قال السيد دوغلاس: "يعتمد الأمر على ما تريده الماركيزة والدوق، وما إذا كان الملك على استعداد لمنحهما إياه".

قلت: "لنكن صريحين بعضنا مع بعض. طالما توجد هذه الرسالة معي وجورج الرابع هو الوصي على العرش، يمكننا أن نفترض أن شخصاً ما يريدها. إنها قيمة للغاية كأدلة للإثبات".

قال السيد ويفرلي: "نعم. ومع اقتراب يوم التتويج، تزداد المخاطر توقعًا لإعلان الملك عن تعيناته وما إلى ذلك. صدقوني، لدى أخي الملك والجميع طلبات. هناك موكب لا ينتهي يدخل كارلتون هاوس ويخرج منه". ثم نهض من كرسيه وأكمل قائلاً: "لا أستطيع أن أخبرك بما يجب أن تفعليه بها، سيدة روتشيستر؛ لكنني أتمنى لك حكمة الملك سليمان".

بعد رحيل السيد ويفرلي، غادر إدوارد والسيد دوغلاس وتركتاني أنا ولوسي وحدنا في المكتبة مرة أخرى. التفت إليها وسألتها: "هل تمانعين إخراج الرسالة من الخزانة من أجلي؟ أريد أن أنظر إليها. ربما تأتيني فكرة ما. غريب أليس كذلك؟ تدعى هذه المراسلات أنها رسالة حب؛ لكن الغرض منها لا علاقة له بالحب. كتبها الملك إلى السيدة بيلتمور للتخلص منها بطريقة مناسبة".

سألتني لوسي: "هل قررت ماذا ستفعلين؟".

قلت: "لا. أرجو فقط أن يلهمني الله حلاً ما".

بعد أن جاءت لوسي بالرسالة، ذهبت للاطمئنان على ابنها. حدقـت في الصفـحـات الست عـلـى التـروـيـة الـمـلـكـية. وـقـلت لنفـسي: ما الـذـي يـجـب الـقـيـام بـه؟ ما الـذـي يـجـب الـقـيـام بـه؟ .

كان السيد ويفرلي محققاً. أحـتـاج إـلـى حـكـمة الـمـلـك سليمان. أـنـزلـت نـسـخـة مـن الـكـتـاب الـمـقـدـس مـن رـفـوف كـتـبـ أوـغـيـ. وـفـتـحتـهـ، وـقـرـأـتـ بـصـوـتـ مـرـتفـعـ: "فَقَالَ الْمَلِكُ: "اَتُؤْنِي بِسَيِّفٍ". فَأَتَوْا بِسَيِّفٍ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ. فَقَالَ الْمَلِكُ: "اَشْطُرُوا الْوَلَدَ الْحَيَّ اثْنَيْنِ، وَأَعْطُوا نِصْفًا لِلْوَاحِدَةِ وَنِصْفًا لِلْأُخْرَى".

ارتـجـفتـ وـأـنـاـ أـفـكـرـ فـيـماـ كـانـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـدـثـ لـوـ لـمـ تـقـدـمـ أـمـ الطـفـلـ الحـقـيقـيـةـ. تقـسـيمـ طـفـلـ؟ كـمـ هـذـاـ فـطـيـعـ؟ شـيـءـ مـرـوعـ لـاـ يـمـكـنـ التـفـكـيرـ فـيـهـ. لـكـنـ حـفـزـ هـذـاـ أـفـكـارـيـ. عـلـقـتـ فـكـرـةـ التـقـسـيمـ فـيـ رـأـيـ، وـأـخـذـتـ تـصـولـ وـتـجـولـ.

ثم جاءت إجابتي: سأقسم الرسالة إلى اثنتين.

لكن هل يمكنني ذلك؟ أولاً، يجب أن أتحقق مما إذا كانت مهاراتي على مستوى المهمة أم لا. بعد أن مزقت ورقتين من دفتر ملاحظاتي، ذهبت وجلست خلف مكتب لوسبي. وبعد أن نشرت كل الصفحات الست أمامي، تأملت كلمات الملك، وشرعست في كتابة عبارة أو اثنتين كل حين وآخر على المسودة الخاصة بي. امتدت مهاراتي الفنية لتشمل التقليد، واخترت عدة عبارات يسيرة من الكلمات التي كتبها. وأخذت أنسخها مراراً وتكراراً في دفتري، مستعينة بخط يد الملك كدليل لي. فلاحظت بشكل خاص المكان الذي تبدأ فيه لمساته وأخذت أتبع طريقها حتى النهاية.

بعد ذلك انتقلت إلى توقيعه الذي اتضح أنه يمثل تحدياً أكبر؛ لكن لم يكن إنشاء نسخة معقولة أمراً بالغ الصعوبة. أرجو فقط ألا ينظر أحد من كتب. في النهاية، أعتقد أن فضح الرسالة على أنها "مزيفة" قد ينتهي بفائدة. لكن عندما ابتعدت عن عملي، دهمتني الشكوك. نعم، من الواضح أنني أستطيع صناعة نسخة معقولة؛ لكن... هل يجب أن أفعل ذلك؟ هل من الصواب أخلاقياً أن أقوم بذلك؟ أم أنها مجرد كذبة على الورق؟

أقلقني هذا. فكرت في الملك وفي ماريا وميني وفي الليدي كونينغهام، وتساءلت: هل من الأخلاق أن أقسم هذه الرسالة وأزور توقيع الملك؟.

قاطعت زيارة السيد ليرنر تأملاتي. وبعد ما قرعت الجرس
لబولي، وضعت قلمي جانباً، فقام السيد ليرنر بفحص جرحي
بينما أستند على مكتب لوسي. وحالما أعلن أنه "على وشك
الشفاء"، لاحظ أوراقي المتناثرة.

قال السيد ليرنر: "يسعدني أنك لا تفعلين شيئاً مرهقاً
للغاية"، وأدار ظهره لي حتى تتمكن بوللي من مساعدتي في
تعديل ملابسي.

قلت كوسيلة لكسب بعض الخصوصية لنا: "بوللي؟ هل
يمكنك أن تطلبني من سادي إحضار الشاي لنا؟". وبحركة من
يدي، أشرت للسيد ليرنر ليجلس. وعندما تذكرت مدى جوعه
دائماً، أضفت: "واطلبي من الطاهية أن ترسل شرائح من لحم
الضأن والجبن والخبز، من فضلك".

عندما غادرت، أخذت كرسيّاً وقلت: "سيد ليرنر، ماذا يعلم
دینك عن الأخلاق؟ أنا أعرف القليل جداً عن اليهودية باستثناء
ما قرأته في الكتاب المقدس بالطبع".

كانت عيناه تنبضان بالذكاء. قال: "لماذا تسألين؟ هل هذا
يتعلق بأخلاقيات خداع السيدة ماري للاعتراف؟".

قد يكون هذا مناسباً لأغراضي، لكن يحتم علي الموقف
أن أقول: "ليس تماماً. رغم أنني أشعر بالفضول حيال ذلك
أيضاً".

قال: "دعينا نبدأ من هناك. إن التعاليم واضحة جدًا في أن حماية الحياة والحفاظ عليها ينتصران على كل اعتبار آخر، بما في ذلك الوصايا العشر. لقد أنقذت حياتي، ولو لا ذلك لأسفرت الاتهامات الكاذبة للأنسة ماري عن محاكimi، وربما إعدامي".

دخلت سادي بصينية تحمل الكثير من الطعام. شتت البخار المتصاعد من إبريق الشاي ورائحة البرغمونت الزكية ونفحة خفيفة من الزنجبيل في طبق الكعكات الطازجة انتباхи وانتباه الطبيب الشاب. وبعد أن غادرت الخادمة، صبيت للسيد ليرنر الشاي الساخن في فنجانه.

سأل السيد ليرنر حالما انتهى من تناول طبق مليء بالطعام: "هل لديك أسئلة أخرى؟".

قلت: "ماذا لو لم تكن متيقناً من أن الشخص الآخر في خطر؟ هل يدعوك دينك إلى التصرف رغم ذلك؟".

أجاب: "بالطبع. يأمرنا ديننا بحماية بعضنا بعضاً، وعدم تخلّي بعضنا عن بعض في حالة قد يشوبها الخطر. لذلك، على سبيل المثال، إذا رأيت عربة على وشك الانقلاب، فمن واجبي تحذير صاحبها وت تقديم المساعدة له. خاصة إذا كان من شأن ذلك الحادث إلحاق الضرر به أو حتى بحماره".

بينما أشرب الشاي، فكرت أن وضع ماريا فيتزهيربرت لا يختلف كثيراً عما وصفه. وصلت كل الخيارات المتاحة إلى

التالي: لا أستطيع الوقوف مكتوفة الأيدي، وتعريف حياة
ماريا وميني للخطر.

بعد أن غادر السيد ليرنر، عدت إلى التدرب. وعندما
شعرت بالرضا عن نتائجي، قمت بفصل الصفحة الخامسة من
الخطاب عن الصفحة السادسة. وفي أسفل الصفحة الخامسة،
أضفت نسختي من توقيع الملك. وأضفت عبارة في أعلى
الصفحة السادسة.

والآن لم يكن لدي رسالة واحدة، بل رسالتان كتبهما
الملك جورج الرابع.

٦٢ الفصل

توصلت إلى خطة في الوقت المناسب. وفي الصباح التالي، دخل هيغينز غرفة الطعام وهو يحمل صينية فضية عليها رسالة من أجلي.

فتحتها بسرعة، وقلت: "إنها من الليدي كونينغهام. إنها تريد مقابلتي بمفردي في هايد بارك اليوم. وتطلب إحضار الرسالة. لم تقل ما ستفعله لو رفضت طلبه؟ لكن الأمر سيان، تهدیدها يمكن في ثنایا كلماتها".

سأل إدوارد: "عزيزتي، هل أنت واثقة من أنك لا تريدين أن آتي معك؟".

أجبته: "لا، شكرًا. لا أريد إثارة شكوكها. سيكون من الأفضل أن تعتقد الماركيزة أنها دفعتني للإذعان لها، وأنني أتيت خاضعة ذليلة. يجب أن أعتمد على ضاللة حجمي وهدوء طباعي لكي أغريها بأن تشعر بالتفوق والاستعلاء والسيطرة. سوف تعتقد أنها زرعت الخوف بداخلي وأنني عاجزة عن خداعها".

سأل إدوارد: "هل تستطعين الكذب يا عزيزتي؟ أنت فتاة طيبة يا حبيبي".

أجبته: "سيد هشك ما أستطيع فعله سيد روتشيسنر. حالما يشفى جرجي، سأريك".

بعد ساعات قليلة، وصل ويليامز بعربة لوسي إلى مكان في هايد بارك توجد فيه الشجيرات المنخفضة ويخلو من الأشجار العالية التي تعوق رؤيتنا. ثم ساعدهني على الخروج من العربة وحرص على ألا أتعثر في الشال الأحمر الفاتح الذي أرتديه لأجعل نفسي أكثر وضوحاً.

قبل بضع دقائق، أنزلنا السيد دوغلاس على الجانب الآخر من الحديقة. وخطط لشق طريقه نحو بقعة يستطيع من خلالها ملاحظة صفقتي في الخفاء.

أشارت الخريطة التي تضمنتها رسالة الليدي كونينغهام إلى أنها ستقابل على كرسي قريب من الشارع. هذا من حسن حظي؛ رغم أن الهدف بالتأكيد هو تسهيل الأمور على الماركيزة الثقيلة الوزن.

لم أنتظر طويلاً. اقتربت عربة جميلة كستنائية اللون يجرها زوجان من الخيول المتطابقة في الشارع قبل أن توقف أمامي. فتح الخادمان، اللذان يرتديان زيًّا كستنائي اللون مع كتفات ذهبية، الباب وساعدوا الماركيزة على الخروج. هذا الصباح بدا

عمرها واضحاً وهي تمشي بتردد مثل العجائز. وعندما اقتربت بما فيه الكفاية، دفعت نفسي للوقوف، وبذلت قصارى جهدي للانحناء لها وتحيتها؛ رغم أن هذا آلمني كثيراً.

جلست الماركيزة فجلست بجانبها. قالت: "حسناً، لسنا هنا للدردشة. لقد سمعت أنك تمكنت من التفوق على السيدة بيتمور، وهي مسجونة الآن. وتمكنت أيضاً من تحديد هوية قاتل السيدة إنجرام بالفعل. إحدى بنتيها في السجن والأخرى تقوم بجولة في القارة. أعتقد أنك تهئنين نفسك. ربما تعتقدين أنه لم يعد لدى أي نفوذ عليك".

قلت: "في الواقع، ليس الأمر هكذا. أعرف الحقيقة".

رفعت حاجبًا في وجهي وقالت: "أكملي".

قلت: "أدرك تماماً أنه لا يزال بإمكانك تدمير لوسي. نعم، أصبح اسمها بريئاً من وفاة الأرملة الليدي إنجرام. ولن تتمكن بلاش إنجرام من الحديثعني أو عن صديقتي. لكنك ما زلت هنا. ولا يزال الملك يستمع إليك. تمتلكين القدرة على إلحاق الكثير من الأذى بنا جميعاً".

بدت الماركيزة كقطة راضية، ورفعت ابتسامة حقيقية حواف شفتيها وهي تقول: "يا إلهي يا إلهي! أنت أذكي بكثير مما كنت أعتقد".

قلت: "لذلك، قررت أن أعطيك رسالة الحب".

مدت يدي داخل حقيبتي الصغيرة، وسلمتها الرسالة
مطوية مع خاتم الملك على الخارج؛ فانتزعتها مني وقرأتها
بسرعة:

عزيزي بانسي،

آسف لأنك وجدت نفسك مع طفل؛ ورغم ذلك، لا
أستطيع الزواج منك لأنني متزوج بالفعل.

يا لبؤس المسكين الذي يلبس التاج! لا يتخيّل أحد طبيعة
الأخطار والضغوط التي تهددني من كل جانب. أحلام من
وقتي الذي قضيته في ساحة المعركة! والرعب الذي أعيشه من
جديد! وأحياناً أخشى أن أصبح مجنوناً مثل والدي!

جورج

كانت تحمل في يدها الصفحة الأخيرة من رسالة الحب
التي أضفت في أعلىها تحية وجملة افتتاحية.

حدقت الليدي كونينغهام في الورقة المنفردة وتممت
وكانها تحدث نفسها: "أعرف خط يده والورق. لا يوجد ورق
آخر من المصدر نفسه. لكن رغم أنه من الواضح أنها كُتبت
عندما كانت السيدة بيلتمور حاملاً، إلا أنه لم يذكر هوية زوجته.

لم يذكر اسم السيدة فيتزهيربرت على أنها زوجته. يُحتمل أنه يتحدث عن الملكة كارولين".

التزمت الصمت ولم أقل شيئاً.

قالت وهي تزم شفتيها: "صراحة، إذا سمعت الملك يتحدث عن ذلك، فستعتقدين أن هذه الرسالة تثبت أنه خالف قانون الزواج الملكي. كان يجب أن أستنتاج أنه لن يفعل ذلك. لقد كان جباناً للغاية ولا يجرؤ على مواجهة استهجان والده؛ رغم أن هذا يثبت أنه ارتكب الزنى". ونقرت على الورقة بياصبعها وأردفت: "لقد بذلت الكثير من الجهد لحماية شيء قليل القيمة. لا يتوقع أحد أن يكون الملك قديساً".

هززت كتفي وقلت: "لم أقل أبداً إن لها قيمة كبيرة؛ لكن الجميع قالوا ذلك. وأعتقد أن البعض لا يزالون يرونها كذلك. وإذا كنت لا تريدينها...".

قاطعني بسرعة قائلة: "سأحتفظ بها. رغم أنني لست واثقة من أن الأمر يستحق الوقوف عند جرن المعمودية".

قلت: "لكنني فعلت ما طلبت. والآن يجب أن تفي بجانبك من اتفاقيتنا". في الواقع، اتفقت أنا ولوسي على أن رعاية الليدي كونينغهام لا تعني الكثير لها ولإيفانز. لكنني ما زلت أعتقد أنه من الأفضل أن أستمر في التظاهر.

قالت: "لا، لا أعتقد ذلك. نعم، لقد سلمت الرسالة لي؛ لكنها قطعة ورق لا قيمة لها. من الواضح أن الملك نسي مع مرور السنين ما كتبه بالضبط".

نعم، هذا ما كنت أرجو أن تفكّر فيه. على أي حال، إنها لا تكن للرجل أي احترام، بخلاف ما قد يقدمه لها، وهو بدوره لا يحترمها مطلقاً. لذلك من المنطقي أنهما لن يمدحا بعضهما بعضاً بأي شكل من الأشكال.

كررت كلامي قائلة: "لكنك أخبرتني أنك ستدعمني إيفانز".

قالت: "لا أعتقد ذلك. سئمت منك ومن صديقتك. والآن بعد أن حصلت على الرسالة، لم أعد بحاجة إلى أي منكم".
بالنسبة لي، كان هذا جيداً.

الفصل ٦٣

من مقعدي في الحديقة، شاهدت عربتها وهي تمضي مبتعدة، فأتى ويليامز لمساعدتي وقال: "هل أنت بخير يا سيدتي؟".

أجبت: "أفضل من أي وقت مضى. باستثناء جنبي".

خرج السيد دوغلاس من مخبئه وسط شجيرات الروودندرون وهو يقول: "أحسنت يا سيدة روتشر. أحسنت!".

عدنا معًا في العربة إلى ميدان غروفينور، حيث ساعدني في السير إلى قاعة الاستقبال الرخامية في منزل لوسي. ومن غرفة الرسم جاءت أصوات نسائية سعيدة. سحبت كتفي للوراء ودخلت الغرفة متحمسة للانضمام إلى التجمع. لم تسمع النساء الثلاث صوت خطواتي خلال اقترابي، حيث كانت كل واحدة منها منغمسة فيما تفعله.

كانت صديقتي لوسي تسكب الشاي. وميني سيمور تحضن إيفانز وتتحدث معه بحب. وماريا فيتزهيربرت تعجب من رسالة تحملها بين يديها.

رسالة تبدأ بـ "عزيزتي بانسي...".

رسالة من المؤلفة

عزيزي القارئ، دائمًا ما أتساءل عن الحقيقة والخيال فيما أقرؤه. لذلك، اقترب قليلاً ودعني أهمس في أذنك ببعض الأسرار:

ربما تتساءل عما إذا كانت ميني سيمور في الحقيقة الابنة غير الشرعية للملك جورج الرابع وماريا فيتزهيربرت أم لا. انقسم الباحثون حول هذا الموضوع. ورغم ذلك، من المؤكد أنها كانت حبيبة قلبه. لقد ظل الملك مفتوناً بميني طوال حياته، وأرسل إليها هدايا صغيرة ومنحها ٢٠,٠٠٠ جنيه إسترليني في عيد ميلادها الحادي والعشرين.

نعم، كان هناك ثمانية ضباط في مقر شرطة بوستريت وكانت مهمتهم الأساسية هي حماية الملك. ونظرًا لمدى كراهية الناس للملك، لم تكن هذه مهمة سهلة. أما بالنسبة لخطابات الحب، فمن الصحيح أن الملك كتبها، ثم استعادها... بشكل متكرر. كما استفادت عائلة الماركيزة كونينغهام من "صداقتها الخاصة" بالملك.

هل تزوج الملك جورج الرابع ماريا فيتزهيربرت سرّاً ثم تزوج كارولين برونزيك علينا؟ نعم. لكن ظل قلبه وفيّاً لماريا. في الحقيقة، أصدر الملك تعليمات تقتضي بأن يدفن مع لوحة مصغرّة لها كان يلبسها حول عنقه ويعلقها في رباط أسود رث.

بالنسبة للملكة كارولين المسكينة، فقد مُنعت من حضور مراسم توييج زوجها في التاسع عشر من يوليو عام ١٨٢١. وبعد أحد عشر يوماً، عانت من آلام في المعدة وتوفيت في السابع من أغسطس. يشير البعض إلى أنها ماتت مسمومة.

ماذا عن اللوناريكيين؟ هل كانوا موجودين بالفعل؟ نعم، وأدرك أحدهم أن الديجيتالس علاج محتمل لمشكلات القلب. ورغم أنه من المفترض أن الجمعية الأصلية حلّت في عام ١٨١٣، فإنهم لا يزالون يتقابلون في الوقت الحاضر، ويشير هذا إلى أنهم اضطروا إلى العمل سرّاً.

زرع القنب لأول مرة في عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد في الصين، ويعتبر أحد الأعشاب الأساسية في الطب الصيني. وقد يكون فعالاً في علاج الجلوكوما لأنّه يخفض ضغط العين. نشر طبيب إيرلندي في مدينة كالكوتا الهندية ورقة بحثية عنه في عام ١٨٣٩؛ لذلك من المنطقي أن نفترض أنه ربما انتشرت هذه الأخبار حول خصائصه العلاجية بشكل غير رسمي قبل ذلك التاريخ.

حدثت المجاعة الكبرى في عام ١٨٤٥؛ ورغم ذلك، في السنوات السابقة كانت هناك العديد من حالات الفشل في محاصيل البطاطس التي دفعت الإيرلنديين إلى النزوح إلى لندن على أمل الحصول على وظائف، بما في ذلك موجة النزوح في عام ١٨٢١.

لمزيد من المعلومات حول الملك جورج الرابع، أقترح قراءة كتاب Mrs. Fitzherbert and George IV للمؤلف ويليام هنري ويلكينز وكتاب Prince of Pleasure للمؤلف ساول ديفيد وكتاب The Trial of Queen Caroline للمؤلفة جاين روبينز.

لمعرفة المزيد عن هذه الفترة التاريخية، يرجى زيارة موقعي الإلكتروني www.JoannaCampbellSlan.com، للحصول على قائمة المصادر.

t.me/yasmeenbook

نبذة عن المؤلفة...

جوانا كامبل سلان

جوانا مؤلفة حققت كتبها أفضل المبيعات حسب تصنيف صحيفة نيويورك تايمز وصحيفة يو إس إيه توداي، وقد كتبت أكثر من ٤٠ كتاباً، بما في ذلك أعمال خيالية وغير خيالية. كانت واحدة من أوائل المؤلفين في سلسلة "Chicken Soup for the Soul"، وتظهر قصصها في خمسة من أفضل الكتب مبيعاً حسب تصنيف صحيفة نيويورك تايمز. حصل كتابها الأول، Using Stories and Humor: Grab Your Audience عن دار نشر سيمون وشوستر (Simon & Schuster) التابعة لدار نشر بيرسون (Pearson)، على موافقة منظمة توستماسترز إنترناشونال (Toastmasters International) وأشادت به الرابطة الوطنية للمتحدثين (National Speakers Association). وهي مؤلفة لأربع سلاسل غموض. ولقد رُشحت روايتها الأولى، Paper, Scissors Death: Book #1 in the Kiki Lowenstein Mystery Series وفازت روايتها الأولى في الغموض التاريخي، Death of a Schoolgirl: Book #1 in the Jane Eyre Chronicles فازت بجائزة دافني دو مورييه للتميز. وتستمر سلسلتها الحالية Sand Trapped التي انطلقت في فلوريدا هذا العام مع رواية

Book #6 in the Cara Mia Delgatto Mystery Series
سلسلتها الخيالية المثيرة برواية Sherlock Holmes and the Giant Sumatran Rat

بالإضافة إلى كتابة القصص الخيالية، تقوم جوانا بتحرير سلسلة Happy Homicides Anthologies، وبدأت سلسلة لكتب "how to" بشأن المنمنمات Dollhouse Décor & More الخاصة ببيوت الدمى.

وفي عام ٢٠٠٤، نشرت جوانا، عندما كانت تعمل متقدمة تحفيزية، بشكل مستقل رواية I'm Too Blessed to be Depressed. وباعت أكثر من ٣٤,٠٠٠ نسخة من ذلك الكتاب. ومنذ ذلك الحين، اتجهت جوانا إلى نشر كتاب ملون، The Best of British Scrapbooking بشكل كامل بعنوان Scrapbook Storytelling. وباعت ١٢٠,٠٠٠ نسخة من كتابها. أصبحت جوانا مؤلفة تحقق كتبها أفضل المبيعات على موقع أمازون مرات عديدة لا تحصى، ووضعها موقع أمازون ضمن قائمة أفضل ١٠٠ كاتب في فئة الغموض.

كانت جوانا في السابق مضيفة برنامج حواري ومتقدمة تحفيزية مطلوبة، وألقت خطابات أمام جماعات صغيرة وكبيرة (تزيد على ١٠٠٠ فرد) في أربع قارات. واختارتتها مجلة شيرنج آيدياز (Sharing Ideas) كواحدة من أفضل ٢٥ متقدمة في العالم.

عندما لا تكتب جوانا على لوحة المفاتيح، فإنها تنشغل بالمشي مع جروها جاكس من نوع هافانيز. وتقوم جوانا، الحاصلة على جوائز كصناعة للمنمنمات، بصناعة الدمى وبيوتها وأثاثها بنفسها. كما أنها معلمة معتمدة في فن الزنتانجل (Zentangle®). ويمتلك زوجها، ديفيد، معرض ستاينواي بيانو جاليري (Steinway Piano Gallery) في واشنطن العاصمة وخمس صالات عرض أخرى تابعة له.

يمكنكم التواصل مع جوانا على البريد الإلكتروني .JCSlan@JoannaSlan.com

تابعوها على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الرابط التالي <https://www.linktr.ee/JCSlan>

مُحَكِّمَةُ الْأَسْمَاءِ

t.me/yasmeenbook